٣ قروش

المجلة الأمريكية التى يوزع منها كل شهر ١١ مليون نسخة

المختار

من مجلة

ريدرز دايجست

فى كل مقالة لذة دائمة

أطع هذا الحافز	وليم مولتون مارستن	١
سر رحلة رودلف هس	مجلة «أميريكان ميركيورى»	٦
دخل الأتبرين – خرجت الملاريا	بولا ده كروف	١١
استعدوا : أقبل الطريد	«مجلة كوليير»	١٤
الصلة الشخصية فى مسائل العمال	صحيفة «أنباء العمال»	٢٠
من صميم الحياة	هنرى مورتون روبنسون	٢٢
نفط جزيرة البحرين	مجلة «ذى أميريكان مجازين»	٢٦
هل أنت روحانى؟	مجلة «سكر بنر»	٣٠
الحياة فى أقاصى الروسيا	وندل ويلكى	٣٣
هؤلاء القدماء المحدثون		٣٦ و ٣٧
فى اللحظة الفاصلة	مجلة «ذس ويك»	٤٢
رجل من الصين	مانويل كومروف	٤٣
المطاط الصناعى – جاء أخيراً	صحيفة «كرستيان سينس مونيتور»	٤٩
لا هم إلا الأسنان	روبرت بنشلى	٥٣
الموت فى أعالى الجو	مجلة «فورتشون»	٥٧
إذا أردت أن تسمن	مجلة «أميريكان ميركيورى»	٦٢
الرجل من وراء البندقية	مجلة «ذى نيو يوركر»	٦٦
ميلاد الجواد المجنح	كتاب : غرباً مع الليل	٧١
لطبيب الأشعث	مجلة «ستردى رفيو» الأدبية	٧٥
الجراحة – فى عصر التبريد	مجلة «هايجيا»	٧٧
مقصف الممثلين للجنود	مجلة «ذى روتيريان»	٨١
عذارى البحر	إدسون مارشال	٨٥
سيدة الأزهار	موريس مترلنك	٩٠
آيات من الشجاعة		٩٢
امتحن ذكاءك	مجلة «ذى أميريكان مجازين»	٩٥
نقطة التحول فى حياتى	ا. ج. كرونن	٩٦
الكتاب | العالم عند أطراف أصابعى	كارستن أونستاد	١٠١

نوفمبر ١٩٤٣

احد عشر مليون نسخة من كل عدد
طبعات فى الانجليزية والأسبانية والبرتغالية والسويدية والعربية
إننا نرجو أن يعجبكم « المختار » من مجلة ريدرز دايجست

فأخذ عشر مليون نسخة من هـذه المجلة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزيه تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغـة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العـدد الثالث من الطبعة العربيـة . وقد وُزِّع منه ثمانون ألف نسخة فى مصر وفلسطين وسـوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجـلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها وإتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداهما طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى اتشيسون ولاس
سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل
قسم الإدارة : المـدير العـام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١ — ميدان قصر الدوبارة بالقاهرة . تليفون : ٥٩٤٩٥

رئيس التحرير : فؤاد صروف — المدير المالى : ت . ى . مورد
مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً
فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سـوريا ولبنان ٣٥ قرشاً
الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدوليه

المدير العام : باركلى اتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

حقوق الطبع ١٩٤٣ محفوظة لريدرز دايجست أسوسيياشن انكور پوريتد . جميع الحقوق ومنها حقوق الترجمة محفوظة للناشر ، فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والمكسيك وشيلى والبلدان المشتركة فى اتفاق حقوق الطبع الدولى واتفاق حقوق الطبع للجامعة الأمريكية . ولا تجوز إعادة طبع شىء من هذه المجلة بغير استئذان الناشرين .

المختار
من مجلة ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر
السنة الأولى | نوفمبر ١٩٤٣ | المجلد ١ العدد ٣

أطِعْ هذا الحافِز

وليم مولتون مارستن

لبثت سنوات أبحث في سير العظماء والسواد من الناس عن الينابيع الباطنة الخفية التي تكفل التوفيق في الحياة. ويبدو لي أن هناك اثنين هما أحق بالتقديم: أما الأول، فهو الكد في العمل مع الأخذ فيه بالتدبر المنطقي الهادئ، وأما الآخر: فهو العمل الذي يقوم به المرء بغتة وفي حماسة مستجيباً لما يهتف به من خطرات القلب.

ومع اعترافي بعجزي عن ذكر اسم رجل واحد له عمل مذكور، لم يكن نجاحه ثمرة المواهب العقلية والكد في العمل، إلا أني مع ذلك أجازف بتقرير حكم شامل، هو أن الأغلب فيمن أصابوا نجاحاً كبيراً وكثيرين ممن كان نجاحهم دون ذلك، في حياتهم، كان الفضل في ذلك راجعاً إلى المبادرة إلى العمل بما يهيب بهم من نفوسهم.

وأكثرنا يخنق فعلا من الحوافز الطيبة في يوم واحد ما يكفي لتغيير مجرى حياتنا.

[في سنة ١٩١٥ انتهى الدكتور وليم مولتون مارستن في معمل الأبحاث النفسانية بجامعة هارفرد إلى طريقة ناجحة في اختبار الكذب بتسجيل مايحدث من التغير في ضغط الدم وغير ذلك من الانفعالات البدنية. وقد استعمل جهازه في تحقيق قضايا التجسس، لجيش الولايات المتحدة في الحرب العالمية الماضية، وصار فيما بعد أساساً لآلات كشف الكذب التي يتخذها الآن الشرطة ورجال الأعمال. والدكتور مارستن نفساني ملحوظ القدر، وقد تولى التدريس في كليات عديدة، وكان مستشاراً في المسائل التجارية لشركات سينمائية ووكالات الإعلانات. ومن كتبه « آلة كشف الكذب » و « حاول أن تعيش » و « امض قدماً »]

وهذه الومضات الباطنة من الحوافز ، تضىء العقـل هنيهة ثم تخبو ، ونقنع منها بوميض ضوئها الغارب ، ونكر راجعين إلى مألوفنا ، وفى نفوسنا إحساس غامض بأننا قد نصنع يوماً ما ، شيئاً فى هذا الأمر ، أو أن نياتنا على الأقل كانت طيبة . غير أننا بهـذا نجنى على ذاتنا الباطنة ، لأن الدوافع تقيم خطوط الاتصال بين العقل الباطن والعمل اليومى . وقد قال وليم جيمس : « كل مرة يتبخر فيها عزم أو تخمد جذوة إحساس ساطعـة دون أن تثمر ثمرة ، فإن الأمر يكون شراً من فرصة مضيعة ، لأن ذلك يؤدى إلى منع العواطف فى المستقبل من أخذ طريقهـا الطبيعى إلى غايتها ، ويسد المنافذ عليها » . وهكذا نخفق فى اكتسـاب القوة اللازمة للعمل فى حزم وسرعة وبت ، حين تعرض الطوارئ الـكبرى فى الحياة .

وقـد اتفق لى مرة فى هوليوود أن استبقانى ، أنا وولتر ب . بتكين ، ستوديو للسـينما ، فعرض علينا شاب فـكرة طامحة لإخراجها ، فراقتنا كلينـا ، وبدا لى أنها جديرة بالتدبر ، وأن فى وسعنا أن ندرسها ونتباحث فيها ، وننتهى إلى رأى فيما بعد . ولـكن بينما كنت أديرها فى نفسى ، نهض بتكين بغتة إلى التليفون ، وراح يملى برقية إلى رجل يعرفه فى حى المال ، وقد صورت البرقية الموضوع المقترح فى هالة من حماسة الساعة . (وكان طولها ، على ما خيـل إلىّ وهى تملى ، نحو ذراع) . وقد كلفته مالا ، ولـكنها كانت مقنعة .

وما راعنى إلا أن هـذه البرقية أثمرت اتفاقاً على موضوع القصة بعشرة ملايين من الدولارات . ولو أننا كنا تلكأنا لنتـدبر الموضـوع لـكان الأرجح أن ينتهى بنا الحوار إلى نفض اليد منه ، ولـكن بتكين كان يعرف كيف يعمـل بوحى الساعة ، وقد علمته حياته أن يطمئن إلى وحى نفسه ويعول على ما تلهمه ، وأن يعد هذه الدوافع النفسية خير مستشار له .

وكم من مكتب إدارة جليل يجلس إليه رجل ، ما جلس إليه إلا لأنه حذق هـذا الدرس . وعسى أن تكون قد رأيته غـير مرة وهو يعمل . ويتفق مثـلا أن يعرض عليه بعضهم اقتراحاً جديداً ، بشأن الموظفين وعلاقاتهم مثلا ، يسـتدعى إحداث تغيير واسع النطاق فى نظام العمل فى المكتب . فيسـتقر رأيه من فوره على أمر ، ويدعو إليه زميلا ، يلقى إليه الأوامر لإجراء التغيير فى التو والسـاعة ، لا فى الأسـبوع المقبل ولا فى الشهر المقبل .

ونحن نفس على مثـل هؤلاء النـاس السهولة التى يمضون بها رأيهم ، وينتقلون

داخلين فى العمل . ولكن هذه السهولة إنما تكتسب بالدربة سنين طويلة ، وليست كما نتوهم أحياناً مزية مستفادة من مناصبهم ، بل عادة اعتادوها فأفضت بهم إلى التوفيق ، وقد أفادوا عادة العمل فوراً ، فى الصغير من الأمور أولا ، ثم فى الكبير منها .

وما زال كلفن كوليدج (رئيس الولايات المتحدة فى سنة **١٩٢٣** إلى سنة **١٩٢٩**) لغزاً فى نظر الشراح السياسيين ، لأن بواعثه على أعماله قلما كانت ظاهرة ، ولأن ينابيع حذاقته وحصافته خفيت عليهم . وما كان أحد يبدو أقل من كوليدج اندفاعاً مع ما يهتف به فى نفسه ، ولكنه طول حياته اعتاد أن يعوّل على هذه الهواتف ، ولم يكن يخشاها . وقد اتفق له وهو محام شاب فى مكتب قضائى فى الريف ، أن كان ذات يوم يحادث زبوناً ذا شأن ، فتلقى رسالة تليفونية بأن أكبر رجال السياسة فى الولاية قد حضر إلى البلدة . فخطر لكوليدج أنه يحسن به أن يقابل هذا العميد المحلى من فوره ، وأن يقترح ترشيح نفسه للنيابة . ولم يتردد المحامى الشاب الخجول ، فقطع الحديث القضائى ، وبارح المكتب ، وذهب يبحث عن زعيم الولاية . وقد أثمر هذا الحافز ثمرته . ولم تزل هواتفه النفسة من ذلك الحين تقوده باطراد إلى النصر السياسى.

وينبغى أن يكون واضحاً من حادثة كوليدج أن الذى يطيع دواعى نفسه ليس من الضرورى أن يكون خفيفاً طياشاً . على أن الهياب لا يزال يخشى أن تقوده دواعى النفس إلى الخطأ والعثار ، ولكن الأخطاء لامفر من الوقوع فيها ، كائناً ما كان النهج الذى تنهج . وقد كانت طائفة من شر الأخطاء التى سجلها التاريخ ، ثمرة العمل بما أشارت به الروية الحصيفة والتدبر التام . وإذا كنا نصيب إحدى وخمسين مرة من كل مائة ، حين نطيع إلهام النفس ، فإن هذا يكون حسناً فى أى حساب وعلى أى تقدير .

وأخلق بالأخطاء التى يجرها الجمود وشدة الضبط فى إعمال الرأى ، أن تكون شراً من الأخطاء التى تترتب على مطاوعة النفس فما تنزع إليه بطبعها . ومما يفضى إليه ذلك أن عادة الجمود تتقرر به وتثبت على الأيام . جاءتنى تستشيرنى ، منذ عهد غير بعيد ، امرأة تركها زوجها ، وكان سبب الجفوة بينهما على ما بدا لى راجعاً إلى المزاج والطباع فالأمر مما يسهل إصلاحه . وقد قالت لى المرأة : إن الذى تنازعها نفسها أن تصنعه هو أن تدعو زوجها إلى التليفون وتحادثه . فأشرت عليها أن تطيع هوى نفسها . فانصرفت وهى على شىء من السكينة ، ولكنها لم تدعه كما كانت تريد . وعادت إلىّ بعد أيام ،

وانصرفت مرة أخرى ونفسها تهيب بها أن تخاطب زوجها ، غيرأنها لسوء الحظ لم تفعل قط . فانتهى فى محكمة الطلاق خلاف كان من الممكن أن تزيله بضعة ألفاظ على التليفون، ينفجر بها الألم الكامن . وقد اعتادت هذه المرأة منذ طفولتها أن تدع هواتف نفسها تموت ساعة تولد ، فلما جاء وقت تطلب فيه الأمر أن تتخذ قراراً بسيطاً تمضى به إلى غايتها ، لم تستطع أن تصنع شيئاً .

وليس منا إلا من يعرف أناساً يقاسون عذاب التردد والحيرة قبل أن يخطوا خطوة ذات شأن . وما من أمر إلا ومجال القول يتسع فيه طرداً وعكساً . فإذا أطلنا النظر فى الحجج المتدافعة بدا لنا أن بعضها يعارض بعضاً ، فننتهى إلى حال أليمة من الشلل .

والسبيل إلى عمل شىء ما ، هى أن تدفع عقلك وبدنك وصـــوتك إلى الحركة فى اللحظة التى يدور فيها الخاطر بنفســك . أعرف كاتباً كان مشتغلا بمشروع كبير ، وكان عزمه أن لا يثنيه عنه شىء ، ولـكنه قرأ إعلاناً عن مسابقة على خير عشر قواعد للقيادة المأمونة للسيارات ، فكأنما ألقى الإعلان ضوءا على صفحة عقله . ههنا شىء له به إلمام ! فترك عمـله وقتاً كافياً لزيارة مكتبة والمراجعـة فيها ، وكتب ٢٥٠ كلمـة دونها بنفسه على الآلة الـكاتبة ، وبعث بها إلى المحـكمين ، وذلك حتى لا يشغل مساعدته عن مواصـلة العمل فى المشروع الـكبير . وبعد شهور أثمر له هذا الخاطر الذى أطاعه جائزة قدرها خمسة وعشرون ألف ريال . أما المشروع الذى انصرف عنه لحظة فلم يؤته آخر الأمر سوى ستمائة ريال .

أو تأمل حكاية ذلك المعلم الشاب الذى جلس يوماً يستمع إلى خطاب يلقيه وودرو ويلسون ، وكان المعـلم قد ألف كتاباً فى علم السياسة ، ولـكنه لم يجد من ينشره له . وكان قد أودع الـكتاب آراءه التى اقتنع بها فى أعمق أعماق نفسه ، فدفعه الإخفاق إلى اليأس من مستقبله فى التعليم .

وشعر من بعض ما قاله المستر ويلسون أنه ينبغى أن يستشيره . وكان قد سمع أن فى ويلسون جفوة وفتوراً ، وأن الوصول إليه عسير ، ولـكنه بعد الفراغ من الخطبة اندفع مع الخاطر، وشق طريقه بين الجمهور وتنـاول يد المستر ويلسون وقال بسرعة : « لقد كانت خطبتك بديعـة . وقد كتبت أنا كتاباً ذهبت فيه إلى . . . . » ، وبسط له نظريته فى بضع جمل مترعة قوية .

فهز ويلسون رأسه وقال : « كلا إنك مخطىء ، وسأشرح لك الأسباب ، فقابلنى بعد الغـداء فى النـادى » . وهنـاك راح ويلسون يفيض فى حديثه ساعتين ، ووضع

المعلم بعد ذلك كتاباً صدر فيه عما أوحى إليه ويلسون ، باع منه أكثر من مائة ألف نسخة . وكان هذا له بداية عهد جديد باهر فى التعليم ، والفضل يرجع إلى الخاطر الحيوى الأول الذى أطاعه وبه بعض التردد.

وسير الناجحين من الناس غاصة بمثل هذه الحوادث التى كانت نقط تحول كبير فى حياتهم . والإلهام الصادق ينطوى على الحصافة والبصر . وهو يدل على الطريق المفضى إلى النجاح ، لأنه يكشف عن الميول الأساسية للعقل الباطن .

إن فى كل منا دافعاً لا يفتر ، إلى إبلاغ النفس غاية الميسور من كمالها ، وكلنا يعرف أى شخص ينبغى أن يكون ، لأن هذه الدوافع النفسية تدلنا وتهدينا ، وإن كان عدم الصدور عنها يضعفها . على أن العمل بوحى النفس ليس معناه إحلال ذلك محل العقل، وإنما معناه أن نتخذ هذا الوحى وسيلة لمعرفة الطريق الذى ينبغى أن يسلكه العقل. وبديهى أن الطريق لا يخلو من حفر ، وقد يكون من الخطر أن ننهض بغتة ونلقى بأنفسنا على ما يدفعنا إليه أول الخاطر ، ولكنا نستطيع على الأقل أن نبدأ بالإكثار من الاستجابة إلى الدوافع الباطنة التى نعرف أن فى وسعنا أن نطمئن إليها ونعتمد عليها .

وإنا لنعرف إذ نقرأ فى كتاب أنه ينبغى علينا أن نمسك عن القراءة ، ونراجع كلمة فى معجم إذا كان معناها غير واضح . ونعرف أن علينا أن نتوسع فى الثناء والحمد عفو البديهة على من هو أهل لذلك . ونعرف أن من واجبنا أن نتحول عن طريق الأنانية ، وأن نشترك فى الواجبات المدنية ، وأن نساهم بالمال والوقت أيضاً فى خير الجماعة.

وهذه اللحظات المتفرقة من العمل تتجمع وتثمر حياة أكثر امتلاءا ، وتفيد الشعور بالتجدد اليومى ، وتكسب المرء إحساساً طويل الأمد بأن الحياة ليست مطوقة أو موصدة المنافذ فى وجوهنا ، أو مفرغة فى قالب فلا يعتريها تغير أو تطور ، بل فى الوسع تدبير أمرها والتصرف بها من الداخل . وأخلق بمن تلخص فلسفته فى هذا الشعار الضعيف الذى يسمى بالتردد والحيرة — « حسن . سنرى ماذا ينبغى أن نصنع » — أن يحرم إمتاع لحظات التجريب ولذة الحياة ووثباتها .

قلب صفحات حياتك ، وراجع تجاربك فيها ، ترَ أن كثيراً من أسعد ما مر بك فيها ، وأعظم ما وقفت إليه ، كان ثمرة العمل بوحى الساعة ، وهذا يعلمك أنه لا أمل لك فى دافع غير منظور إلى النجاح، إلا من أعماق نفسك الباطنة ، فلتطع إذن خير ما يهتف بك من الحوافز وانظر كيف تمضى !

سرّ رحلة رودلف هِس

ملخصة عن مجلة « أميريكان مركيورى »

كيف خدع هتلر نفسه فى مرحلة دقيقة من الحرب بمجهود بارع على يد قلم المخابرات السرية البريطانية

لماذا اتخذ رودلف هس طريق الجو إلى اسكتلنده ؟ هذا هو السر الذى لم يزح عنه الستار بصفة رسمية قط . أما اليوم ، وبعد مرور عامين ، فيعلم كثيرون من الإنجليز وقليلون من الأمريكيين، حق العلم لماذا وفد على انجلترا مندوب هتلر المفوض . وهناك تفاصيل قليلة لا يعلمها إلا رجال قلم المخابرات البريطانى، وبضعة أفراد من علية الموظفين . كما أن هناك حقائق معينة ينبغى أن تظل سراً مطوياً لاعتبارات سياسية . بيد أن العناصر الأساسية يمكن أن تذاع الآن بكل اطمئنان .

إن رودلف هس لم «يهرب» من ألمانيا، وإنما جاء رسول سلام موفداً بأمر هتلر . وكان فى انتظار وصوله عدد محدود من البريطانيين ، بل لقد تولت حراسته طائرات من سلاح الطيران الملكى فى المرحلة الأخيرة من رحلته الجوية .

ذلك أن هتلر قرر فى أوائل سنة ١٩٤١ أنه لم يعد فى استطاعته أن يرجىء « حربه المقدسة » ضد روسيا . وأما محاولته القضاء على انجلترا قبل أن يولى وجهه شطر الشرق فقد باءت بالخيبة ، فاختار خطة التفاهم مع بريطانيا العظمى تفاهما يدع ألمانيا حرة طليقة ، حتى تستطيع أن تحشد قوتها للهجوم على روسيا .

ففى شهر يناير من ذلك العام عمل هتلر عملا يجس به النبض ، واتخذ عمله صورة تحريات بشأن موقف بريطانيا إذا ما أجريت معها مفاوضات مباشرة . ولم يوجه ذلك إلى الحكومة البريطانية بل إلى جماعة من ذوى النفوذ البريطانيين ، ومن بينهم دوق هاملتون ، الذى كان ينتمى إلى جمعية الزمالة الإنجليزية الألمانية ، وهى الجمعية التى باءت بالخزى والاحتقار منذ ذلك الحين . وقد تولى نقل المراسلات بين الطرفين رجل دبلوماسى مشهور ، وراح الألمان يدفعون بمقترحاتهم باسم السلام والصداقة النوردية ، حتى رسمت خطة العمل باحتراس وحذر ،

دون أن يكشف أحد الطرفين عن يده . ولما رفض الاقتراح الألمانى بالمفاوضة فى أرض محايدة ، عرضت برلين أن ترسل مندوباً مفوضاً إلى انجلترا .

وعزم هتلر على أن يكون المندوب المفوض نازياً رفيع الشأن — رجلا يقترن اسمه باسم الفوهرر نفسه ، ويكون وجوده مما يحمل على أشد الاهتمام . ثم ينبغى أن يكون رجلا يستطيع أن يتكلم رسمياً باسم الحكومة الألمانية ، وأن يعطى العهود والمواثيق باسم الفوهرر . وكان بديهياً أن تقع الخيرة حينئذ على رودلف هس ، ثالث أقطاب النازية ، ونائب هتلر وأصدق أصدقائه . وقد نشأ بالاسكندرية فحذق اللغة الإنجليزية وأصبح يتكلمها بطلاقة ، كما استطاع أن « يفهم العقلية البريطانية » .

وقد أبطأ البريطانيون فى الرد على ما عرضه هتلر ، ولكنهم قبلوه فى نهاية الأمر . وهكذا كان ، ففى ١٠ مايو — بعد انقضاء أربعة أشهر فى مفاوضات معقدة دقيقة — ركب هس متن الريح فى غسق ذلك اليوم .

وكان الأمر الوحيد الذى جهله الألمان أنهم كانوا يتعاملون مع رجال من قلم المخابرات السرية البريطانى ، وأن هؤلاء كانوا يستعملون أسماء — وخطوط — دوق هاملتون وغيره من السادة المنتمين إلى جماعة الزمالة الانجليزية الألمانية . فإن الرسالة الأولى التى أرسلها من ألمانيا ذلك السياسى البارز فى شهر يناير ، لم تصل إلى صاحبها قط ، وإنما اعترض طريقها قلم المخابرات السرية . ومن ذلك الحين تولى أمر المراسلات أناس بارعون من الموظفين البريطانيين ، فراحوا يبعثون إلى برلين بردود تهيج شهية الألمان ، وتشجعهم على الاعتقاد بأن بريطانيا تبحث عن مخرج من متاعبها الحربية .

وفى ليلة طيران هس كانت أضخم قوة من قاذفات القنابل النازية أرسلت إلى بريطانيا ، تلقى قنابلها على لندن . وإذا رسالة من محطة لاسلكية مائية على الساحل الاسكتلندى تنبىء باقتراب طائرة لم تستطع أن تدل على جنسيتها تماماً ، ولكن سرعتها تدل على أنها من الطائرات المقاتلة . وفى حجرة مراقبة طائرات الأعداء رسم خط سيرها على الخريطة فى مكان على شاطىء اسكتلنده الشرقى ، وظهر سهم يشير إلى أنها تتحرك نحو الغرب .

فلما رفع الأمر إلى الضابط المسئول فى مركز قيادة طائرات القتال صاح منفجراً : « أناشدكم الله ! مروهم ألا يسقطوها ! » وسرعان ما أوفدت طائرتان من طراز (هاريكين) لاقتفاء أثر الطائرة الغامضة ،

وقد أمر طياروها بأن يرغموها على النزول وأن لا يطلقوا عليها النار، مهما يكن من شيء . وبينما كانت السهام الصغيرة الحمراء تزحف على منضدة التصميم فوق أرض اسكتلندة ، كان كبار الضباط فى قيادة الطائرات المقاتلة يرقبونها فى أشد الاهتمام . حتى إذا ما وقفت الأسهم عند قرية (بيزلى) الصغيرة ، فى مكان يكاد يكون على الشاطىء الغربى ، صاح الضابط المسئول فى مركز المراقبة : « لقد وصلت ... والحمد لله ! »

وهناك فى لانار كشير باسكتلنده ، شاهد فلاح يدعى « ديفيد مكلين » ، رجلا يهبط بالمظلة فى غيطه ، فعدا إليه حاملا فأسه ، وصاح به : « أعدو نازى أنت أم أنت أحد رجالنا » .

فأجاب الرجل : «لست عدواً نازياً بل أنا صديق بريطانى » .

وكان الرجل يجد مشقة فى الكلام ، لأن عقبه أصيبت برضوض جعلته يعانى أشد الألم. فلما ساعدوه حتى وصل إلى مطبخ الفلاح اعترف لرجال الحرس الوطنى بأنه قدم من ألمانيا ، وأنه يبحث عن المطار الخاص فى مزارع دوق هاملتون ، وهو يبعد عن ذلك المكان عشرة أميال ، ثم قال :

« أرجو أن تبلغوا الدوق أن (ألفرد هورن) قد وصل » .

وفى هذا الوقت نفسه كانت تنتظره فى مطار هاملتون شبه لجنة استقبال رسمية مؤلفة من بعض ضباط قلم المخابرات الحربية ورجال قلم المخابرات السرية . وكان هبوط هس الاضطرارى حين نفد وقود طائرته ، هو العائق الوحيد الذى لم يحسب حسابه عند وضع الخطة — وربما كان هذا العائق المفاجىء هو السبب فى تسرب أنباء طيران هس .

ولما علمت «لجنة الاستقبال» بأمر الحادث وعثرت على زائرها المنتظر ، ذهبت به إلى ثكنة ماريهيل على مقربة من جلاسجو . وهناك عدل عن قصته وراح يقول :

«لقد جئت لأنقذ الانسانية، أنا رودلف هس » ، وأشار إلى أن بعض ذوى النفوذ من الإنجليز كانوا يرتقبون وصوله ، وهو تصريح كان يحمل من الصدق أكثر مما كان هو يتصور !

جاء هس وقد أعد العدة لاتصال غير مباشر بالحكومة البريطانية . والواقع أن الاتصال الفعلى كما دبره ونستن تشرشل كان اتصالا مباشراً إلى أبعد الحدود . فإن إيفون كيركباترك ، وهو أحد كبار المخبرين السياسيين فى الحرب العالمية الأولى وسكرتير السفارة البريطانية فى برلين مدة خمس سنوات — سافر بالطيارة إلى اسكتلندة

ليتلقى مشروع هس ، ويحمله مباشرة إلى الحكومة البريطانية . وما كان هتلر نفسه ليطمع فى تعاون أعظم من هذا التعاون . وعلى الرغم من غياب دوق هاملتون ظل هس مقتنعاً بأنه يعمل مع وسطاء من أعضاء جمعية الزمالة الإنجليزية الألمانية !

ومضى النازى يروى لكيركباترك سيلا دافقاً من تفاصيل هدنة هتلر ومقترحاته للصلح . وكان يروى هذه التفاصيل فى حماسة واستفاضة ، حتى لقد استغرق نص أقواله منقولا بالاختزال عدة كراسات . وإذ كان يعتقد أن بريطانيا قد صرعت ، وأنها تعترف بذلك ، فقد راح يتكلم بروح العدو الكريم الذى يعرض المهلة والصفح على خصمه المقضى عليه بالهزيمة .

وفيما يلى مجمل النقط الأساسية للمشروع :

يعرض هتلر وقف الحرب وقفاً تاماً فى الغرب ، وتجلو ألمانيا عن فرنسا كلها ما عدا الألزاس واللورين ، وتحتفظ بلوكسمبرج ولكنها تجلو عن هولندة والبلجيك والنرويج والدنمرك . وأن الفوهرر فضلا عن ذلك مستعد للانسحاب من يوغسلافيا واليونان ومنطقة البحر الأبيض المتوسط بوجه عام ، كما يقدم مساعدته فى الوصول إلى تسوية بين بريطانيا وإيطاليا . وفى مقابل التسليم بهذا كله ، توافق بريطانيا على أن تتخذ موقف الحياد المشبع بالعطف على ألمانيا فى أوروبا الشرقية .

وشرح هس أهمية رسالة هتلر فى الشرق « لإنقاذ الإنسانية » ، مشيراً إلى أن مصانع الأسلحة بإنجلترا وفرنسا ستصبح معتمد الرأسمالية الحرة ضد الشيوعية الآسيوية . وصرح بأن ألمانيا على استعداد لأخذ إنتاج الحلفاء الكامل فى صناعات الحرب ، إلى أن يمكن تحويلها إلى صناعات السلم ، وبهذا تحول دون التدهور الاقتصادى . ولم يدل هس بأية معلومات عن خطط هتلر الحربية فى أوروبا الشرقية ، وقال إن هذه المسألة تتعلق بألمانيا وحدها .

واستغرق رسول هتلر يومين فى سرد مقترحاته . وأكد أن الفوهرر لن يشغل نفسه بالتفاصيل ، وأن بريطانيا تستطيع أن تكتب شروط الصلح بنفسها ، وبما أن هتلر رجل يحب الإنسانية ، فهو شديد الرغبة فى أن يوقف هذه « الحرب الطائشة » مع شعب شقيق — وبذلك يضمن أيضاً الأمن لمؤخرة جيوشه أثناء قتالها فى الشرق !

وقصد كيركباترك إلى رقم ١٠ داونتج ستريت ، وفى جيبه المذكرات الخاصة بالمشروع الألمانى . وأرسل المشروع إلى وشنطن لاستطلاع الرأى ، فأيد الرئيس روزفلت

قرار تشرشل . وهو أن يكون الجواب « كلا ! » . وبذلت لندن ووشنطن محاولات متوالية لتحذير روسيا من الضربات الألمانية القادمة . ولـكن زعماء الروس لم يصدقوا ، أو تظاهروا بأنهم لم يصدقوا !

ولم يبلغ القرار إلى هس ، بل ألقى فى روعه أن عرضه لا يزال قيد البحث والمناقشة . ولما استطاع أن يمشى جىء به إلى لندن بالطائرة ، وهناك تحدث إلى لورد بيفربروك وألفرد دف كوبر ، وغيرهما من زعماء الحكومة . على أن تشرشل رفض طلبه المكرر فى مقابلته .

فلما أفرغ كل ما فى جعبته ، ولم يعد لديه مزيد من المعلومات المفيدة ، أخبر عندئذ فقط بأن مشروعه قد رفض ، وأن بريطانيا قد أصبحت حليفة لروسيا . وعلم هس أيضاً أن قلم المخابرات السرية البريطانى قد اعترض تيار مفاوضاته مع جمـاعة الزمالة ، وأنه لا هاملتون ولا غـيره كانوا يعلمون شيئاً عن زيارته حتى علمت بهـا انجلترا كلها .

وكان لصدمته ودهشته أثرهما فى إحـداث اضطرابه العصبى ، وانقضت فترة كادت تصح فيها رواية النازى عن جنون هس . وحين بلغه خبر غرق البارجـة « بسمارك » ظل يبكى طوال النهار .

وقال هس : إنه ينبغى أن يعاد ثانية إلى ألمانيا لأن له حق العودة ، لأنه إنما جاء رسولا . ولـكن الحـكومة البريطانية رأت غـير ذلك — رأت أنه جاء رسولا إلى أشخاص معينين لا رسـولا إلى الحكومة ، ولهذا أصبح أسيراً ممتازاً من أسرى الحرب. وهو يقيم الآن فى دار ريفية فى ضيعة إنجليزية كبيرة ، ويتمتع بقسط طيب من حرية التنقل فى هذه الأراضى المحاطة بحرس قوى. وهو يقضى معظم وقته فى المطالعة .

وبعـد الحرب ، حين يمكن أن تذاع القصة كاملة ، ستحتل قصة هس المـكان الأول فى قائمة الأعمال البارعة التى اضطلع بها قلم المخابرات السرية البريطانى .

فى أحد معسكرات التدريب ، بكاليفورنيا ، كان الكابتن روجان يفتش على الجنود وحين فرغ من التفتيش التفت إلى من حوله وقال ، وفى لهجته نغم التعنيف : « إن أعمال التخفية متوسطة ، فيجدر بكم أن تتقنوها » . وما كاد يلفظ الـكلمة الأخيرة ، حتى اصطدمت سيارته « بعقر قيادة » كان مختفياً ، وهوت عجلة السيارة فى خندق لم يره الضابط المفتش لإتقان إخفائه !

دَخلَ الأتبرين ـ خرجَت الملاريَا

بولـ ده كروف

شن العلماء الأمريكيون هجوماً موفقاً على عدو مشؤوم لابد من مطاردته، قبل أن يصبح فى وسع الجيوش الأمريكية أن تقهر اليابانيين والنازيين. ففى جميع مناطق الحرب الاستوائية والمناطق المجاورة لها، تكمن بلايين البعوض لتطعن المحاربين بحرابها الملوثة بالملاريا، وهو الوباء الذى يضنى الآن قوى نحو ٨٠٠ مليون نسمة ويقتل نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون كل سنة.

حين فتح اليابانيون جزائر الهند الشرقية قطعوا عن الولايات المتحدة وارد الكينا، وهو العلاج الخاص لذلك الوباء الفتاك. فأنذرتنا العواقب العسكرية لهذا القطع بأنها ستكون مخيفة. وقد صرح الدكتور الجنرال باران كبير جراحى مصلحة الصحة العامة فى الولايات المتحدة، فى شهر أغسطس من سنة ١٩٤٠، بأن الأعمال الحربية الكبيرة فى المناطق الاستوائية لم تعد ممكنة « بغير الكينا أو المركب الكيميائى الألمانى المضارع له قوة وتأثيراً وهو: الأتبرين ». ولكن بالرغم من أن وارد الكينا الطبيعى قد انقطع، فإن أمريكا تنتج القدر الكافى من الأتبرين الفتاك بالملاريا لكى تمون به رجالها ورجال الحلفاء المحاربين.

كان ذلك خطأ من أخطاء الألمان قبل الحرب، فإن شركة الأصباغ الألمانية « فاربن إندسترى »، استخفت بذكاء الكيميائيين الأمريكيين، فهيأت لهم بذلك فرصة الوقوف على طرف من سر الأتبرين. وقد ظل الكيميائيون الألمان عدة سنين يجدون فى صنع الكينا المركبة، إذ كان رؤساهم العسكريون يعلمون أنه لا أمل فى الإقدام على فتح العالم بغير بديل للكينا، لأن المرض يبلغ من الجنود المصابين بالملاريا مبلغاً لايستطيعون معه قتالا. وبمهارتهم الكيميائية التى اشتهروا بها، صنعوا فى أنابيب الاختبار الساحرة أكثر من ألف مركب كيميائى، وجربوها فى طيور مصابة بالملاريا، إلى أن توصلوا أخيراً إلى الأتبرين الأصفر العجيب فى سنة ١٩٣٢. وكانت النتائج التى أسفر عنها حادثاً تاريخياً عظيما.

وكان فعل الأتبرين كالسحر فى المنكوبين بالملاريا، حين ردّهم من قبورهم إلى الحياة. فوردت عدة تقارير من المناطق الاستوائية الموبوءة، تنبئ بأن الأطباء لم يعودوا يخشون الملاريا الفاتكة التى كانت تذيب دماء المصابين، فتخرج مع بولهم سائلا قاتم الاحمرار فيما يعرف بحمى البول الأسود.

ورأى رجال الحرب النازيون المختصون بحركة النقل ، مزية عظيمة فى الأتبرين . فالطن منـــه يشفى ٦٠٠ ألف مريض ، فى حين أن طن الكينا لا يكفى لأكثر من ٣٠ ألف مريض . وقد اختبره الألمان فى رومانيا ، وإيطاليا ، وأسبانيا ، وأفريقيا ، والهند الشرقية ، فجاءهم التأييد العلمى من كل مكان . فبهذا العقار يستطيع الإنسان أن يعيش بصحة جيدة ، متحدياً الأسراب الكثيفة من بعوض الملاريا الفتاك . وقد كان هـذا العقار احتكاراً ألمانياً ، وهو سلاح فذ ، وها هو ذا هتلر يتأهب للوثوب .

ولـكن لم تلبث شركة الأصباغ الألمانية أن ارتكبت عندئذ غلطتها . لقد باع الألمان سر الأتبرين لأمريكا ! وكانوا يظنون أنهم ساوموا على صفقة رابحة ، لأنهـم اغفلوا ، متعمدين ، من بيان التركيب ، بعض العناصر الحيوية ، ولم يحسبوا حساب ذكاء الدكتور شرندال أحد علماء شركة وينثرب الكيميائية. فاكتشف شرندال العناصر الناقصة ، ولكنه لم يستطع الحصول عليها فى الولايات المتحدة . (ومن سخرية الأقدار أن أفتك المفرقعـات (ت . ن . ت) والأتبرين — وأحدهما مدمر ، والآخر دواء شاف — كلاهما مصنوع على أساس كيميائى واحد) . ولذلك استنبط شرندال طريقـة لصـنع الأتبرين من العناصر الأمريكية المتيسرة .

وفى سنة ١٩٣٩ نجح شرندال فى صنع المقادير الكبيرة من الأتبرين الأمريكى ، فهو إذن جدير بأعلى رتب الشرف العسكرى .

وقبل سنة من تاريخ الهجوم على ميناء بيرل ، رأى الدكتور الجنرال باران ، كبير الجراحين ، ببصيرته تلك العواقب السيئة المتوقعة من جراء نقص الكينا ، ولكنه لم يكتف بذلك بل أشار على شركة وينثروب الكيمائيـة بضرورة زيادة إنتاج الأتبرين فى أمريكا . فلم تنتظر هـذه الشركة حتى تطلب الحكومة منها أو أن تمولها ، بل استعانت بشركة مرك فزادت إنتاجها من خمسة ملايين إلى ٥٠٠ مليون حبة فى السنة . وقد طلب جيش الولايات المتحدة من عهد قريب ٢٧٠ مليون حبة من تلك الحبوب الصفر ، وهى سلاح لا غنى عنه لكسب النصر فى هـذا الصراع العالمى . وتعـلم القيادة العليا الأمريكية أن الأتبرين هو الذى يعين فتيانهـا على أن يقفوا على أقدامهم يقاتلون أينما كانوا . وقد أرسلت ملايين من حبوب الأتبرين بالطائرات إلى البرازيل . وكذلك أرسلت ملايين أخرى إلى تركيا ، لأن هـذه الأمة جعلت تعهد أمريكا بوقاية تركيـا من شر الملاريا ، فى المقام الأول من اتفاقاتها التجارية .

وكان من مزايا الإنتاج الأمريكي أن هذا المركب المنقذ للحياة ، الذى كانت تحتكره ألمانيا ، نقص ثمنه ، من ٦٦ ريالا لكل ألف حبة فى سنة ١٩٣٣ ، إلى ٤½ ريال لكل ألف حبة فى سنة ١٩٤٢ . ومعنى ذلك أن هذا المرض إذا تفشى ، لم يزد ما يتكلفه علاج الإصابة الواحدة على ١٢ مليما .

ومن أخبار الحرب أن اليابانيين لا يمكنهم أن يصنعوا الأتبرين ، وأن الهولانديين أحرقوا غابات الكينا ، قبل تخليهم عن الهند الشرقية إحراقاً تاماً . وقد يخطر لك أن تسأل : ألم تحل الملاريا هى وقاذفات القنابل أيضاً بين اليابانيين وبين بورت مورسبي فى غنيا الجديدة ؟ فإن كثيرين من اليابانيين وجدوا موتى بغير جروح فى أبدانهم .

على أن قوة الأتبرين ، المنقذة للحياة المانحة للعافية ، تبشر بما هو أكثر من حفظ رجال الأمم المتحدة أقوياء قادرين على القتال فى غابات العالم الموبوءة بالملاريا . فإذا ضمت قوة الأتبرين إلى أساليب المهندسين للسيطرة على البعوض فى الولايات المتحدة الأمريكية ، أمكن أن تقطع سلسلة العدوى المميتة من الإنسان إلى البعوض ومن البعوض إلى الإنسان . لأن هذا القاتل الخبيث لا يزال يلوث نحو خمسة ملايين نسمة فى القسم الجنوبى من أمريكا ، ولا يزال يسبب خسارة اقتصادية تقدر على الأقل بألف مليون ريال فى السنة . وهى تضارع سوء التغذية فى هدم القوى المنتجة فى الولايات الأمريكية الجنوبية .

وبفضل الأتبرين أصبح فى الوسع القضاء على هذا الداء الشيطانى المضنى . ففى سنة ١٩٣٤ بدأ الدكتور وينشستر يعالج بالأتبرين المصابين بالملاريا فى مقاطعة جلين من ولاية جورجيا ، وكانت الملاريا تضنى يومئذ نحو ٧٠ ٪ من السكان . فأصبحت الملاريا بعد ذلك نادرة الحدوث هناك بل لم تحدث من جرائها وفاة واحدة منذ ٦ سنوات . وهذه النتيجة الباهرة يمكن أن يصل إلى مثلها أطباء مصلحة الصحة ورجالها .

على أن الخير المأمول من هذه الحبوب الصفر لا يرجى فى أمريكا وحدها ، بل هو أمل نحو ٨٠٠ مليون مصاب بالملاريا فى جميع أنحاء العالم ، يموت منهم كل سنة بضعة ملايين . وسنواجه بعد الحرب عالماً مريضاً مشوّهاً جائعاً سقيما متهدّماً . ونحن لا نستطيع أن ننشئ عالماً جديداً ونصف أهله يجرون أقدامهم ضعفاً ، أو ينتفضون من رعدة الملاريا ، على حين أن شفاء المريض لا يكلف إلا اثنى عشر مليما . وستنهض أمريكا ببعض ما يجب عليها فى هذا البناء الجديد ، بإنتاج ملايين الملايين من حبوب الأتبرين وتوزيعها فى أرجاء العالم .

ملخصة عن « مجلة كوليير »

حين أقلعنا من سنغافورة يوم الإثنين ٨ ديسمبر سنة ١٩٤١ ، لكى نعترض القوافل المتجهة إلى مالايا لتعزيز اليابانيين ، كنا على حد قول الأميرال فيلبس « نبحث عن الململات » ، فوجدناها

أقبل صباح الأربعاء والبارجتان « ريبلص » و « وبرنس أوف ويلز » كلتاهما ما فتئت تطارِد وتطارَد. وفى الساعة الخامسة والثلث من مساء أمس ، تمكنت طائرات الاستطلاع اليابانية من رؤيتنا خلال فرجة فى الغيوم الرقيقة القليلة الماء . فبتنا طوال الليل الماضى نتوقع هجوماً علينا .

لم يكن هناك ما يقلق بالى ، فتحتى سفينة مدرعة تفريغها اثنان وثلاثون ألفاً من الأطنان — طراد القتال ريبلص . وحولى ألف ومائتان وستون بحاراً باسلا . وعلى نصف ميل من أمامى البارجة « البرنس أوف ويلز » تمخر بحر الصين الجنوبى ، على مائة وخمسين ميلا إلى الشمال من سنغافورة . وكانت هذه السفينة الكريمة تشق اليم فى تيه كأنها لا تقهر ، فعزز ذلك شعورنا بالأمان . وكانت المدمرات اليقظة تحف بنا ، وهى سفن صغيرة كالأقزام بجانب البارجتين العظيمتين ، حتى بدت مسايرتها لهما كأنها تطاول وسوء أدب .

لقد انقشعت الغيوم وبدت السماء زرقاء مغبرة ، وهاهم البحارة ، على رءوسهم خوذ

عين سسيل براون مراسلا لشركة كولومبيا الاذاعة فى روما فى يناير سنة ١٩٤١ فلم تنقض أسابيع حتى سخط موسولينى على إذاعات برون فاضطر أن يغادر الحاضرة الايطاليه ، فذهب منها إلى بلجراد فما لبث أن طرده الجيش الألمانى منها إلى كريت فالاسكندرية . ثم سافر إلى سنغافورة فإذا هو هناك فى محتدم القتال .

القتال ، رابضون فى يقظة وتحفز قريباً من مدافعهم . وها هى مدافع « البوم بوم » وهى مدافع مضادة للطائرات عالية المرمى مركبة ثمانية فى بطارية واحدة، مشرعة إلى الفضاء . وها أنا واقف على دكة العلم حيث أستطيع أن أشاهد القتال، لابساً قناعاً يغطى الرأس والكتفين ، فيقهما من الحروق التى قد تنشأ عن نار القنابل المتفجرة .

فى الساعة الحادية عشر صباحاً هدر فى أنابيب التخاطب بالبارجة صوت : « طائرات العدو تدنو. إلى مواقع القتال » . وقد رأيتها مقبلة على ارتفاع عشرة آلاف قدم ، كأنها عقد مستطيل من حجارة الياقوت على بساط السماء الزرقاء .

وإذا مدافع « البرنس أوف ويلز » و « الريبلص » تنطلق ، ودويها يصم الآذان ، وبريقها يخطف البصر . ثم أرى فجأة أمامى قنابل كأنها تجسمت من لا شىء ، تنهال علينا وكأنها قطرات من الدمع تضخم وتضخم كلما دنت — إنه مشهد يبعث الجمود والقشعريرة فى النفس والجسم .

ها هى تسع طائرات يابانية منتظمة سرباً فوق رءوسنا . وإذا الماء حولنا يفور فجأة فى صورة أهرامات بيض من الزبد ، فيبللنا ونسمع فى الوقت نفسه سقوط قنبلة على دكة قاذف الطائرة .

ثم أسمع صيحة : « نار فى الحظيرة » ، فأعدو لأرى مبلغ الضرر ، فأرى الطائرة منحرفة عن شريطها . وأشاهد ، على الرافعة طياراً نيوزيلندياً أصهب شعر العارضين ، من طيارى الأسطول ، وهو يحاول أن يلقى بالطائرة فى البحر ، لأن ما فيها من بنزين ملتهب ، خطر عظيم . وكان رجال المدافع رابطى الجأش ، يملأون مخازنها بالذخيرة وهم يضحكون . وأسمع منهم من يقول : إنهم والله يقذفون قنابلهم قذفاً محكماً .

وأرى الماء يفور على ثلاثة أميال إلى ميمنة البارجة . ثم أسمع هتافاً : « لقد أصبناه » .

الدخان يندلع اندلاعاً من دكة قاذف الطائرة ، ويصعد للمعاونة والإسعاف أربعة من موقدى النار قد اسودت وجوههم ، واحترقت جلودهم ، فى نفوسهم السكينة ، ولكن بصرهم زائغ ذاهل ، وأيديهم ترتجف . ليس هذا منظراً يسر .

وفى الساعة ١١ : ٤٠ بدا كأن البرنس أوف ويلز قد أصيبت . فقد خفضت سرعتها وانصرفت الطائرات ، فأشعلنا سجائرنا، واستنشقنا دخانها استنشاقاً عميقاً أقرب إلى آهة المكلوم .

ولكن فترة السكون لم تطل . ففى الساعة ١١ : ٤٥ بدت فى السماء بقع بعيدة — هى تسع طائرات من قاذفات الطوربيد ، فحومت

على ارتفاع ألف قدم . إنها تبدو الآن كأنها فراش يحوم حول نيران مدافعنا ، ثم تنخفض فيهدر فى أنابيب مخاطبات البارجة أمر بالاستعداد ، انتظاراً لإطلاق نيران المدافع . وفى لمحة يزمجر كل مدفع من مدافع الريبلص فتهتز البارجة وترتجف ، وإذا صوت إلى جانبى يقول : « انظر إلى هؤلاء الصفر ... كيف يهجمون ! » . والريبلص تسير الآن فى طريق ملتو لتجتنب الطرابيد . وأقف أنا قريباً من مدفع « ڤيكرز » المتعدد الفوهات وهو يقذف ألفى رصاصة فى الدقيقة ، كل رصاصة منها من عيار نصف بوصة .

وعلى مقربة منى مدفع « بوم بوم » ، مثمن الفوهات ، يقذف ما فيه . وعلى ست أقدام منه مدفع مضاد للطائرات بعيد المرمى ينفث حممه ، ولكن أنبوبته مشرعة على محاذاة الأفق لا إلى كبد السماء ، لمقابلة قاذفات الطوربيد المندفعة فى رشاقة على ارتفاع مائة قدم فوق سطح البحر . وعلى المدافع يسيل سائل بارد لتبريدها . وكانت النفاطات التى انتفخت حين اشتدت الحرارة على دهانها ، فى حجم كرات التنس . ورجال المدافع شبان متحمسون خطفت سورة القتال أنفاسهم ، وتحدر العرق خطوطاً على وجوههم ، وهم يتحركون ، كأنه شريط سينمى يعرض عرضاً سريعاً .

وألقت طائرة طوربيداً على بعد ٣٠٠ ذراع . ولكن قذائف مدافعنا شقت جنب الطائرة . إن الرصاص الخطاط من مدافع «بوم بوم» و « ڤيكرز » يتقاطع فى الفضاء على مستوى البصر تاركا وراءه خطوطاً دقيقة بيضاء منحنية بعض الانحناء . واللهب البرتقالى مندلع من المدافع التى عيارها أربع بوصات . والطائرات الرمادية قريبة جداً حتى لأستطيع أن أرى ملامح الطيارين — إنها قريبة جداً ، وكأنها فراش سمّر على لوحة زرقاء .

على عشر أقدام منى ثلاثة مدفعيين يسقطون على الأرض ، وفى أجسامهم رصاص من رشاشات اليابانيين . وهذه قاذفة طوربيد قد ألقت طوربيدها ومالت دون أن ترتفع . إنها تكاد تسبح على سطح الماء موازية للريبلص ، والرصاص الخطاط يخترقها . ثم بعد لحظة تصدم الماء فتشب فيها النار .

وأعدو إلى الجانب الأيسر من البارجة حيث أجد قاذفة طوربيد أخرى مقبلة . إنها تنحرف إذ تكون على مائتى ذراع منا . ولا أرى الطوربيد . الطائرة مشتعلة ، ثم تهوى نحو البحر ، ثم يغمرها الماء ، ثم ينبسط فوقها كأن لم يكن شئ .

وينتهى هذا الهجوم الساعة ١١ : ٥١

ويمر بى بحار راكضاً لينقل رسالة إلى دكة المرقب من البارجة البرنس أوف ويلز : « تعطلت عجلة التدوير » . إن طبقات البارجة ريبلص غاصة بظروف القنابل . وعلى وجوه البحارة مزيج من الدهشة ونشوة الفرح ، ولكننى لا أتبين خوفاً أو بغضاً للمهاجمين. إن هذا فى نظر البريطانيين سباق . ويلتفت إلى ضابط ويقول: « هؤلاء اليابانيون شبان شجعان . إن هجومهم هذا يجارى فى إحكامه أروع هجوم يحتمل أن أراه» .

وفى الدقيقة الأولى بعد الساعة الثانية عشرة جاءوا ثانية . عشر قاذفات طوربيد تشن علينا غارة من كل جهة وزاوية . وأخشى ما نخشاه أن يهوى اليابانيون بطائراتهم وأنفسهم على السفينة . هذه طائرات تهجم على مقدم السفينة من اليمين ومن اليسار ، من أمام ومن وراء ، وهذه قاذفة تهجم علينا من فوق وأخرى تقذف طوربيدها من الخلف . إن رائحة « الكوردیت » المتفجر خانقة ، ووميض القنابل المتفجرة يؤذى عينى .

والهجوم الآن كالهجوم من قبل — يبدو أن قاذفات الطوربيد الجريئة الباسلة لا تبالى بنيران البريطانيين ورصاصهم المرتفعة إلى الفضاء كأنها جدار متماسك . وسطح الماء تخططه مسالك الطرابيد .

وهذا هتاف آخر يعلو من جانب السفينة — لقد أسقطت قاذفة أخرى .

ولولا مايثيه المشهد من الروع ، لكانت أجزاؤه متلاحقة تلاحقاً رتيباً ، مألوفاً — أساليب اندفاع الطائرات، وإلقاء الطوربيد ، وقذف ظهر السفينة برشاشاتها ، ثم تنصرف مزمجرة . والآن انصرفت جميعها . ومن يستطيع منا أن يشعل سيجارة لا يتوانى فى إشعالها .

وفى الساعة ١٢:٢٠ أرى عشر قاذفات تدنو ، فيدوى الأمر فى أنابيب المخاطبات « تأهبوا لإطلاق نيران المدفعية » ، فتنطلق ألسنة الجحيم هناك طائرة على ٥٠٠ ياردة إلى يمين البارجة منقضة على وسط السفينة فينطلق الرصاص الخطاط لملاقاتها ، ولكنها تمضى فى طريقها ، ثم تبدو هنيهة كأنها معلقة فى الهواء على مائة ذراع فوق سطح الماء . ويسقط الطوربيد ويشق طريقه فى الماء إلينا . إن فى مراقبته لسحراً مدمراً .

يصيب الطوربيد مؤخر البارجة على نحو عشرين ذراعاً من موقفى ، فأشعر كأن السفينة قد اصطدمت بجدار حوض ، فاتقذفت من موقعى أربع أقدام ، وأخذت السفينة فى الحال تميل على جنبها ، وإذا الصوت فى أنابيب المخاطبة يقول : « انفخوا أحزمة النجاة » ، فبدأت ألبس حزامى .

وفى الحال أصيبت السفينة بصدمة أخرى فى جانبها الأيسر ، وقبل أن أنجز نفخ حزام النجاة جاء صوت الكابتن وليم تننت الرزين فى مضخمات الصوت : « إلى ظهر السفينة جميعاً . ابرحوا السفينة . كان الله معكم » .

فنندفع على السلالم لكى نبلغ دكة الضباط أمام الصارى . إن رباطة جأش الجميع لاتكاد تصدق ، فلست تجد أحداً يدفع آخر . ورأى أحد الضباط صبياً يهرول فقال له فى هدوء ولطف : « مهلا ! نحن جميعاً سائرون أيضاً فى هذا الطريق ! » .

وقريباً من مدفع « بوم بوم » رجلان ميتان . ورأيت أربعة بحارة يحملون زميلا لهم مصاباً فى فخذه برصاص رشاش إلى حافة السفينة ، ويقذفونه إلى البحر ليتيحوا له فرصة للنجاة . ورأيت زورق نجاة تكدست فيه البحارة والضباط ، فتسلقت حبلا لأبلغه وأقذف نفسى فى إحدى زواياه المعرضة للخطر ، فصاح أحدهم : « إن هذا الزورق لن ينزل إلى البحر » . والواقع أن جميع زوارق النجاة فى الريپلص لم تنزل إلى البحر. فاندلقنا منه . وانحدرت عشر أقدام على الدكة المائلة الزلقة فاصطدمت بطابية مدفع . فلممت نفسى وزحفت مترنحاً على يدى وركبتى ، ممسكا بكل ما تناله يداى ، حتى وصلت إلى حافة السفينة التى تكاد تكون الآن مضطجعة على جنبها . فى الماء خمسمائة رأس على الأقل تعلو وتنخفض ، ومن صوارى السفينة فى مقدمتها ومؤخرتها يقفز الرجال مسافة تسعين قدماً إلى البحر،وأحدهم يعجز عن القفز مسافة كافية فيرتطم بجسم السفين فيسقط فى البحر كتلة رخوة كأنه كيس من الأسمنت ، ويسقط أحدهم فى المدخنة .

لقد تحولت الحالة فجأة إلى مشهد لا يصدق فالبحارة يقذفون من السفينة إلى البحر كل شىء يطفو ، وأرى « البرنس أوف ويلس » وهى تغرق يلفها الدخان . والرجال حولى ينزلقون على جنب السفينة إلى البحر، فتعترض انزلاقهم حوائل بارزة فى جنب السفينة ، فينقذفون فى الفضاء ويسقطون فى الماء . وهذا ضابط كان فى الليلة السابقة قد قال لى : « إن كتاب «أليس فى بلاد العجائب» أفضل ما يقرأ فى أيام الحرب » ، فأراه الآن يقفز ليغطس فى الماء ، فيخطىء القفز فيموت .

وبعض البحارة قفزوا من مؤخرة السفينة فتلقفتهم مراوح محركاتها التى لاتزال دائرة ، فمات اثنا عشر بحاراً منهم على الأقل هــذه الميتة . وأعلى غطسة هى غطسة صبى بحار قفز من أعلى الصارى الأكبر فأنقذ .

وأنت تفعل أفعالا غريبة فى مثل هــذه الأحوال . فقد خلعت حــذائى ووضعتهما جنباً إلى جنب ،كأننى أصفهما قبل النوم

قريباً من مؤخرة السرير . وشاهدت مصور الأميرالية يفعل مثل هذا السخف ، يفتح خزانة زورق النجاة ، ويضع فيها جهاز تصويره الثمين ، ثم يقفلها بعناية .

وانزلقت على جانب السفينة ثم أثبت قدمى فى نافذة إحدى قمراتها ، وخلعت خوذتى الفولاذية . وعلى عشر أقدام منى كان جنب السفينة مبقوراً . ولسبب ما أكره أن أغادر هذه السفينة المائلة — مع أن إقامتى هنا محفوفة بالخطر — لأخوض هذا المائع الزيتى القذر المائل تحتى . ويقف إلى جانبى بحار ثم يمد ذراعيه ويغطس . حسن . لقد عزمت ، فأقفز وأسبح وأمسك بقطعة من خشب ، وحين أصبح على خمسين قدماً من « الريبلص » ، أحس بقوة الامتصاص الذى يحدثه غرق البارجة . فيغمر الزيت رأسى ، وأبتلع كثيراً من هذه المادة الكريهة .

واسمع من يدعونى : « هل أنت بخير ، ياعمّ » ، فأقول : « نعم » ، وأعب قدراً آخر من الزيت . ولكننى فى الواقع أنظر نظرة متشائمة إلى حالق ، فلا بد من السباحة نصف ميل قبل الوصول إلى مدمرة . إن المدّ والزيت يجعلان السباحة شاقة .

ويصيح بحار على عشر أقدام : « لقد أصابنى تشنج فى عضلة فخذى » ثم يختفى .

وأرى أربعة آخرين أو خمسة تخور قواهم ثم يغورون بغير نبأة صوت . وهذا ضابط ينفخ أحزمة النجاة لخمسة أو ستة من البحارة فى الماء ، فيسبح أقواهم حتى يدنو من الضعاف الذين بدأت عيونهم تشخص ، ويتعلق بعضهم بقطع من الخشب الطافى ويعين الآخرين . ما أكثر الوجوه التى ضرّجها الدم وكساها الزيت ! وبعد أن انقضت على فى الماء ٥٥ دقيقة تمكنت من السباحة إلى زورق كان مزدحماً بمن فيه ، فجذبنى أحد رجال الفرقة البحرية وحمانى من السقوط . وقد مات أحد البحارة فى هذا الزورق من الإعياء ومن الزيت الذى ابتلعه ، فألقى فى البحر ليأخذ مكانه آخر كان فى الماء على مقربة من الزورق . وبعد ساعة ونصف ساعة يصل الزورق إلى مدمرة فيرمى إلينا بحبل منها .

إن الأميرال فيلبس والكابتن ليتش ، غارا مع البرنس أوف ويلز ، ولكن الكابتن تننت قائد الريبلص قد أنقذ .

وسألت عن الضابط الذى كان ينفخ أحزمة النجاة للبحارة المشرفين على الغرق والموت ، ولكن يبدو أنه نزع حزامه وهو فى الماء ، وأعطاه لبحار قد عجز عن السباحة ، فلم يكن هذا الضابط بين الناجين !

لو أنفق أصحاب الأعمال من الوقت والجهد فى كسب صداقة العمال ومعاونتهم ، مثل ما ينفقونه فى مكافحة هيئاتهم ، لما كانت هناك مشكلة عمال .

الصلة الشخصية فى مسائل العمال

شرمان روجرز

ملخصة عن صحيفة أنباء العمال

نشرت مجلة « ريدرز دايجست » هذه المقالة ، فى عددها الصادر فى شهر أغسطس ١٩٢٣ . وقد أعيد نشرها من عهد قريب فى إحدى صحف العمال ، فنالت ثناء طيباً من زعماء العمال وأرباب الصناعات على السواء . فمجلة « ريدرز دايجست » تعيد الآن نشر هذه المقالة ، بعد انقضاء عشرين سنة على نشرها أولا ، لاعتقادها أن نشرها مشاركة قيمة فى بحث مسائل العمل فى سنة ١٩٤٣ .

كنت أعمل فى أحد مصانع السفن بمدينة سياتل سنة ١٩١٧ عندما أعلن أن تشارلز شواب ملك الفولاذ سيخطب فى العمال فى موعد معين . وقضى العمال أياماً ينددون به ، ويصفونه بأنه مبغض للعمال وأمير مختال من أمراء الصناعة . ولكن حين خطب فيهم ، وكانوا أربعة آلاف فى ملابس العمل ، نسوا جميعاً أن الخطيب رجل غنى . إنه كشف لهم عن قلبه ، ومزق الحجاب القائم بينه وبينهم ، حجاب سوء التفاهم ، ودك حاجز التميز بين الطبقات . فهتفوا له هتافاً لم يهتفوا بمثله لإنسان آخر . ففى نصف ساعة ، تغلب شواب على البغضاء التى بثها المحرضون المغرضون خلال خمس عشرة سنة.

والسر فى هذا هو « الصلة الشخصية » . فكل رجل يحب عماله يستطيع أن يلقى خطبة كخطبة شواب . وقد تبينت فى جميع أرجاء الولايات المتحدة ، أنه حيث يكون صاحب العمل محباً لرجاله ، ويظهر لهم حبه فإنه لا يجد مشقة ما فى الظفر باحترامهم الصادق ، ومعاونتهم جميعاً .

ان مشكلة العمل والعمال تبدو أشد تعقيداً مما هى فى الحقيقة . ولكن الموضوع يجب أن ينظر فيه على ضوء أربعة مبادىء .

أولا : أن لكل مسألة ثلاث نواح ، ناحيتك ، وناحية الفريق الآخر ، وناحية

الصواب والحق . فلم تقم حتى الآن مشكلة ما من مشكلات العمال ، كان فيها أحد الفريقين فى جانب الصواب والحق مائة فى المائة . وعندما يجتمع صاحب العمل وممثل العمال ويتبادلان الرأى يصلان إلى الصواب .

ثانياً : ليس فى التاريخ ولا فى العالم كله رجل بلغ من العظمة بحيث يستطيع أن يحقد ويعقل فى وقت واحد .

ثالثاً : جميع الناس تقريباً ، مهما تتباين ملابسهم ، يريدون الإنصاف . وانقطاع الصلة الشخصية يعنى فقدان التفاهم . وكثيراً ما يفضى فقدان المشاركة الودية إلى الريبة ، وهى تولد بدورها الخوف والبغضاء ، وفى هذه الحالة يتعذر تحكيم العقل .

رابعاً : يكثر بين المعلمين ، وهم الرؤساء المباشرون للعمال ، من لا يعنى برغبات العمال والفوز بولائهم . وفى وسعى أن أقول — مستنداً إلى تجاربى — إن الطبقة القديمة من المعلمين كان يندر فيها من يطلع العامل على أن الرؤساء يقدرون جهده وعمله .

ونحن نندد بالمحرض ، ولكن المحرض لا بعد خطراً إلا حيث يكون صاحب العمل مخطئاً . والمحرض لا يستطيع أن يفوز بصداقة العامل إلا حيث تأبى إدارة العمل أن تبسط له صداقتها .

وأستطيع أن أورد أسماء مصانع كثيرة حلت فيها الثقة والاحترام ، محل الريبة والبغضاء ، فى سنوات . فقد عنى أصحاب هذه المصانع بتوثيق أواصر الصداقة مع العمال ، كما كانوا يعنون بتوثيقها مع معارفهم فى الهيئة الاجتماعية . والذين حاولوا هذه المحاولة ، عجبوا لما يعانيه العمال من مشاق . فقد كشفوا مساوىء كثيرة ما كانوا يدرون بها ، وهى مساوىء تبدأ صغيرة ، ثم تتضخم وتتحول إلى إضراب تلازمه البغضاء .

وقد أتاح هؤلاء الرجال لعمالهم فرصة لبحث أحوال العمل ، بحث الند مع الند ، لا بحث المرءوس مع الرئيس . وأنشأوا نظاماً للتمثيل الصناعى ، فينتخب العمال بمقتضاه ممثلين لهم ، فيجتمعون بعدد مماثل من ممثلى أصحاب العمل للبحث وتسوية وجوه الخلاف . فالمحرض الذى يحرض لغرض فى نفسه ، لا يجد مجالا للعمل فى مثل هذا الجو ، لأن صدق كل قول أو فساده ، يمكن بحثهما حول مائدة المؤتمر .

إن حل مشكلات العمال ترجع إلى الفطنة . وأنت توحى بالثقة والتعاون ولا تفرضهما فرضاً ، وتوحى بحسن النية والاحترام ولا تنتزعها انتزاعاً ، أى أنك تستطيع أن تقود رجلا طيباً خلال نار الجحيم ، ولكنك لا تستطيع أن تسوقه خطوات قليلة .

هذه نظرة تحليلية حقيقية مؤثرة لروح « ريف »
الصغير التي لا تقهر ، ولأعمال قلبه العجيب

من صميم الحياة

هنرى مورتون روبنسون

رقد « ريف » الصغير فى مهده الوثير ، يرسل الصيحات إلى السماء التى حجبتها السحب المتراكمة ، ويشير إليها بأصابعه الرخصة . كان هذا لقاءنا الأول ، ولم يكن شىء فى وجهه المتورّد المستدير وقناعته الساذجة ، ينبىء بأنه سيكون من أولئك الأطفال الذين كتب على أحدهم أن يكون ربيباً يضمه بيت غير بيت أبيه . قالت لى أمه الجميلة : « يجب أن تكونا صديقين ، لأن ريف مغرم بالأصدقاء الكبار . انظر ، إنه يحبك ! » . قالت ذلك حين افترّ ثغر الطفل عن ابتسامة حلوة ، فرحبت بهذه الصداقة بالألفاظ المألوفة ، مما يجرى على لسان من يشغفهم حب الأطفال . وهكذا بدأت صداقتنا الباقية التى دامت سنين قصيرة .

لم ترفرف السعادة طويلا على طفولة « ريف » ، فلقد انفصل أبواه بالطلاق . وراحت الأم تقف حياتها على أن تروى ظمأ ولدها اللانهائى إلى الصداقة والحب . غير أن كل ذلك لم يكن ليدرأ عن ابنها مأساة توشك أن تنزل بساحته .

وكان لريف مربية تدعى جينى ، اتخذت لها صديقاً شاباً . فأرغمها — ذات ليلة — على أن ترافقه إلى حفلة راقصة . وكان ريف على غير عادته قلقاً . ولكنها استطاعت بعد عناء أن تهدهده فنام . وخشيت جينى أن يهب ريف من نومه فى ضمير الليل فلا يجدها . فارتكبت — جاهلة — أمراً فظيعاً . ترامى إلى سمعها أن الكلوروفورم يضمن نوماً عميقاً ، فنشقت الطفل قدراً من الكلوروفورم ثم انسلت خارجة .

ولما تسللت أمه إلى مضجعه لتقبله ، خيل إليها أن الطفل قد مات ، فاستولى عليها الفزع ، وانطلقت توقظ كل من فى الدار . فعلمت أن المربية غادرت الدار ثم لم تعد للآن . وجاء الطبيب فظل يعمل ساعة كاملة لينقذ الطفل الهامد ، ولم يخبر الأم الحزينة بما كان من تخديره ، حتى عاد الطفل إلى الحياة .

وبعد أيام قليلة ابتدأ ريف يحس أزمات

عصبية عنيفة ، وراح جسمه النحيل يتحطم تحت تأثير تشنجات لا إرادية . ولم يكن الطبيب متثبتاً من حقيقة الأمر : أهو الكلوروفورم قد مزق أنسجة المخ ، أو أنه أظهر حالة كانت مختفية فيها . وجيء بالأطباء المتخصصين ، ولكن مهارتهم وكفاياتهم لم تجد نفعاً .

وكانت الأم تحتضن ابنها بشدة كلما أصابته نوبة ويظل بين ذراعيها حتى يسرّى عنه : هذا هو العلاج الوحيد الذى تستطيعه الأم ! وربط هذا الضرب المخيف من الحزن بين الأم والابن برباط من الحب لا ينفصم . ففى بعض الأحايين ، وقد أولمت الأم وليمة غداء، كانت المربية تدخل عليهم، وتومئ إليها فتهب الأم فى ثبات وتسرع إلى طفلها ، تهدئ من روعه حتى تنجلى محنته ، فإذا ما عادت إلى ضيوفها لم ينبئ هدوءها الظاهر عما كانت فيه هى وابنها من ألم مدمر .

ثم تزوجت الأم مرة أخرى ... تزوجت من رجل عصبى المزاج ، أنانى ، يحبها أشد الحب . وكان له ابن يدعى بول وهو فى مثل سن ريف . وكان يتراءى للرجل وزوجته ـ فى اللحظات الحالمة ـ أن الطفلين سيكونان توأمين حقيقيين . غير أن الأمور جرت بعكس ما أرادا ، فأبرزت قوة بول ضعفَ ريف ، ثم استحال ما كان فى قلب بول من الهوى لأخيه — رويداً رويداً — إلى إهمال ثم إلى احتقار .

وأصبح الزوج غيران، لانصراف زوجته بكل قلبها إلى ولدها ، ولم يكن الرجل — وإن جهد — يستطيع أن يكتم غيظه ، فكان يعامل ريف بفنون من الدهاء . ففى ذات مرة ، حينما كان يدرب ريف على قذف كرة المطاط ، أخذ الطفل يرتجف فصاح به فى غير أناة : «لا ترتعد!» ، فاندفع الطفل إلى الدار وهو يبكى بكاء مراً ، ثم لم يسمح له ، بعد ، أن يلعب الكرة ، لأن المباريات الرياضية كانت فوق طاقته . وكثيراً ما كنت أراه يطل من نافذته ، كأن وجهه بقعة صفراء شاحبة، وهو يحدق بلهفة فى بول ورفاقه الأشداء ، وهم يعبثون فى خشونة . وتقبل صديقى الصغير ، طرده من الحديقة التى هى متعة الطفل .

وأدرك ريف بغريزته أن مرضه يؤرّث فى زوج أمه البغضاء المنبعثة من غيرته ، فصار كلما شعر بالنوبة المضنية تكاد تجتاحه ينطلق إلى حجرته ، وحين يفيق ضعيفاً منهوكا ، يرتجف لسانه ، دائماً — أول ما يرتجف — بسؤال فيه اللهفة : « هل رآنى أبى » ؟

وفى ذات ليلة ، حين كان أفراد الأسرة الأربعة يتناولون عشاءهم فى حجرة

الطعام ، أخذ ريف يهتز فى مقعده ، فصاح به الرجل يأمره : « اجلس فى مكانك هادئاً » . ولـكن الطفل البائس لم يستطع أن يسيطر على أعصابه المضطربة ليوقفها ، فانطلق الرجل إلى الطفـل ، فى غيـظ ، يلطمه ، وراح الطفـل يكفكف الدمع فى دهشة وألم . وظل مضطرباً حتى أخبرته أمه أنه يستطيع أن يغادر المائدة . وحين أمسك الطفل بيـد زوج أمه ليحييه تحية المساء ، نظر إليها ثم قال : « لو كانت لى يد كبيرة مثل هـذه ، وكنت أنت صغيراً ، لما لطمتك ! »

وزادت هـذه الانفعالات من خطورة مرض ريف ، فنصحه الطبيب أن يلجأ إلى الوحدة والهدوء التام . وعقـد العزم أن ينتقل ريف وأمه إلى جزيرة صـغيرة فى وسط نهر هادئ ليعيشا هنـاك فى خلوة . وكانت هذه الجزيرة ، حقاً ، حرماً آمناً ، إذ لم يعبر القنطرة المؤدية إليه أحـد أبداً . وكانت أم ريف تتناول البريد والطعام من عنـد القنطرة . ثم هما يقضيان الساعات يصطادان السمك بالشص ، وفى خواطرهما أن ما فى هذا النهر المنساب من سحر ، سينفث النشاط فى هـذه الأعصاب المحطمة . وكانا يقفزان معاً من فوق الصخور . غير أن ريف — واأسفاه — لم يكن يحسن هذه الرياضة . وكانت الأم تظل تقرأ له القصص ليلا حتى يغلبه النوم . ولربما كانت هـذه الشهور الطيبـة ، على الجزيرة ، هى أسعد الأيام فى حياة الطفل .

غير أن صحتـه لم تتقدم ، وما من فائدة ترجى من طول بقـائه على الجزيرة . وفى النهاية أشار الإخصائيون أن ينقل إلى مستشفى منعزل شهير أعد لضعاف الأطفال ، وكان هذا هو الأمل الباقى فى شفائه .

وقبـل أن يبرح إلى المستشفى طلب إلى أمه : « أرجوك يا اماه ، أن نلتقط لنا رسما معاً » . وانطلقا إلى المصور ، وفى أثنـاء التقاط الصورة استشعر ريف الصغير الضنى لهـذا الفراق ، فطوق أمه بذراعيه يضمها إليه ضمة شـديدة ، وفى هـــذه اللحظة السـاحرة التقط المصور الصورة بإتقـان . وحين رأى ريف الرسم صـاح بالمصور « كبره ، كبره كثيراً ! » . وعلقت الأم الصورة الـكبيرة فوق سرير الطفل بالمستشفى .

وحينذاك جمع صـديقى كل قوته ليقاوم — فى عزم — المأسـاة التى كانت تلتهم حياته . فلقد كان يحس مرارة الكأس التى تدفع إلى شفتيه ، ولـكنه ظل مطبقاً أسنانه فى صمت ورباطة جأش ، ويبدو أنه أدرك أن الذهاب إلى المستشفى هو آخر فرصـة لشفائه . وحين قبلته أمه قبـلة الوداع راح

يمنع العبرات أن تفيض من عينيه العسليتين الحزينتين . وقال لها بعدها : « سأ كون ابناً باراً ، يا أماه ، وحين أجد العافية أعود معك ثانية إلى الجزيرة ، وأحاول أن أقفز من فوق الصخور خيراً مما كنت أفعل » .

وكانت نعمة عظمى أن كبيرة الممرضات فيرونيكا ، تنطوى ضلوعها على قلب كبير يستطيع أن يسع كل الأطفال المرضى الذين تحت رعايتها . ونشأت صلات ممتازة بين ريف وهذه المرأة الرحيمة ، ثم أخذت هذه الصداقة تتأصل كلما زاد مرض الطفل . وأصبح الطفل نحيلا جداً ، وجاءته النوبات فى فترات قصيرة ، واستولى عليه الأرق . ولطالما كانت فيرونيكا ترى الطفل المؤرق يرقى إلى صورة أمه يتتبع ملامح وجهها بأصابعه فى شوق . وسمحت كبيرة الممرضات للطفل أن ينسل إلى حجرتها إذا ما استعصى عليه النوم ، ويطرق بابها فى رفق . وهناك — فى حجرتها — كان يجد الراحة والعناية حتى الصباح . وأخذت شعلة حياة الطفل تخمد ، وصارعه المرض ليغلبه على جسمه ، غير أنه لم يستطع أن يمس كبرياء نفسه التى لا تتزعزع . فما نبس مرة بالشكوى ، ولا ندب حظه ، بل هى عبرات قليلة يذرفها سراً ، فكانت هى اعترافه الوحيد بأن حظه من الحياة كان ضئيلا .

ودأبت الأم على زيارة وحيدها كل يوم . وفى ضمير ليل دامس راحت فيرونيكا تستدعى أباه وأمه تليفونياً ، لأنها علمت أن شعلة الحياة توشك أن تنطفئ فى الطفل . وحين رآها ريف لدى الباب مد ذراعيه المعروقتين ، ولما انحنت أمه عليه ، ابتدأ يتحسس بأنامله وجهها ... وجهها الحقيق العزيز ... للمرة الأخيرة وهو يقول : « خبرينى ، يا أماه . هل كنت ابناً باراً » فأجابته وهى تنتحب : « نعم ، يا ريف ، نعم » . قالت ذلك وهى تضم جسمه النحيل إلى صدرها ، ثم رفعت بصرها إلى الصورة المعلقة فوق مخدعه فتبينت — مرة أخرى — آثار قبلاته ولمساته على الصورة الحبيبة . فهبت عليها عاصفة من الأسى ، ولكن ريف ضم أمه إليه بشدة يريد أن يخفف عنها بعض حزنها . وبدت الجزيرة قريبة منهما الآن ، وخيل إلى ريف أنه يمكنه ، أخيراً ، أن يقفز من فوق صخورها فى رشاقة . ثم التفت إلى أبيه قائلا : « أشكرك لما أبديت نحوى من عطف . إنى تارك أمى فى كنفك ، فارعها بعناية تامة » . وعند بزوغ الشمس ، انطلقت أشعتها تلف نهر السعادة من حياة هذا الطفل . وأخذ تياره الرفيق يهدئ من الخفقات الأخيرة المكدودة ... خفقات قلب كبير يحمله طفل صغير .

نفط جزيرة البحرين

جيروم بيتى

ملخصة عن مجلة « ذى أميركان مجازين »

فى منتصف الطريق بين شمال خليج إيران وجنوبه، جزيرة البحرين، وهى قطعة من صحراء تحيط بها مياه الخليج، وتبعد ثلاثين ميلا عن الساحل الشرقى من الجزيرة العربية. وقد كان أميرها الشيخ السر حامد بن عيسى آل خليفة، يكتفى إلى عهد غير بعيد بامتطاء ناقة حين يتجول فى ملكه المجدب. فمعظم دخله كان يعتمد على سفن الغواصين على اللؤلؤ، وكان هذا الدخل قد بات شحيحاً، لأن اليابانيين كانوا ينافسون لآلئ الخليج الطبيعية بلآلئهم المولدة. إلا أن الأمير الشيخ يطوف الآن فى جزيرته فى سيارة من اثنتى عشرة سيارة فخمة يملكها. وعلى كثبان الرمل فى وسط جزيرة البحرين، تقوم الآن مدينة حديثة غاية فى النظافة وحسن الهندسة والنظام، فيها منازل، ومستشفى، وأندية، ومدرسة، ودار للصور المتحركة، وجميعها مجهزة بأجهزة تكييف الهواء وغيرها من الأدوات الكهربائية.

ذلك بأن جزيرة البحرين أصبحت فى هذه الفترة، منطقة من أغنى مناطق الأرض بآبار النفط، وهى الآبار التى حفرتها واستغلتها شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا. وأنباء هذا التحول تكاد تكون مجهولة خارج دوائر المشتغلين بالنفط واستنباطه، لأن الحكومة البريطانية، الحامية للجزيرة، وشركات النفط البريطانية أبت أن تصدق، أن فى الجزيرة نفطاً. وأما الأمريكيون، الذين تخلت لهم الهيئات البريطانية عن امتياز حسبته لا قيمة له، فيكررون الآن من النفط كل يوم، ما يبلغ ثلاثين ألف برميل.

وقد بدأت قصة « نفط البحرين » برجل نيوزيلندى بشوش حسن العشرة يدعى ميجور فرانك هومز. وهو رجل من رجال الأعمال ما فتئ يطوف بأقطار الأرض، بحثاً عن مشروعات يقبل على ترويجها والدعوة إليها، إن كان له فيها ربح معقول. وكان البريطانيون قبل ثلاثين سنة قد استنبطوا النفط فى جنوب إيران، فتساءل أمراء البلدان المجاورة: أليس فى بلدانهم نفط يستنبط ويستغل؟

وفى سنة ١٩٢٢ ذهب إلى لندن من

سعى إلى إقناع البريطانيين بالبحث عن النفط فى بلاد العرب ، فلم يجد من يعنى بما يقترح . ذلك بأن علماء طبقات الأرض هناك كانوا قد قرروا أن بلاد العرب ليس فيها نفطٌ ما .

وكان هذا الرجل على وشك العودة ، بخفى حنين ، إذ تعرف بالمايجر هومز . فاهتم هومز بالموضوع ونقب فيما استطاع أن يقف عليه من كتب وتقارير ، فقوى ظنه فى احتمال وجود النفط فى البحرين ، فشد رحاله إليها . ولكن مجيئه كان فى غير الوقت المواتى . فأمير البحرين لم يكن معنياً بالنفط بل بمياه الشرب ، فهو يريد المياه العذبة ويريدها على عجل . ومياه الشرب فى البحرين تؤخذ من ينابيع فى البحر على مقربة من الشاطىء . وكان سكان الجزيرة يخرجون بقواربهم ويغترفون الماء . ولكن إذا هبت عاصفة ، فرجت مياه البحر ، فإن الماء العذب يختلط بالماء الملح ، قبل أن يتمكن السكان من اغترافه . وكانت قد توالت على سواحل البحرين عاصفة فى إثر عاصفة ، فغدا الشيخ قلقاً لا يقر له قرار .

فتحول هومز ، من باحث عن النفط ، إلى باحث عن الماء . فقال للشيخ : أنا أحفر لك بئراً للماء وإذا وفرت لك ماء يصلح للشرب وفيتنى نفقة عملى ، على أن تداول فى أمر امتياز للتنقيب عن النفط . وإذا أنا أخفقت لم تخسر أنت شيئاً .

فقبل الشيخ ، فلم ينقض شهران حتى كان هومز قد حفر بئرين ماؤهما عذب ، وعقد اتفاقاً على حفر عشرين بئراً أخرى يدر عليه حفرها ربحاً طيباً ، وفاز بامتياز النفط . وجاء بخمسة من أكبر علماء طبقات الأرض فى أوربا . فقال أحدهم : إن احتمال وجود النفط فى البحرين لا بأس به . وأشار الباقون بالامتناع عن الحفر لأنه لا يكاد يجدى . ولكن رأيهم لم يثبط عزيمة هومز . فقضى ست سنوات يتنقل من مكتب إلى مكتب فى لندن ، ساعياً إلى إقناع رجال النفط ، الصغار منهم والكبار ، بأن يغامروا فى امتحان رأى العالم الذى قال باحتمال وجود النفط فى البحرين . وقد قال لى أحد الإنجليز : «كان هومز حينئذ أسوأ شىء مقلق للراحة فى لندن . وكان الناس يفرون عند ما يرونه قادماً من بعيد» . ثم هدر محدثى وقال : «ومع ذلك كان يحمل فى جيبه أوراقاً تساوى ملايين !» .

وأخيراً سأل هومز ، هل يرضى الإنجليز بالتنحى عن الحقوق التى تبيحها لهم المعاهدات القائمة ، لعله يستطيع أن يحمل أصحاب الأموال من الأمريكيين على الاهتمام

بهذا الموضوع . فقيـل له : « إن الإنجليز لا يبالون، إن هو وجد أمريكياً يبلغ به الحمق حتى يبدد ماله فى البحرين » . فذهب هومز إلى شركة نفط الخليج ، وهى « شركة أندرو ملون[1] » فى مدينة بتسبرج . فأرسلت الشركة أحد علمائها إلى البحرين للبحث ، فبعث تقريراً يقول فيه : إن احتمال وجود النفط فى البحرين كبير ، وعين على الخريطة بقعتين ليبدأ بالحفر فيهما للتجربة والبحث . ولـكن قبـل أن تحفر الآبار ، عين ملون سفيراً للولايات المتحدة فى لندن . فانسحبت شركة الخليج من الصفقة ، ولـكنها عرضت على هومز معونتها فى مفاوضة شركة أخرى .

فقـال هومز : « دعونى أجرب مرة أخرى إتمام هذه الصفقة فى انجلترا » . فعاد إلى لندن يغريهم فى هـذه المرة بما جاء فى تقرير العـالم الأمريكى ، وأن هناك شركة أمريكية تعهـــدت بحفر الآبار ، إن أبى الإنجليز ، فـكان جواب الإنجليز : ومع ذلك لا نفط فى البحرين .

فعاد هومز إلى الولايات المتحدة . وباعت شركة الخليج نصيبهـا فى الامتيـاز لشركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا بخمسين ألف ريال . وفى يونيه سنة ١٩٣٢ وجد النفط على عمق ٢٠٠٨ أقدام .

كانت جزيرة البـحرين تبعـد عن كاليفورنيا ستة عشر يوماً بالطريق الجوى، وشهراً بالقطار والبـاخرة . وقررت شركة المواصلات الجوية الأمبراطورية أن تجعـل الجزيرة محطة رسمية فى طريقها الجوى من لندن إلى الهند . فلما بدأت الشركة الأمريكية فى تشـييد منشآتهـا فى البحرين ، نقلت بالطائرات ثلاثمائة رجل بين مهندس وعامل متقن ، للاشراف على عمل العمال المحليين . ونقلت بالسفن كل ما يحتاج إليـــه رجال الشركة هنـاك : من معجونات تنظيف الأسنان ، إلى الآلات التى تمزج الخرسانة ، إلى مولدات الـكهرباء . وحين وصلت السفينـة الأولى مشحونة بالأدوات اللازمة للبنـاء ، لم يكن فى البحرين مرفأ عميق ، فـكان لا بد من نقل المشحونات بالزوارق والصـنادل إلى البر . ويستثنى من ذلك الخزانات الـكبيرة ، فإنهـا عومت فى الماء ودفعت دفعاً إلى الشاطئ . واشـتركت فى جر هذه المعدات ونقلها من سفينة الشحن إلى مواقعها فى الجزيرة ، الإبل والحمير والجرارات واللوريات . وبعد ثلاثة أشهر تماماً جرت فى الأنابيب أول شحنة من النفط الخام ، من الآبار إلى سفينة النقل التى كانت

---

(١) أحد أغنيـاء أمريكا الـكبار وكان وزيراً للمالية ثم سفيراً لأمريكا فى لندن .

راسية على ثلاثة أميال من الشاطئ.

واشتدت مطالبة صيادى السمك بالتعويض من الشركة ، إذ زعموا أن قطرات من النفط نزّت من الأنبوب فى الماء ففرّ السمك وعزّ الصيد . وكان لا بد من الاحتفاظ بمودة الأهالى ، فعوض الصيادون مالا ، وأنبئ مقر الشركة فى كاليفورنيا بما حدث ، لترسل ما يلزم من الأدوات والأجهزة . وفى خلال شهرين أحكم وصل قطع الأنابيب بعضها ببعض ، فلم يعد يقطر منها شىء فى البحر .

ولم تنقطع أبداً أعمال البناء والتشييد . ففى ربيع السنة الماضية أنجزت المواصفات اللازمة لبناء البقية الباقية من إحدى وسبعين داراً مخصصة للعزاب من رجال الشركة . وهى جميعاً مجهزة بآلات تكييف الهواء . ثم ظهر أن دار الصور المتحركة التى تتسع لمائتين وخمسين نفساً تضيق بروادها ، فشرع القائمون بالأمر فى تشييد دار أخرى أكبر منها . وفى الجزيرة ملاعب للتنس ، وللجلف ، والكريكيت ، والكرة ، وزوارق للنزهة ، منها ما يسير بالأشرعة ، ومنها ما يسير بالمحركات الحديثة . فالشركة تدرك أن منطقة النفط هذه — وهى تأبى أن تبيع امتيازها فيها بألف مليون ريال — هبطت عليها من السماء ، فلا تدخر وسعاً ولا نفقة ، فى توفير أسباب الهناءة ورغد العيش للجميع .

غرور الرجال !

كانت ليدى آستور تتحدث فى مأدبة كبيرة ، فزعمت أن الرجال أشد غروراً واختيالا من النساء . فأحدث قولها عاصفة من الاعتراض ، فردت بأنها قادرة على إقامة الدليل الحسى على صحة ما تقول . ووجهت الحديث ، فى رفق وبراعة ، إلى موضوع الأزياء فى ملابس الرجال ، ثم رفعت صوتها فجأة وقالت: « مما يؤسف له أن أذكى الرجال ، وأعلمهم أقل الناس عناية بملابسهم ، فحول هذه المائدة مثلا رجل لعله أعظم المعاصرين ثقافة ، ومع ذلك فإن ربطة ياقته شوهاء تؤذى العين ! » .

وكأن أمراً عسكرياً صدر إلى الرجال جميعاً ، فامتدت أيديهم إلى ربطات ياقاتهم ليتحسسوها أو ليصلحوا من شأنها !

هل أنت روحانى؟

آرثر ترين

ملخصة عن مجلة « سكربنر »

قليل منا من لم تصادفه بعض تجارب تافهة أو محيرة تشبه ما تجده فى سجلات جمعيات المباحث الروحانية . وقد صادفنى عدد منها كان له أثر بالغ فى نفسى حين وقوعه، وجعل بعض صحابى يعدوننى « روحانياً » . ولكنى كنت محامياً قد مرن على الدقة فى تمحيص الأدلة وتحليلها، فلم تقنعنى هذه التجارب بأن فى نفسى قوى روحانية .

عرفت بعض المعرفة صبياً اسمه تايلر مورس أيام طفولتى فى بوسطن، ولم أره بعد ذلك ولا خطر ببالى ، حتى قرأت عرضاً — بعد انقضاء حوالى أربعين حولا — أنه انتقل إلى نيويورك ، وأنه كان حكما فى معرض كلاب بجهة ما فى لونج أيلاند . وللمرة الثانية بدا لى أن تايلر مورس غاب عن ذاكرتى الواعية بتاتاً . ومضى ما يقرب من خمس سنين ، فبينا كنت أسير فى نيويورك أخذت أفكر فجأة فى تايلر مورس . ثم أخذ شعورى بأنه قريب منى يزداد شدة ، وما إن اقتربت من الشارع التاسع والخمسين حتى ظهر تايلر مورس من منعطف الشارع يقود كلبين فى سلسلة .

انعقدت ، منذ حوالى خمسة عشر عاماً أواصر الصداقة بينى وبين اللورد مونتاجيو أوف بوليو ، وزرته فى مقامه فى بوليو آبى بمقاطعة هانتس ، ثم تراسلنا الحين بعد الحين، حتى تزوج للمرة الثانية ، وأرسل إلى صورة شمسية لليدى مونتاجيو الجديدة ، ولكنى لم أتلق منه بعد ذلك شيئاً حتى توفى فى سنة ١٩٢٩ . وفى ربيع سنة ١٩٣٢ ، بينا كنت أسير أنا وزوجتى فى نيويورك ، أخذنا نتحدث عن رحلة أزمعنا القيام بها إلى إنجلترا . ولم أكن قد فكرت فى مونتاجيو مدة أربع سنوات، ومع أنى لم أكن قد قابلت الليدى مونتاجيو الجديدة قط ، فإن ما كنت أحتفظ به من ذكريات جميلة لصداقتى بزوجها اقتضتنى أن أقول : « إن أغلب من كنت أعرفهم فى انجلترا لم يبق منهم أحد حياً ، فإذا قمنا بهذه الرحلة ، فإن علينا أن نذهب إلى « بوليو آبى » لزيارة الليدى مونتاجيو » .

ولما عدنا إلى منزلنا بعد ذلك ببضع دقائق وجدت كتاباً من الليدى مونتاجيو تذكرنى فيه بسالف صداقتى لزوجها ، وتخبرنى بأنها

موجودة فى أمريكا، وهو شىء كنت أجهله كل الجهل .

ولا أرانى أميل إلى أن أرجع هاتين الحادثتين إلى الإيحاء العقلى أو إلى كشف الحجاب، بل إلى مجرد الصدفة . ولا يجب أن يعزب عن بالنا أنه إذا كانت الأفكار تتراكض فى سرعة هائلة كسرعة الضوء، فليس من المستغرب أن تتطابق هذه الأفكار أحياناً . وأنه لا يكفى أن تحصى مرات « الإصابة » دون مرات « الخطأ » ، فإن تطابقها مرتين خلال ستين عاما لا يعد رقماً عالياً .

ومنذ حوالى ست سنين رأيت رؤيا واضحة تمام الوضوح . فقد رأيتنى جالساً فى حفل كبير ويدى اليمنى على ذراع المقعد . وإذا طير فى حجم الببغاء قد حلق فوق رءوس المدعوين ، وجهه وجه امرأة ناصع البياض ، ذو شفتين حمراوين قانيتين ، ثم أخذ يحوم حولى، وأخيراً استقر على رسغى، وأمال رأسه ناحيتى وحملق فىّ ، ثم قال: «اسمى ولهامينا»

وقصصت رؤياى على زوجتى ونحن نتناول الإفطار صباح اليوم التالى ، فسألتنى: « أين من تعرف امرأة اسمها ولهامينا ؟ » ، فأجبتها : لا أعرف إلا ملكة هولندا . وفى اليوم نفسه رغبت إلىّ زوجتى أن أصحبها لمشاهدة هودينى الساحر الشهير . ولما لم أكن قد رأيت ألعابه من قبل ، فقد وجدت فى نفسى إقبالا على مشاهدته . فلما رفع الستار ، جاء هودينى إلى مسرح خال ، وفرقع بأصابعه ، فطار من الأجنحة إلى المسرح سرب من الحمام. وبعد أن حلق فوق رءوس الحاضرين عاد أدراجه إلا حمامة واحدة . حمامة كبيرة متميزة ذات وجه ضارب إلى البياض وجعلت، تحوم حولنا وهى تهبط شيئاً فشيئاً : ومد الساحر ذراعه اليمنى فاستقرت عليها ، ثم دنا من أنوار المسرح الأمامية والحمامة مستقرة على رسغه ، وأدار ذراعه حتى خيل إلى أن الحمامة إنما تحدق فى . ثم قال : « اسمها ولهامينا » .

عند ذلك اعترتنى رعدة ، سرت فى مفاصلى وسألتنى زوجتى : « هل رأيت هودينى يقوم بهذا الدور من قبل» ، فأجبتها صادقاً : « لم أره يمثل أدواره من قبل ، بل لم أر مثل هذا الدور من قبل ، بل لم أسمع به » .

وتوفى والدى لخمسين سنة خلت ، وكان محامياً شهيراً ، وكنت يومئذ فى الثامنة من عمرى . وكانت عادتنا أن نقضى إجازتنا فى نزل خشبى بسيط فى بعض الجبال، حيث أقمت مع أبى وأمى فى حجرتين متصلتين . وكان والدى ملازماً لفراشه عدة أسابيع، ولكن لم يكن خطر ببالى أنه مريض مرضاً خطيراً . وفى ليلة هادئة ساكنة الريح ، كنت مستغرقاً

فى النوم عـدة ساعات ، وإذا بى أصحو على صوت ثلاث طرقات على باب والدى . تملكنى الذعر، وناديت أمى خلال الباب المفتوح بين الغرفتين : « بالباب طارق يا أماه » ففتحت أمى البـاب المؤدى إلى الردهة من فورها . وكانت هى أيضاً قد سمعت هـذه الطرقات كما سمعتها الممرضة ، ولـكنها لم تجد أحداً . ولم أكد أجمع شتات نفسى لأعاود النوم ، حتى تكررت الطرقات الثـلاث ، ولـكن على باب غرفتى . فنفضت والدتى الردهة بنظرها مرة ثانية ، ولـكنها كانت خاليــة كما كانت من قبل . أغلقت الباب وجاءت إلىّ ووقفت إلى جانبى، ولم تكد تفعل ذلك حتى سمعنا للمرة الثالثة ثلاث طرقات على باب غرفة والدى ، فقفزت من فراشى مذعوراً ، وأجلت بصرى فى الردهة المضاءة وأنا أرتعد . وأنا أقطع فى غير شك أو تردد بأن الردهة كانت خالية ليس بها أحد . وإذ أخذت أعود أدراجى سـائراً على أطراف أصابعى ، همست المرضة وهى حانيــة على والدى : « لقد مات مستر ترين » .

إنى أعرض الحوادث السالفة بكل صدق وأمانة ، وهى صحيحة من كل وجهة على قدر ما يسمح به قصـورى الشخصى كشاهد ، وأزعم أنه قد يغتفر لى اعتقـادى بأنى « روحانى » ، أو أن عقلى الباطن — على الأقل — كان على اتصال فى تلك الأوقات بعقل آخر، سواء أحياً كان صاحبه أم ميتاً . على أنى لا أعتقد — وإن كانت جميع العوامل غير معروفة لنـا — أن تلك الحـوادث لا تقبل التفسير العلمى، بغير حاجة إلى اللجوء إلى فرض الايحاء العقلى أو كشف الحجاب، بل إنى مستعد أن أعزو ما تخيلته من طرق على باب غرفة والدى حين حضرته الوفاة ، إلى حالة عصبية ، أو حساسية حادة مرهفة فى ذلك الوقت لسماع الأصوات المـادية ، الطبيعى منها والعـارض . ولـكن حادث ولهلمينـا يعيينى تفسيره . غير أن هذا لا يحملنى على أن أسارع إلى نتيجة الرأى القائل بأنى على اتصال بعوامل خارقة للعادة . بل إنى لأذهب إلى أبعدمن ذلك وأقول: إنى أفضل أن أشك فى صدق ما أجده، على أن أقبل تفسيراً لا يتفق مع ما أثبتته التجارب الإنسانيــة واتجاهاتها بوجه عام. بل إنى أوثر أن أدعها دون تفسير، على أن أقبلها دليلا على كشف الحجاب .

إن مثل هــذه الحوادث تنقضها عناصر أخرى ، ولا يمكن الركون إليها ، بحيث تعد مقدمات تبنى عليها نتائج خطيرة .

وندل ويلكى يروى فى هذا الفصل ماشاهده خلال رحلته العالميـة فى منطقة نائية بسيبيريا

الحياة فى أقاصى الروسيا

وندل ويلكى

فى أذهان النـاس اليوم أسئلة كثيرة عن الروسـيا : ما هو الدور الذى يقوم به الحزب الشيوعى فى حياة الأفراد السوفيت ؟ ترى ما مبلغ كفاية طعامهم وجودة ملبسهم ؟ ما هو شعورهم نحو الحرب ؟ إلى أى مدى استطاعت الروسيا أن تزيد من مواردها كأمة حية فعالة ؟

هذه أسئلة ليس لها أجوبة بسيطة مجملة . إذ أن الاتحـاد السوفيتى يشـغل مساحة مفرطة فى السعة ، فما يصدق فى ناحية من أراضيها المترامية قد لا يصدق فى غيرها من النواحى . غير أنى اهتديت إلى أجوبة بعض هذه الأسئلة التى يرددها الناس ، حين زرت جمهورية ياكوتسك الواقعـة فى سـيبيريا .

إن تاريخ ياكوتسك ، ما مضى منه وما أرته عيناى من حاضره ، أفهمنى وحده من معـانى التحول فى الروسـيا أكثر من أى كتاب آخر قرأته . إن مشـاهداتى فى ياكوتسك لم تجعـل منى رجلا شـيوعياً ، ولـكنها جعلتنى أعتقـد أن الروس ليسوا مطبوعين على العنـاد بحيث لا يمكن التفاهم معهم .

لنسـتعرض أولا ما مضى من تاريخ ياكوتسك . المعروف عن أبنائها أنهم نسل قوم كانوا يسكنون أواسط آسـيا ، ثم جاء المغول أيام جنكيزخان وأجلوهم عن مواطنهم ، ودفعوا بهم نحو الشمال . كل عملهم لا يعدو صيد الحيوان طلباً للفراء ، أو نبش الأرض بحثاً عن الذهب . يسكنون هم وبهائمهم جنباً إلى جنب أكواخاً ذوات سقوف واطئة ، تغطى أرضها القاذورات ، ويفعم جوها دخان من أكوام الوقود ، فحصدتهم الأمراض والمجاعات المتتاليـة وأوهنت قواهم بعد أن كانوا قوماً أشداء . ثم أخذ الروس يتوافدون

على موطنهم رويداً رويداً فى جماعات كان عـددها ، إلى عهـد قريب ، غير كبير . وفى زمن القياصرة استطارت شهرتها ، حتى إذا ما ذكر اسمها قيل : سل ، وفراء ، وزهرى ! واتخذتها الحكومة منفى للمجرمين والمسجونين السياسيين ، ومن بين هؤلاء اسكندر بوشكين الكاتب الروسى الشهير . وقد دمغتها أقلام من ذاقوا مرارة الحياة فيها إذ لقبوها « سجن الشعب » .

وعند ما هبطت طائرتنا قاذفة القنابل من طراز ليبراتور فى مطار عاصمة الجمهورية ، واسمها ياكوتسك أيضاً ، وجـدنا الأرض تغطيهـا بوادر ثلوج سبتـمبر . وكنا قد حلقنا ساعات عديدة فوق منطقة الغابات ذات الأشجار العالية ، وهى تغطى شمال سيبيريا حتى تصل إلى مدار القطب . وبدت الأرض تحتنا خـلاء هائلا يزيده الصقيع وحشة ، ليس فيها إلا طرق قليلة تائهة بين أميال فى إثر أميال من الثلوج والأشجار .

فلما استقرت بنـا الطائرة فى جانب من المطار قد وقف عنده جمع صغير من الناس ، تقـدم منهم إلينـا رجل وقال : « أنا موراتوف ، رئيس مجلس قومسيرى الشعب فى جمهورية ياكوتسك الاشـتراكية السوفيتية المستقلة استقلالا ذاتيـاً ، ولدى تعليمات من الرفيق سـتالين أن أبذل لـكم كل العناية مدة إقامتكم بيننا . وأن أريكم ما تودون رؤيته ، وأن أجيب على كل ما يخطر ببالـكم من أسئلة . فمرحباً بكم » .

خطبـة ترحيب ما أوجزها ! ولـكنه أودعها كل عواطفه . كان الموجودون فى المطار يعدون على الأصابع ، ومع ذلك فقد حكت هيأة موراتوف هيأة من وقف تحف به صفوف من حرس الشرف وفرق الموسيقى وهو يستقبل ضيفاً أجنبياً كريماً .

شكرته وأخبرته أننا لن نلبث إلا قليلا ، إذ لا يزال فى النهار بقية تمكننا من قطع المرحلة التالية من مراحل الألف ميل فى رحلتنا . فأجابنى : « لا سـفر لـكم اليوم يا مستر ويلـكى ، ولا غداً فى أغلب الظن . فقد جاءتنا التقارير الجوية غير مبشرة ، والتعليمات التى لدى تجعـل فى عنقى واجب السهر على وصولـكم سالمين إلى مهبطكم التالى وإلا كانت « التصفية جزائى ؟ » » .

أقلتنا إلى ياكوتسك سيارة مقفلة سوفيتية سوداء ثقيلة ، وأخذت عيوننا تتلمس أثناء الطريق من المطار إلى البلد هـذا المنظر المألوف الذى رأيناه فى بعض المدن الأخرى : أعنى معسكر الاعتقال ، وقد أحاطت به أسوار كثيفة من الأسلاك الشائكة ، وأقيمت على جوانبه المخافر . لم نر هـذه المعسكرات فى ياكوتسك ، أو إن شئت فقل إننـا لم نمر بها

ولما اقتربنا من البلد سألنى موراتوف : « ما الذى تود رؤيته فى ياكوتسك يا مستر ويلكى ؟ » . فسألته : « هل لديكم مكتبة عامة ؟ » ، فأجاب : « من المؤكد أن لدينا مكتبة » ، فاتجهنا من فورنا إليها . وجدت بناء — على قدمه — لا ينقصه الضوء ولا النظافة ولا العدد الكافى من المستخدمين ، يضم ٥٥٠ ألف مجلد مع أن سكان ياكوتسك لا يزيدون عن ٥٠ ألفاً . حقاً إن الرفوف من الخشب ، وإن المصعد الذى يستعان به فى رفع الكتب إلى قاعة المطالعة هو أشبه بيكرة بئر ريفية بدائية ، غير أن قاعة المطالعة كانت عامرة ، وفهارس البطاقات حديثة تامة . ودلت السجلات على أن عدد المستعيرين للكتب بلغ فى التسعة الشهور الماضية أكثر من مائة ألف . وعلقت على الجدران معروضات خاصة ، كما صفت المجلات والمراجع على رفوف فى متناول الجميع ، ويسودها كلها روح تشف عن إدارة ذات كفاية ممتازة ، فهذه مكتبة يحق لأية مدينة أن تفخر بها .

أما الفندق الذى نزلنا به — وهو الوحيد فى المدينة — فحديث البناء ، وفى كل غرفة منه موقد روسى . وجدناه مزدحماً برجال أشداء خشنى المظهر ، يرتدون معاطف من الجلد وأحذية من فراء الرنة ، أما الفتيات فمتوردات الخدود ، قد عقدن المناديل حول رءوسهن ، ولهن طريقة طريفة مسلية فى مدّ نظراتهن إلينا ، ثم يدرن وجوههن عنا مستضحكات . . كل هذا لأننا أغراب . أكثر المعالم من حولنا ناطقة بأننا فى سيبيريا ، فأغلب المنازل مشيدة بالكتل الخشبية المكسوة باللبد ، ووجهاتها مغطاة بزخارف دقيقة بلدية . والطعام الذى قدم إلينا طعام سيبيرى . . فعلى المائدة خنزير كامل مشوى ، وسجق ، وبيض ، وجبن ، وحساء ، ودجاج ، ولحم عجل ، وطماطم ، ومخللات ، ونبيذ ، وفودكا بلغ من تركيزها أن الروس أنفسهم كانوا يخففونها بالماء . وكانت كل وجبة لا تقل فى الوفرة عن سابقتها . والفودكا تقدم حتى مع طعام الإفطار . أما الشاى الساخن فمعد طول اليوم . . . فالبلاد شديدة البرودة . وإنى وإن كنت لا أظن أن الناس خارج الفندق يأكلون طعاماً جيداً كما أكلنا ، إلا أنه كان من الواضح أن طعامهم كاف .

تساءلت : « ترى هل فى هذا البلد ملاهٍ ؟ » ، فسألت موراتوف : « هل عندكم مسرح ؟ » ، فأجاب بالإيجاب . وذهبنا إليه بعدئذ فى المساء . وكان قد أخبرنى أن التمثيل يبدأ فى الساعة التاسعة . وبعد العشاء جلسنا نحتسى الفودكا ونتحادث . ثم تنبهت ، فإذا

الساعة قد جاوزت التاسعة ، فسألت : « أى موعد قات إن الستار برفع فيه ! » فأجاب : « لا تُرع يا مستر ويلكى ! إنه يرفع حين أصل ! »

وهكذا كان . فقد دخلنا مقصورتنا بعد نصف ساعة ، وما كدنا نستقر فى مقاعدنا حتى رفع الستار . فشاهدنا أوبرا عن حياة النوَر ، تمثلها فرقة من لينتجراد فى إحدى جولاتها . وكان الرقص ممتازاً ، والإخراج جيداً ، والغـناء متوسطاً . وعبر النظارة عن استحسانهم بالصياح ، فعلت لهم ضجة بالرغم من أن الصالة لم تكن مملوءة بأكملها ، فقد كانت هذه تاسع ليـلة توالى فيها عرض هذه الأوبرا ذاتها .

ما كان أبعـد خواطر الحرب ومثُل الشيوعيـة ، عن أذهان هـذا الجمع من

هؤلاء القُـدَماء

• كان أنتيجوناس سيكلوبس أبرز قواد الإسكندر العظام ، فذهب مرة إلى ابنه يعوده ، وكان مريضاً ، فالتقى عند باب غرفته بفتاة جميلة ، خارجة من عنده ، ولما دخل عليه ألفاه قد أبلّ ورجعت إليه الصحة . وقال الفتى : « قد ذهبت عنى الحمى » . فقال أبوه : « نعم . لقيتها خارجة وأنا داخل » .

• قال ثمستكليس — الجندى السياسى المشهور — لابنه الصغير مرة : « أنت يا بنى أقوى امرىء فى بلاد الاغريق كلها » .

فسأله الغلام : « كيف يكون ذلك ؟ » .

قال : « لأن أهل أثينا يحكمون بلاد الإغريق كلها ، وأنا أحكم أثينا ، وأمك تحكمنى ، وأنت تحكم أمك » .

• كان هارموديا س ينحدر من سلالة طويلة من الأسر الـكريمة ، فعير إيفيكراتس — وكان قائداً ولـكنه ابن حذاء — بضعة أصله ، فكان جواب إيفيكراتس : « إن مجدى يبدأ بى ، ومجدك ينتهى بك » .

الشباب ! أمامهم مسرح زاخر بالحب والغيرة ورقص النور، أما بين الفصول فهاهم يطوفون حول المسرح متأبطين أذرع صديقاتهم، كما يفعل النظارة فى الروسيا عادة . ولكن الأمر كان على عكس ذلك حين زرنا متحف البلد قبيل غروب الشمس، والبرَد الحديث المتساقط يتكسر تحت أقدامنا، فقد وجدنا ثمة الكثير مما ذكرنا بجلاء أن هناك حرباً مستعرة . فعلى الجدران رسوم بيانية دالة على زيادة المدارس والمستشفيات والمواشى والتجارة، وجميعها وقفت عند شهر يونيو سنة ١٩٤١، حتى ليخيل أن حياة الأمه بأجمعها قد وقفت هى أيضاً عند ذلك التاريخ

كل الإجابات على أسئلتى تنتهى ببيان ما كان ممكنا أن يكون من تقدم لو لم يضع الألمان حداً مؤقتا لكافة مشاريع الإصلاح الاجتماعى.

المحدثون

● روى بلوتارك (فلوطرخس) أن رومانيًّا طلق امرأته، فلامه إخوانه على فراقها، وقالوا له : « ألم تكن جميلة ؟ ألم تكن عفيفة محصنة ؟ »

فتناول الرومانى حذاءه ورفعه إليهم ليروه، وسألهم : « أليس حسن المنظر، جيد الصنع ؟ » ثم قال : « ومع ذلك لايدرى منكم أحد فى أى موضع يضيق ويؤلمنى » .

● كان الملك ثيوبومباس ملك إسبرطة، من أول من فطن من الحكام إلى ما ينطوى عليه الحكم المطلق من خطر، فأنشأ ما يمكن أن نسميه « مجلس الأمة »، ونزل له عن جانب من سلطاته العظيمة، فقدر له شعبه عمله هذا تقديراً كبيراً . ولكن امرأته عنفته عليه وقالت له : « إنك تنزل عن سلطانك، وستكون السلطة التى تتركها لولدك دون ما ورثت عن أبيك » .

فقال لها الملك : « كلا، بل ستكون أكبر وأعظم، لأنها ستكون أبقى » .

● سأل سقراط أحد تلاميذه مرة : أيهما خير ؟ أن يتزوج أو أن لا يتزوج ؟ فقال سقراط : « أيهما فعلت، فإنك على الحالين نادم » .

وأرانى موراتوف نماذج من التبر الخالص الذى هو الآن الجزء الأكبر من الثروة فى ياكوتسك ، كما أرانى نمـاذج من الذهب الطرى — كما يكنون عن الفراء — وهى ثانى منتجاتهم فى القيمة . وبينها أنواع من الفرو الثقيل كفرو الثعلب والدب ، وأنواع أخرى من الفرو الخفيف كفرو الأرانب والسـنجاب . وأفهمنى موراتوف أنه إذا أريد أن تكون فراء هـذه الحيوانات الصغيرة سليمة من العيوب فيجب أن تصيبها الرصاصة فى عيونها . ولمـا أبديت له ، فى شىء من الأدب ، أننى أشك فى إمكان الربح من صناعة تعتمد على صيد السنجاب بإصابته دائماً فى عينـه ، ثبت موراتوف على قوله وأضاف : « كل الصـيادين من ياكوتسك ، عند تجنيدهم فى الجيش الأحمر ، يلحقون لساعتهم بفرق الرماة « القناصة »

وكذلك وجدنا أثناء النهار ما يذكرنا بالحرب . فبالرغم من أن ياكوتسك تبعد ثلاث آلاف ميل عن جبهة القتال ، فقد رأينا بعض الأغرار من النـاس يتحدثون عن « حرب الوطن » ، فى حين أن أكثرهم لم ير ألمانياً واحداً فى حياته ، أو لم يرحل غرب جبال الأورال .

سألت موراتوف عن مدى مجهوداته فى نشر التعليم بين جمهور الشعب فقال : « إن الجواب على ذلك بسيط يا مستر ويلكى . ففيما قبل سنة ١٩١٧ كان عدد المتعلمين فى ياكوتسك ٢ ٪ فقط من السكان وعدد الأميين ٩٨ ٪ ، أما الآن فقـد انقلب وضع هـذين الرقمين تماماً . ثم أردف قائلا وهو يبتسم بسرور : « ومع ذلك فقد تلقيت الآن أمراً من موسكو يقضى بتصفية الـ ٢ ٪ الباقية من الأميين قبل نهاية هذه السنة » .

و « التصفية » تعبير كثير الشيوع فى الروسيا ، فقد يراد بها إنجاز واجب مفروض كما قد يراد بهـا السجن أو الموت . . وقد ذكرتنى كلمة موراتوف بمصير مدير أحـد « المزارع المشتركة » التى زرناها فقد حكم عليه بالسجن عشرين سنة ، لأن مائة رأس من مواشـيه قد نفقت . إنه قد فشل فى « تصفية » أسباب هذه الـكارثة ، فكانت « التصفية » جزاءه هو نفسه .

ثم أرانى موراتوف أحدث دار للسينما فى ياكوتسك ، وهى أحـد مبانيها المشيدة بالأسمنت ، وهو يفخر بذلك لأنه هو الذى أظهر بتشييدها فساد النظرية القديمة التى لا تؤمن بإمكان تشييد بناء غير خشبى على أرض تكاد تربتها الرخوة المبتلة تكون متجمدة . أما أكبر أبنية المدينـة فكان مركز الحزب الشيوعى المحـلى . وكنت أعجب دائماً كيف يتأتى عملياً لأعضاء الحزب

— وهم لا يزيدون عن ثلاثة ملايين فى كافة أنحاء الروسيا — أن يبسطوا مبادئهم وسلطانهم على مائتى مليون نسمة . ولكنى فى ياكوتسك بدأت أفهم الطريقة التى يتم بها ذلك .

فلا يوجد فى البلد أية جماعة منظمة أخرى . ولا ينتمى إلى الحزب إلا ١½ ٪ تقريباً من سكان ياكوتسك البالغ عددهم خمسين ألفاً . وهؤلاء المنتمون يصبحون عند انضمامهم إلى الحزب أعضاء فى النادى الوحيد فى المدينة . ومن هؤلاء الأعضاء ، البالغ عددهم ٧٥٠ ، جميع مديرى المصانع وموظفى الحكومة ، ومعظم الأطباء ، ونظار المدارس ، وأصحاب المكاتب ، والمدرسين . وفى اعتقادى أن هذا هو جواب سؤالى .

وعلاوة على ذلك فإن عضوية الحزب لا تنال بسهولة . فإذا فرضنا أن أحد الأعضاء يريد أن يزكى صديقاً للعضوية ، فلا بد له من أن يتدبر ملياً قبل الإقدام على ذلك ، لأنه يعلم أنه إذا أقدم هذا الصديق على خيانة الحزب فلن يكون فى ذلك الوبال على الصديق وحده ، بل سيحل الوبال به هو أيضاً .

قليل من المشاهد ، فى هذا المخفر السيبيرى للاتحاد السوفيتى ، شاقنى أكثر مما شاقنى موراتوف نفسه . فإذا كانت ياكوتسك قد أوحت إلى بأجوبة كثيرة عن أسئلتى ، فإن شخصية موراتوف كانت بمنزلة مفتاح فضضت به ما استغلق علىّ فهمه من مسائل ، إذ كان مثالا للرجال الحديثين الذين يقبضون على زمام الأمور فى الروسيا .

هو رجل قصير القامة ، قوى البنية ، حليق الذقن والشارب ، مستدير الوجه بسام ، ولد فى ساراتوف على الفولجا ، فى أسرة من العمال ، وبدأ حياته فى مصنع فى ستالنجراد ، ثم لم يلبث ، بفضل ما أبداه من فطنة ، أن وقع عليه الاختيار لدراسة خاصة . وشق موراتوف بالمثابرة والدرس طريقه فى المدرسة ثم الجامعة ثم معهد الأساتذة الحمر ، وهو أرقى معهد فى موسكو للدراسات الاجتماعية . ثم انتخب منذ سنتين لرياسة مجلس قوميسيرى الشعب فى ياكوتسك . وها هو الآن ، ولم يزد عمره على ٣٧ عاما ، ولم يبدأ تعلمه إلا بعد ثورة سنة ١٩١٧ ، يدير شؤون أكبر جمهوريات الاتحاد السوفيتى ، وهى ولاية تزيد مساحتها على خمسة أمثال مساحة فرنسا .

شاهدت موراتوف كثيراً خلال يومين ، إنه لرجل يسهل عليه النجاح فى أية دولة أخرى ، أما فى وطنه فإن نجاحه قد بلغ الغاية . فهو يعالج الأمور بطريقة لا تختلف عن الطريقة السوفيتية فى كافة أنحاء سيبيريا ، أى أنها خشنة قاسية فى الأكثر ، خاطئة

فى بعض الأحيان . أما تعليقه على ذلك فهو : « ولـكنها طريقـة مثمرة تأتى بالنتـائج . ها أنت ترى يا مستر ويلـكى ، أننـا أسسنا جمهورية ياكوتسك فى سنة ١٩٢٢ ، ومنذ ذلك التـاريخ ضاعفنا ميزانيتها ٨٠ ضعفاً . وكل إنسان يعيش هنـا يدرك هذه الحقيقة بقلبه وبمعدته . وبعد أن كانت ياكوتسك بقعة بيضاء على الخريطة ، إذا مناجم الذهب التى فيها ، تظفر هذا الشهر بالمحل الثالث بين جميع البلاد الروسـية التى تنتج المعادن غير الحديدية ، بل فاقت ما قدر لها فى البرنامج المعـــد لانتاجها » ، ثم غمرنى موراتوف بإحصائيات لا نهـاية لها . « وقد أقيمت مسابقة بين مصانع توليـد الـكهرباءِ التى تديرها البلديات فى أنحاء الاتحـاد السوفيتى فنال مصنعنا المرتبة الأولى لأنه نزل بتـكاليف إنتاج الـكيلووات فى الساعة إلى ٦٫٢٧ كوبيك فقط » . ثم زاد تفسيره لهذا الرقم فقال : « إن هــذا يعنى أننا وفرنا ثلاثمائة ألف روبل منــذ أن ابتدأت « حرب الوطن » » . ثم استطرد قائلا : « لقد وظفنا أكثر من مليون روبل فى ياكوتسك فى مدى العشرين سـنة السابقة ، وسننتج ٤ ملايين متر مكعب من الأخشاب هــذه السنة ، فى حين أن إنتاجنا فى سنة ١٩١١ كان ٣٥ ألف متر مكعب فقط . ولا يزال أمامنا فسحة كبيرة للوصول إلى أقصى مايمكن إنتاجه سـنوياً ، وتقدره بـ ٨٨ مليوناً من الأمتـار المكعبة . فإذا ما انتهت الحرب ستحتاجون فى أمريكا إلى هذا الخشب ، كما سنحتاج إلى مختلف أنواع الآلات — ولن نظل بعيدين عنكم إذا تمكنا من فتح الطريق القطبى البحرى . وسنكون سعداء بهذه المبادلة » .

وقد تحققت بنفسى من أن أقواله لم تكن كلهـا من قبيل ترويج البضـاعة ، فإن ياكوتسك التى تبعد ١٫٢٠٠ ميل عن أية سكة حديدية ، كانت تعتمد قبل فى مواصلاتها على الطيران ، وعلى الملاحة فى نهر لينا الذى يصب فى المحيط المتجمد الشمالى ، ولـكنهم بدأوا أخيراً فى إنشاء طريق صالح لمرور الأحمال الثقيلة فى جميـع الأحوال الجوية ليربط هذه الجمهورية بسكة حديد سيبيريا التى تصل إلى موسكو ، وسيتم إنشـاء الطريق فى هذه السـنة .

إن الذهب والفراء من السلع النفيسة ، التى ما فتئت منذ فجر التاريخ تشق طريقها إلى الأسواق ، ممهداً كان هذا الطريق أو غير ممهد ، ولـكن الأبحاث العلمية التى قامت بها البعثات السوفيتية دلت على أن ياكوتسك تملك أيضاً ثروة كبيرة من الفضة والنيكل والنحاس والرصاص ، ومن البترول أيضاً .

والبيانات المتعلقة بآباره ، وإن كانت تعد من الأسرار العسكرية ، إلا أن موراتوف أفضى إلىّ أنه لن تحل نهاية سنة ١٩٤٣ حتى تكون هذه الآبار قد استغلت تجارياً . ولا تزال فى ياكوتسك ذخيرة لا تنفد ، ولم تمس بعد ، من الأسماك والأخشاب والملح . ومن الغريب انه قد نشأت فى ياكوتسك صناعة للعاج لا يستهان بها ، تعتمد على أنياب الحيوانات التاريخية الضخمة المحفوظة هياكلها ، وكأنها فى ثلاجة ، فى باطن تلك المناطق القطبية .

أما فى الزراعة قد زادت قدرة ياكوتسك فى الإنتاج بفضل نجاح سلالات جديدة مستنبتة من القمح ، فاقتدت بها منطقة زراعة الحبوب فى الشمال . وموسم الزراعة هناك قصير ، ولكن باطن الأرض مشبع بالماء ، وفى الصيف تسطع عليها الشمس طول النهار وطول الليل أيضاً .

ومعظم الضياع (٩٧٪ منها) تدار الآن إدارة مشتركة . وفى تلك الجمهورية يعتمد على حيوان الرنة إلى حد كبير فى أعمال الحركة والنقل، غيرأنه أصبح بها الآن بضع مئات من المحاريث الميكانيكية ، و ١٦٠ دينامو . وقد قال لى موراتوف :

« تدبر هذا يامستر ويلكى، ١٦٠ دينامو فى الدائرة القطبية ! وهناك جيش صغير من الإخصائيين — وهو آخذ فى النمو — قد عقد العزم على أن يجعل تلك المستنقعات المتجمدة تزدهر وتثمر » .

وهؤلاء الرجال وغيرهم ممن يديرون مدابغ الجلود ، ومصانع الأخشاب ، ومناجم الذهب ، تدفعهم إلى ياكوتسك : إما الرغبة فى المال ، وإما الطمع فى المكافأة الاجتماعية ، كأن يمنحوا المداليات ، أو أن تذكر أسماؤهم بين من قاموا بخدمات اجتماعية ، وإما أن تدفعهم خشية العقاب . أما المكافآت المالية فمتواضعة ، إذ تبين أن الفرق بين الأجور الكبيرة والصغيرة واسع جداً . وأما منح المداليات فمألوف ، وأما خشية العقاب فهى — فيما أعتقد — راسخة فى القلوب .

ولكن مهما تختلف دوافع هؤلاء الناس فقد تمكنت فيهم الحماسة والثقة بالنفس — وهما العنصران اللازمان لكل تقدم وعمران . وقد غادرت ياكوتسك وأنا أتلهف على معرفة ما الذى ستصير إليه بعد عشر سنوات منذ اليوم .

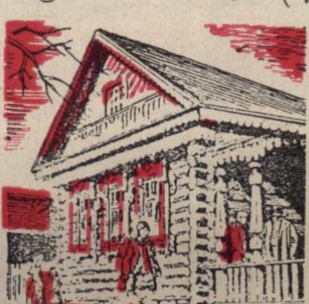

ما كان أجدره بوسام

فى اللحظة الفاصلة

روبرت اورمند كايس

كانت سفينة من ناقلات الجنود فى الحرب الماضية تشق طريقها فى جوف الظلام الحالك على بعد خمسمائة ميل من مدينة ليفربول ، فى المنطقة المعرضة لخطر الغواصات . وكان قد حرم علينا إشعال الأنوار حتى فى أبعد أغوار السفينة . وقد وقف ، فى ظلام دامس ، ثمانمائة جندى منا ، قد تداخل بعضنا فى بعض وتلاحمت مرافقنا ، وتضخمت أجسامنا بأحزمة النجاة . وكانت السفينة تقتحم طريقها فى التيار العنيف . وكان الاهتزاز الناشىء من مجهودها الجبار يسرى فى صميم عظامنا ، حتى صارت أسناننا تصطك ، مع أن الهواء كان حاراً خانقاً .

وكانت اللجة الصاخبة ترتفع ١٤ قدماً فوق الرؤوس ، وكان هـذا كله أقصى ما يحتمله المصابون « بالكلوستروفوبيا » ، داء الفزع من الأماكن المحصورة . وقد يتاح لآلاف الجنود المحشودة على ظهر السفينة بعض فرص للنجاة ، إذا ما مرق طوربيد فى وسط السفينة ، أما أولئك المجتمعون فى داخلها ، فلم تكن لهم فرصة ما .

وجاءت الساعة ، فقصفت المدافع الأمامية واهتزت السفينة . لقد شوهدت غواصة فسددوا إليها نيران المدافع . وكان معنى ذلك أن الغواصة ظهرت على سطح اليم ، وأن طربيدها كان الآن فى طريقه إلينا . وبالرغم من أن مدمرات الحراسة التى كانت ترافقنا انقضت عليها كالذئاب ، إلا أن الغواصة كانت قد قامت بواجبها وأطلقت الطربيد ، وها هو ، الآن ، فى طريقه إلينا .

وقفنا نشد على أسناننا وترتعد فرائصنا . مرت ثلاثون ثانية . وما أمسكتنا في مواقفنا إلا خيوط واهية ، ما هى الا : النظام ، وعزة النفس . وكانت كل لحظة تمر تقطع خيطاً من هذه الخيوط . ولو أن صرخة دوت فى الظلام ، أو زفرة أفلتت من هـذا الذعر المكظوم ، لسالت دماؤنا ، وتناثرت أشلاؤنا .

وفى هـذا الجو انطلق صوت أجش يحاكى نقيق الضفادع ، فتردد فى أقصى الأرجاء وهو يقول : « هل لأحدكم رغبة فى أن يشترى ساعة جيدة ؟ » ، ضحكنا ، وارتفع رنين ضحكاتنا ، وتجاوب صداه داخل السفينة . لم تكن هـذه الدعابة طمأنينة للنفس فحسب ، بل كانت انتصاراً . فإننا لم نعد من تلك اللحظة جماعة مشرفين على هاوية الجنون ، بل رجالا يواجهون الخطر على قلب رجل واحد . استمر الضحك — ثم علمنا فيما بعد أن الطربيد أخطأ سفينتنا وغاب فى أعماق اليم .

هناك أوسمة للشجاعة فى ميادين القتال حيث الشجاعة هى القاعدة . فكذلك ينبغى أيضاً أن يكون هناك ضرب من التقدير لأولئك الذين يكادون لا يخطئون اللحظة الحرجة الفاصلة ، فإذا كفة رباطة الجأش هى الراجحة ، لأنهم ألقوا فى الميزان ذلك العنصر القوى الفعال ، الذى نعرفه معرفة مبهمة باسم : « القوة المعنوية » .

الشخصيات التى لا تنسى

رجل من الصين

مانويل كومروف

إن أحداً من الناس لن يؤثر فى طريقة تفكيرى كما أثر شاب حكيم من بلاد التبت كنت أتلقى عنه العلم يوماً ما . فقد أخذت عنه أن أسمى فن بين الفنون جميعها ، هو فن الحياة الوادع الأمين .

وإنه ليكفينى فى هـــذه الأيام العصيبة السود أن أفكر فى لى يونج كو ، وأردد إحدى جمله العجيبة إلى نفسه : « إنْ هذا إلا عارض لا يلبث أن يزول » ، وعندئذ تنقشع ظلمة الهموم الكثيفة .

مانويل كومروف ، ما فتىء مهتما بدراسة الثقافة الصينية منذ شبابه وقد اشتغل مدة محرراً فى « صحافة الصين » ، وهى صحيفة أمريكية تصدر فى شنغهاى ، ثم عاد إلى نيويورك فأشرف على نشر رحلة « ماركو بولو » فى الصين . وأعد مجلداً آخر يحوى كتابات الأوربيين الذى زاروا الصين قبل ماركو بولو . وشعر بعد ذلك أنه لا يستطيع المضى فى هـذا العمل بغير أن يتعلم اللغة الصينية فقاده ذلك إلى التعرف إلى « لى يونج كو » . وقد وضع كومروف روايات تاريخية كثيرة منها « كورونت » التى بلغ عدد قرائها مليونا .

كانت هذه هى أول كلمة يقولها لى وهو يضع الفرشة فى يدى ليعلمنى الكتابة الصينية . ولقد أخذت نفسى بتعلم هذه الكتابة اعتقاداً منى أن معرفة الحروف الصينية — ولو كانت معرفة بسيطة — تتيح لى قسطاً أوفر فى فقه آداب اللغة الصينية وتفهم الحياة فى الصين . ولكن لى يونج كو ، بسط أمامى آفاقاً جديدة لم أحلم بها من قبل .

أرانى ذات يوم كتاب مبادىء القراءة للأطفال ، وقد حمله إلى ، وقال ضاحكا : « أنت الآن فى الخامسة من عمرك ، وستبدأ فى السنة الأولى » . وافتتحنا الدرس بالحرف الذى يمثل كلمة « رجل » ، وهو مكوّن من جرّتين سريعتين بالفرشة ، وأبدى لى أن الرجل يجب أن يصور دائماً قوياً شجاعاً ، ذا قدمين ثابتتين فى الأرض . ثم مضينا فى الدرس وإذا به يقول : « لعلك تحزر معنى الحرف التالى : إنه مكوّن من كلمتين سهلتين متصلتين معاً هما : « بنت » و « ولد » .

فقلت : « لا بد وأن يكون معناه « طفل » .

فضحك وقال : لقد كدت تصيب محجة الصواب ، إن معناه « خير » . فإن الصينيين يعتقدون أنه إذا ما اجتمع لك ولد وبنت ، فذلك « خير » .

وكان كل حرف جديد يكشف شيئاً فشيئاً عن فلسفة عظيمة ، عن فنين عظيمين : هما فن التخاطب بالكتابة وفن الحياة نفسها .

كان بعض الكلمات واضحاً كل الوضوح ، كما يفهم من الرمز برجل فى صندوق ، فهو يعبر عن كلمة « سجين » . على أنه كان من المتعذر إدراك معنى بعض الرموز دون علم سابق . مثال ذلك أن الحرف الدال على كلمة « بيت » ، يتكون من « سقف » ممدود على « خنزير » . وأوضح لى يونج كو أن تعليل الصينيين لذلك هو : « إذا كان لديك خنزير فإن عليك أن تدبر له مأوى ، وأن تمده بالطعام من مطبخك وحديقتك . فإذا ما كان لك مطبخ وحديقة وسقف يستظل به ، فقد تجمعت لك عناصر البيت » ومن جهة أخرى ، إذا ما مددنا « السقف » فوق الحرف الذى يرمز لكلمة « امرأة » كان معنى الكلمة « سلام » . وقد استعمل الصينيون هذا الرمز المنزلى البسيط للسلام منذ « عشرين قرناً مضت » .

وعلمنى بعد ذلك حروفاً أكثر تعقيداً مثال ذلك : أن رمز « المكنسة » بجوار كلمة « بنت » يجعل منهما « امرأة متزوجة » ، فى حين أن الكلمتين « بنت » و « صغيرة » تعبران عن كلمة « بديع » . وأن كلمة « انسجام » تتكون من كلمتى « أرز » و « فم » ، ويعلل الصينيين ذلك بأن الانسجام فى بلد جدب يكافح فى سبيل الرزق ، لا يكون إلا إذا كان الأرز قريباً من الفم .

وإن كثيراً من اقتران الكلمات مناسب للمعانى كل المناسبة ، فإن كلمة « رجل » مثلا مقترنة بلفظ « كلمة » هى رمز « صادق » ، وفى الحق أن الرجل الذى يستمسك بكلمته يكون صادقاً . واقتران كلمة « عبد » بكلمة « قلب » معناه ، « الغضب » ، ولا شك فى أن الرجل الغاضب عبد لنزوات قلبه .

ومن السهل أن تنطبع فى الذاكرة الحروف التى تمثل الأشياء فمثلا : إذا

ما وضعت « فماً » بين مصراعى باب ، عبرت عن كلمة « يسأل أو يستفهم » .

على أن لى يونج كو نفسه كان أكثر إقناعاً من الحروف الصينيــة التى علمنى كيف أرسمها . كان لابتسامته إشراقة تضىء كل وجهــه ، وكان فى عينيه السوداوين نظرة جذابة لا تقــاوم ، وكان مجرد وجوده فى الحجرة التى تراكم فيها التراب ، وضاقت بها الأنفاس ، وامتلأت بالــكتب المبعثرة ، يخلع عليها جواخفيفاً مستحباً من البهجة والمرح . وكنت أشعر عنــد انصرافه فى المســاء بأنه ترك وراءه أثراً من الجو الذى خلقه ، وهو شعور كان يلازمنى ساعات طوالا .

وعلمت من لى يونج كو أنه لم يأت إلى أمريكا إلا أخيراً ، وأنه يتلقى دراسة عليا فى التاريخ الحديث والقانون الدولى بنيويورك . فقد كان يحس أن هذه الدراسة ستفيد منها بلاده . وكانت الحــكومة الصينيــة تدفع له أجر تعليمه ، وتنقده مرتباً صغيراً ينفق منه فى شــئون مسكنه ومعاشه . وكان له ، غير دراساته والدروس التى كان يلقنى إياها ، أعمالا أخرى كثيرة . فقد كان يبادل سيدة روسية الدروس ، ويراسل صحيفة صينية فى نيويورك ، ويحضر تقارير خاصــة لوزيره المفــوض بوشنطن ، ويســاعد فى تعليم أبناء جلدته . ويقول فى ذلك : إنها تكون معرة لبلاده إذا لم يحرزوا نتائج طيبة .

وسألته مرة كيف يتسع وقته لــكل هذا فتبسم وأجاب : « إن فى اليوم ساعات كثيرة ، ومن مبدئى أن لا أرفض أى عمل يعرض لى » . فقلت : « ولــكن كثيراً من أعمالك لايدر عليك ربحا ما ! » . فأجاب : « ليس هذا بذى بال ، إن الأعمال التى لا يدفع لها أجر هى فى الغــالب من تلك الأعمال التى تحسن القيام بها أكثر من غيرها . وإن عملا تتقنه وتحصل منه على أطيب النتائج ، لهو فى ذاته خير جزاء على هذا العمل » .

وقد استمرت تلك الليالى الممتعة عــدة أشهر ، اكتشفت خلالها أن أسرار الــكتابة الدقيقة بالفرشــة : من اتساق ، واتزان ، وحركة ، وتلاؤم بين الضــوء والظل ، ومن جرات سريعة ، وأخرى بطيئة ، ومن زخارف رشيقة ، ومن صوت وقع الفرشة على القرطاس حاداً متقطعا ، وقوة ودفع مستمرين — كل أولــئك إنما كانت جزءاً

من شىء أعظم وأهم ، كانت جزءاً من أسلوب خاص فى الحياة ، فإن بعث الحيـاة فى أشياء صغيرة ولو كانت جرات فرشة دقيقة يجعل للحياة معنى أسمى وأعمق . فإن ينبوع الحياة إنما هو الذى ينبثق من الأعماق ، لا الذى يستجلب من الخارج .

وقد كان هذا أهم ما يستطيع أن يتعلمه إنسان ، وهو يتضمن روح الفلسفة الصينية ، ويحمل حمـلا على التواضع والتسـامح . ولـكن ما تعلمته أنا فى منتصف العمر كان صديقى الصينى قد تعلمه فى سنته الخامسة .

سألتـه يوماً ما الذى أثر أكبر تأثير فى حياته ، فأجاب : « جدى ، فقد كان يستطيع أن يطبق الأمثال الصينية القديمـة على الحوادث التى تجرى فى كل يوم » .

وقص على لى يونج كو القصة التالية :

« كذبت يوماً ، وأنا فى الخامسة من عمرى ، على جدى ، ولم تكن كذبة شنيعة . فطلب جدى إلى البسـتانى أن يأتى بسـلم طويل ، ويضعه على واجهة المنزل بحيث يصل إلى سـطحه . فلما ثبت البستانى السـلم فى موضعه قال له : « إن ولدنا قد شغف بالقفز من فوق أسطح المنازل ، وقد وضع هـذا السلم من أجله ليشبع رغبتـه فى ذلك حين يريد » . وقد عرفت من فورى ما يرمى إليه جدى ، فقد قيل فى أحـــد الأمثال السـائرة فى بلادنا : « إن من يكذب كمن يقفز من فوق سطح المنزل » .

وقد أهمنى ذلك وفـكرت فى صمت . فقد كان فى وجود السلم عندباب المنزل حرج كبير ، وخشيت أن يظل أبداً فى هـذا الوضع إذا أنا لم أفعل من جانبى شيئاً . وألفيت جدى يقرأ كتاباً ، فذهبت إليـــه فى هدوء ، وأخفيت وجهى فى حجره ، وقلت له : « لا حاجة بنا يا جدى بعد اليوم إلى هـذا السلم » ، فظهرت عليه أمارات السرور ، ونادى البستانى ، وقال له : « ارفع السـلم حالا ، فإن ولدنا قد عـدل عن القفز من فوق أسطح المنازل » — وكان هذا حدثاً فى حياتى سوف لا تمحى ذكراه » .

وبعد أن قص على قصة طفولته هـذه ، أخذ الفرشـة وكتب الـكلمة التى تعبر عن « كذب » ، وهى مكونة من كلمتين بسيطتين الأولى « حديث » والثانية « هراء » ، وقد بدا لى أن هذا أسلوب على جانب عظيم من الرقة فى وصف شىء ذميم .

وقص على قصـة أخرى عن جده الذى كان ، بغيرشك ، أعجب شيخ وأظرفه . فقد قال له جده يوما وهو يحاوره : « إن لديك كتابين مدرسيين كلاهما فى موضوع واحد ، أحـدهما ضخم ملىء بالهوامش والشروح ، والآخر مختصر صغير ، فأيهما أحب إليك ؟ »

فأجاب لى يونج كو : « الكتاب الصغير ».

— « ولم »

— « لأنه أسهل فى القراءة ، وأدعى للتفكير ، فى حين أن الآخر يشرح لك كل شىء ولا يدع لك مجالا لإعمال الفكر » .

— « حسن جداً » .

ثم تلا عليه جده مقطوعتين من الشعر وسأله أيهما أحب إليك ؟ فأبدى الصغير ميله إلى المقطوعة العسرة الفهم .

فقال جده : « حسنا ، والآن خبرنى : أى الصورتين أحب إليك الصورة التى على هذا الجدار ، تمثل البط بين أدغال الغاب ، أم الصورة التى تمثل الجبال والمطر » ؟

فأجاب الولد : « صورة المطر أحبهما إلىّ » .

— « ولم »

— « لا أدرى » .

فقال الشيخ الحكيم : « آه ! ربما كنت تعلم حق العلم ، غير أنك لا تجد من الكلمات ما تعبر به عما تريد ، وإلا فكيف استطعت أن تختار أحسنها فى كل مرة ؟ اذكر يا بنى أن الشىء يجب أن يكون على طبيعته ، غير أنه لا يكون عظما إلا إذا أوحى بمعنى أعظم من حقيقته . فإن سر العظمة مستكن فى قدرة الشىء على أن يوحى إلى النفس شيئاً أكثر مما يدل عليه بذاته . ولذا فإننا نجد صوراً فى الشعر الحسن كما نجد شعراً فى الصور الجميلة » .

وتصرم العام كاملا ، وكان لى يونج كو قد أخذ بيدى فى رقة إلى أن انتهيت من كتاب المبادئ الأولية ، وكنا قد خططنا بالفرشة ألف حرف من الحروف البسيطة . وللتمكن من قراءة صحيفة صينية يجب أن يلم الإنسان بنحو خمسة آلاف كلمة ، وهذا ما لم أكن آمل أن أبلغه يوما ما ، على أننى قد تعلمت منه أشياء أخرى لن أنساها .

وقد روى لى كثيراً من الأمثال السائرة فى بلاد التبت ، وإنه ليعاودنى الآن أثر من لذة تلك النشوة التى شعرت بها حين سمعتها لأول مرة . وهاك بعض تلك الأمثال :

« اللص لا يسرق ناقوسا » .

« من كياسة الحملان أن ترضع راكعة على ركبتيها »

« إن الجو الحقيقى هو ما نجده فى أنفسنا لا ما نجده فى الطريق » .

« الكلب العاق يحب هو الآخر أن يهز ذيله » .

« إن الهواء أروح وأطيب ما دام الإنسان فى عون أخيه » .

نال لى يونج كو إجازة الدكتوراه فى الفلسفة ، ثم يمم شطر أوربا . وكان وقع فراقه فى نفسى شديداً ، ولكنه تبسم

وأكد لى : « إنْ هذا إلا عارض لا يلبث أن يزول » .

وبعد سنة تلقيت كتابا من الصين كانت تتوق إليه نفسى ، علمت فيه أنه يعمل كاتم سر لأحد قواد الجيش قال فيه : « ولكنه عارض لا يلبث أن يزول » . وعين فى السنة التالية أستاذاً للقانون الدولى بجامعة نانكنج . ثم بعث إلى منذ ثلاث سنوات كتابا من السفارة الصينية فى برلين . وبلغنى أخيراً أنه عاد إلى الصين ليكون كاتم سر القائد الأعلى شيانج كاى شك .

وإنى لأعلم أنه يقوم فى الغالب بعدة أعمال فى وقت معا ، وأنه يؤديها جميعاً على أتم وجه. وإنى لأعلم أيضا أن على الإنسان أن يطبع شخصيته على صفحة ما من صفحات الحياة — ولتكن صفحة التاريخ — وأن فى استطاعته أن يكون وديعاً ومقداما فى وقت معا .

وقد تكون الصين اليوم مقطعة الأوصال — فإنى أرى فى خرائط الصين التى تنشر فى صحفنا اليومية بقعا سوداً (يحتلها الأعداء) — إلا أننى على الرغم من ذلك أفكر فى لى يونج كو ، وأبتسم كما كان يبتسم ، لأنى على يقين من أن « هذا عارض لا يلبث أن يزول » .

الأجوبة الصحيحة

[انظر الأسئلة صفحة ٩٥]

(١) كان الصيادون ثلاثة وهم ، جد وابنه وحفيده . فالجد أب ، وابنه أب وابن فى وقت واحد ، والحفيد ابن . (٢) ثلاث بطات فى صف واحد ، هكذا (. . .) . (٣) يذهب الابنان أولا ، فيبقى أحدهما على الضفة المقابلة ويعود الثانى بالزورق . فيأخذ الوالد الزورق وينزل إلى البر ، ويرجع ابنه إلى الضفة الأولى فيعود مع أخيه . (٤) من كان يعلم عند سك النقود ان المسيح سيولد بعد ٦٤٩ سنة لينقش ق . م على النقد . (٥) خمسة جنيهات . بينها جنيهان ثمن علبة السيجار وثلاثة جنيهات « فكة » (٦) ٩٠١ ورقة . راقب عشرة كتب على رف فالعثة التى بدأت فى الورقة الأولى من الكتاب الأول لم تمس ٩٩ ورقة منه . (٧) ٢٥ ميلا . فالقطاران التقيا بعد ساعة والنحلة تقطع ٢٥ ميلا فى ساعة . (٨) سحب النديم ورقة وقطعها وقال لرئيس القضاء اقرأ الثانية فقرأها فإذا عليها « اذهب » فحكم بأن الورقة التى سحبها النديم مكتوب عليها « إبق » .

المطاط الصناعى ـ جاءَ اخيرًا

روجر ولـيم ريس

ملخصه عن صحيفة « كريستيان سيانس مونيتور »

استحوذ اليابانيون على مزارع المطاط فى الشرق الأقصى . ولكن أمريكا ، بفضل ما بذلت من مجهود صناعى جبار ، ستحصل من المطاط فى العام القادم على أكثر مما كانت تشتريه من هذه المزارع فى أيام السلم .

بدأ أول مصنع للمطاط فى الولايات المتحدة يعمل فعلا ، وهو أكبر مصنع فى العالم . ففى إنستيتوت ، بفرجينيا الغربية ، مصنع مساحته ٧٧ فداناً ، ينتج من المطاط ٩٠٫٠٠٠ طن فى السنة . وهو مقدار يساوى نحواً من سدس ما كانت تحتاج إليه أمريكا عادة فى زمن السلم . ثم هو يساوى ما يجمعه ١٠٠٫٠٠٠ رجل من أهل ملايا من ١٨ مليون شجرة من شجر المطاط . ويوشك أن تقوم مصانع أخرى ، فى لويزفل ، وبتسبرج ، وباتون روج ، ولس أنجلس . وفى أغسطس كانت أمريكا تنتج من المطاط بمعدل ٤٣٥٫٠٠٠ طن فى السنة . فإذا جاء يناير سنة ١٩٤٤ كان مجموع ما صنع منه ٧٥٠٫٠٠٠ طن فى السنة . وهو يزيد ٢٥٪ على ما كانت تشتريه أمريكا قبل الحرب من مزارع الشرق الأقصى . (يبدو أن شراهة الحرب تلتهم المطاط التهاماً وأنها لا تكاد تشبع) .

من الصعب أن تتصور ضخامة هذا العمل الباهر ، الذى وصف بأنه أعظم برنامج صناعى وضع موضع التنفيذ على مر العصور . وقد نهضت الولايات المتحدة لكى تخلق فى عامين اثنين صناعة جديدة كل الجدة ، تنتج من المطاط ما يفى بحاجات الحرب المتضخمة . (كانت الولايات المتحدة تستهلك — حتى فى زمن السلم — نصف محصول العالم كله من المطاط) . وقد بلغت ضخامة هذا المشروع ، كما لو أراد رجال الصناعة الأمريكيون أن يخلقوا صناعة السيارات العظيمة فى مدى سنتين بدلا من أربعين سنة !

وهو وإن كان مشروعاً يحير العقل إلا أنه لم يكن لنا أن نختار . فكل قلعة من القلاع الطائرة تحتاج إلى أكثر من نصف طن من المطاط ، وكل دبابة تحتاج إلى ما يقرب

من طن ، وكل بارجة تحتاج إلى ٧٥ طناً . فكان أمراً حتما على أمريكا : إما أن يكون لديها مطاط ، وإما أن تخسر الحرب .

أما الآن، فلا ريب في أن الولايات المتحدة ستكون قادرة على أن تزود نفسها بما تحتاج إليه من المطاط . وقد نجح هذا البرنامج لثلاثة أسباب : (١) أن الحكومة ورجال صناعة المطاط بدأوا جميعاً في دراسة المشكلة قبل الهجوم على ميناء بيرل بزمن طويل ، (٢) أن المهارة الفنية الأمريكية نهضت كتلة واحدة إلى النضال في سبيل المطاط ، (٣) أن الحكومة ورجال الصناعة تعاونوا تمام التعاون ، برغم المنازعات التي كانت تقوم بينهم بين الحين والحين .

فهل هذا المطاط الصناعي في مثل جودة المطاط الطبيعي ؟ « نعم » ! هكذا أجاب كيميائي شاب في مصنع فرجينيا الغربية : « بل هو أفضل منه بكثير . فالشجرة لا تستطيع أن تنتج إلا نوعاً واحداً من المطاط ، أما نحن فننتج أنواعاً كثيرة .

« والمطاط الصناعي يزداد جودة بسرعة يجب معها أن لا يتذكر أحدنا شيئاً من البيانات التي تكتب عنه اليوم ، لأنها ستصبح قديمة في الغد . وهو اليوم أحسن من المطاط الطبيعي لإطارات عجلات السيارات التي تسير بسرعة تزيد على ٦٠ ميلا في الساعة . وهو خير منه أيضاً لإطارات عجلات الطائرات . ويستخدم المطاط في صناعة ٣٠٫٠٠٠ ألف شيء ، وهي تتطلب خصائص مختلفة في المطاط . فنحن نعطي المطاط الصناعي الخواص التي نريدها نحن ، لا التي تهبها لنا الأشجار » .

وأنواع المطاط الكيميائية مثل : نيوبرين ، وثيوكول ، وبوتيل ، وبوناس ، وبونان ، وما يماثلها من الأصناف التجارية مثل : بربونان ، هيكار ، كيميجم ، تختلف في خواصها كما تختلف العجائن الكيميائية الكثيرة . فمنها ما هو أكثر مقاومة للهواء وللتأكسد من المطاط الطبيعي ، ومنها ما هو أشد مقاومة للزيت . وخراطيم مضخات البنزين في محطات تموين السيارات ، تصنع — منذ زمن بعيد — من المطاط الصناعي .

قال جون كو ، رئيس قسم المطاط الصناعي بشركة مطاط الولايات المتحدة : « إن الكيميائيين معجبون به ، وحق لهم أن يعجبوا . ففي أنابيب الاختبار أنواع من المطاط خير من كل ما نصنعه اليوم . لقد علمتنا الأبحاث في هذه الأشهر الثلاثين الأخيرة عن المطاط الصناعي ، أكثر مما علمتنا عن المطاط الطبيعي في السنوات الثلاثين الماضية » .

إن كل ما سيعلمه الرجل حين يشترى

— وهو فى طريقه — إطاراً لعجلته ، أن هذه المادة الجديدة إنما هى مطاط وحسب . ويقول الكيميائيون : إن بين تركيبهما الجزيئى فرقاً طفيفاً ، ولكن لا العين يمكنها أن تدركه ولا اليد .

إن مصنع إنستيتوت يصنع مطاطاً اسمه بوناس (وهذه كلمة مركبة من « بو » ، وهى اختصار بوتادين الغاز الكيميائى ، ومن « نا » ، وهى اختصار نتريوم وهو عنصر الصوديوم، ثم السين ، وهى اختصار ستيرين، وهو سائل كيميائى) . أما الإستيرين فيصنع من البنزين ، وأما البوتادين ، فيصنعه مصنع إنستيتوت من الكحول . والكحول يصنع الآن من الذرة . ويستخرج من بوشل وثلاثة أرباع البوشل من الذرة ما يكفى لصنع إطار عجلة سيارة . وهذا المصنع يستهلك فى العام نحواً من ٢٨ مليون بوشل من الذرة ، أى ١ ٪ فقط من محصول الذرة فى الولايات المتحدة .

والكيميائيون لا يتشبثون بإنتاج الكحول من الذرة ، فهم يصنعونه أيضاً من العسل الأسود . والبطاطس ، والسكر ، والخشب ، وقطران الفحم الحجرى ، والغاز الطبيعى ، والبترول . وواحد منها أو كلها ، قد يصبح يوماً ما مصدر ما نحتاج إليه من المطاط لعجل السيارات ، أو كعوب الأحذية، أو كرات لعبة الجولف ، أو قرب الماء الساخن . ويتنبأ الكيميائيون للمطاط الصناعى بحظ كبير من الوفرة ، حتى إنهم ليفكرون منذ اليوم فى أشياء جديدة يمكن أن تصنع منه ، لكى تضاف إلى قائمة الأشياء الكثيرة التى صنعت منه حتى اليوم .

وليس هناك شىء هو أحسن بياناً عما أحرزته الولايات المتحدة من النصر على مشكلة المطاط ، من مصنع إنستيتوت . فحين استقر الرأى على أن يصنع مطاط « بوناس » من الكحول — لأن صنعه من الكحول يأتى بأكبر قدر من المطاط فى أقصر زمن — أصدر مجلس مصانع الدفاع أمره إلى شركة الكربون والكربيد، وإلى شركة المطاط للولايات المتحدة ، أن تبادرا إلى إعداد كل شىء فى البقعة المختارة فى فرجينيا الغربية . وكان على الشركة الأولى أن تصنع المادتين الأساسيتين — البوتادين والإستيرين — بمقادير لم يسمع بمثلها من قبل . وأما شركة المطاط فكان عليها أن تحولهما إلى مطاط

وكان مشروع الحكومة الأمريكية يرمى أولا إلى بناء مصنع ينتج ١٠،٠٠٠ طن من البوتادين فى السنة . فنشبت الحرب قبل أن تتم التصميمات ، فما كان من الحكومة إلا أن أمرت بمضاعفة المشروع .

فلمـا زاد إدراك الحكومة لحرج الحالة ضوعف المشروع مرة بعد أخرى . وكل تغيير معناه تجديد الخطط والتصميمات .

وتم بنـاء المصنع برغم العقبات الـكثيرة فى ١١ شهراً ، وقام مائة من الرسامين ، وقد تغضنت جباههم وهم منكبّـون على رسوم التصميم الزرق ، وهى أوراق تبلغ مساحتها مجتمعة ٣٥ فداناً . أما المهندسون ، فـكان عليهم أن لا يكتفوا بالتفـكير فى أن ينشئوا مصنعاً يبلغ اتساعه خمسة ملايين ضعف من اتساع المعمل التجريبى — وهو كل ما كان لديهم من التصميمات ليعملوا على غراره — بل كان عليهم أيضاً أن يصمموا رسوم الآلاف من قطع الأجهزة ، أو أن يشـتروها أو يصنعوها . فإذا أعوزتهم بعض المواد التى يحتاجون إليهـا ، وتعـذر عليهم أن يحصلوا عليها ، ابتـكروا ما يقوم مقامهـا . وإذا أعجزهم أن يشتروا الآلات ، جمعوا أجزاءها ثم ركبوها بأنفسهم . وأما الـكيميائيون الشبان ـ وجميعهم كانوا فى حداثة السن ـ فقد بلغ متوسط ساعات عملهم لمدة سـنة ، ٧٠ ساعة فى الأسبوع .

وحتى الخامات كانت تحـارب هؤلاء المهندسين . وكان أسلسها قياداً الـكحول ، أما البوتادين والأستيرين وغيرهما ، فقـد كانت غاية فى العنف والمراوغة .

ولما أقبـل أول شتاء ببرده القارس ، تجمدت المواد الـكيميائية فى أنابيبها الجديدة ، وتجمدت أيضا أنابيب البخار التى ركبت معها لتحفظ حرارتها . أما عازلات الحرارة والبرودة فلم يكن إلى الحصول عليها من سبيل .

وقامت دون النجاح ، جميع العوامل المادية ، أما العوامل الإنسانية التى لا تقهر فقد أصرت على النجاح . وبذلك قام اليوم ، فى إنستيوت ، مصنع فخم النظام ضخم ، حتى أن خزان المياه يكفى مدينة سكانها مليون نسـمة ، والقوة الـكهربائية تعادل نصف القوة المولدة للـكهرباء فى ولاية دلوار كلها . والمصنع قائم فى العراء ، فهو أكبر من أن تضمه جدران . والصفوف الممتـدة من أبراجه ومضخاته تدوى وترتجف بقوة هائلة .

ومصنع إنستيوت ليس إلا أول مصنع سبق إلى الإنتاج . ومنذ ثمانية عشر شهراً مضت ، كان فى ضواحى لويزفيل مزارع ، يقوم عليها الآن أحد مصانع المطاط الأربعة الأخرى . فاختفت بذلك المزارع فى تيه من المصانع الـكيميائية ، وقامت شركات جود ريتش ، وجود يير ، وكوبارس ، وغيرها من الشركات الـكبيرة ، وأخذ يعين بعضها بعضاً ، بالعلم والخبرة ، ومن ورائها حكومة الولايات المتحدة ، على غرض واحد ، هو صناعة المطاط .

لا همّ إلاّ الأسنان

روبرت بنشلى

ملخصة عن كتاب « فى سريرة بنشلى »

لا يمل الناس الحديث عن أسنانهم ، فهم يجدون لذة عظيمة حين يصف بعضهم لبعض أسوأ ما لقيه على كرسى العلاج عند طبيب الأسنان .

غير ان الفترة التى يقضيها الإنسان على هذا الكرسى هى فى الواقع جزء بسيط من الألم الهائل الذى يعانيه فى أثناء هذا البلاء كله . فأسوأ من هذه الفترة ، المرحلة الأولى من المرض ، التى تقع بين اللحظة التى يعثر فيها الإنسان على الضرس المعتل ، واللحظة التى يضع فيها طبيب الأسنان قدمه على الجهاز الأتوماتيكى الذى يرفعك لكى تكون فى متناول يده . إن التخدير لخلع الضرس عمل إنسانى ، ما فى ذلك شك ، غير أن الوقت المناسب الذى كان يجب أن يفقد فيه المريض شعوره هو اللحظة التى يعقد فيها النيـة على الذهاب إلى طبيب الأسنان !

وقد لا تكون هناك لحظة أشد على المرء هولا وفزعاً من تلك اللحظة التى ينساب فيها لسانه عفواً على أسنانه فى عبث لا قصد له ، فيقع فجأة على طرف متآكل من ضرس قد تلاشى حشوه . حينئذ تقف حركة العالم كله ، وتنظر بإمعان متأملا سقف الحجرة ، ثم تسحب لسانك بسرعة ، وتحاول أن تتناسى الأمر قائلا لنفسك : « كلام فارغ ! يا صاحبى ليس فى الأمر شىء مطلقاً ، لقد تحطمت أعصابك اليوم بعد عمل النهار الشاق ، هذا كل ما فى الأمر » .

ثم تعود بنوع من المكر ، فتترك لسانك ينزلق على أسنانك فى محاولة عقيمة ،

يحتل روبرت بنشلى مكانة سامية بين الكتاب والممثلين ومذيعى الراديو الأمريكيين المطبوعين على الفكاهة ، ويمتاز بالقدرة على الانتقال من موضوع إلى موضوع بمهارة ولباقة . وقد نال إجازته من جامعة هارفرد سنة ١٩١٢ ، ثم أخذ يكتب مقالاته عن نقائص الانسانية فى مجلة نيويورك تريبيون . وقد أصبح بعد ذلك الناقد الروائى لمجلة لايف القديمة ثم لمجلة النيويوركر . وقد اكتسب قراء كثيرين بنقده اللاذع . وهو يقيم فى هوليوود من عدة سنوات يحرر ويمثل ويدير . ولقد ذاع صيته بالأفلام القصيرة التى يتناول فيها موضوعات مثل « حياة بوليت الغرامية » و « كيف تنام » ومن أشهر مؤلفاته العديدة كتاب « عشر سنوات من حياتى فى خرج » ، وكتاب « ماذا بعد سنة ١٩٠٣ » .

ليتحســس الضرس مرة أخـــرى .

ولـكن ها هو الداء ! لا يمكن أن يكون فى ذلك شك هذه المرة ، إن الضرس يجب أن يعاد حشوه . فعليك إذن أن تزور طبيب أسنان وتتفق معه على موعد للعلاج .

لنفرض أنك عزمت على ذلك يوم الثلاثاء وها أنت ذا تبحث بعد ظهر ذلك اليـوم فى دفتر التليفون عن رقم الطبيب ، فحين تكتشف أن اسمه ليس فى الدفتر تغمر نفسك موجة من الارتياح . أينتظر منك أن تضرب موعداً مع إنسان لا يوجد عنده تليفون ؟ هذا شىء مستحيل .

وها هو الوجع تشتد وطأته عليك يوم الأربعاء ، فتصمم على أن تتصـل بذلك الطبيب ، إلا أنك تعلم ماذا يحدث . يطلع إليك شاغل بعد آخر ، حتى إذا ما فرغت لنفسك دقيقة واحدة ، كانت الساعة قد بلغت الخامسة . وعلى أية حال فالضرس الآن لا يضايقك . ولن تستولى عليـك الدهشة إذا ما استطعت أن تمضى على ذلك حتى نهاية الأسبوع ، حين يكون لديك من الوقت متسع ، إذ لا بد للانسان من أن يفكر فى عمله قبل كل شىء !

وفى يوم السبت تكون قد أعددت نفسك لتمضى رأساً إلى عيادة الطبيب ، غير أنك تتذكر أن العمل فى ذلك اليوم يستمر إلى الظهر فقط ، فمن الجائز أن لا يكون لدى الطبيب مجال لزيارات طارئة . حقاً إن يوم الاثنين مناسب للزيارة ، ثم إن يوم الاثنين هو اليوم المعقول لكى تبدأ ذهابك إلى طبيب الأسنان .

وفى يوم الاثنين تستيقظ مبكراً فى الصباح المشرق ، وتبحث مرة أخرى فى دفتر التليفون ، فترى ، ويا لهول ما ترى ! ! إن اسم الطبيب ورقمه قـد أدرجا فى الدفتر فى المدة التى خلت بين يومك هذا ويوم الثلاثاء الماضى . ومن حسن حظك أن تجـد خط التليفون مشغولا ، وهذا ما يسمح لك بأن تؤجل ذلك إلى يوم الثلاثاء ، فإذا جاء يوم الثلاثاء جاء معـه حظك العاثر ، إذ تتصل بالطبيب نفسه اتصالا مباشراً ، ثم تحصل منه على موعـد يوم الخميس فى منتصف الساعة الرابعة بعد الظهر .

يوم الخميس بعد الظهر ، وها نحن فى صباح الثلاثاء ! قد يحدث أمر ما ، فى الفترة ما بين هذه الساعة وبين ذلك الميعاد . غير أن يوم الأربعاء يمضى وكذلك صباح الخميس ، ولا يحـدث أمر ما . إذن فلم يبق لك إلا أن تدعوه فى التليفون فتخبره بأنك ارتـكبت جريمة قتل ، وأنه قد قبض عليك ، ومن الجائز أنك لن تستطيع أن تحافظ على موعدك . ولـكن كل طبيب أسـنان يدرك ما وراء

ذلك ، فإنك مهما تنتحل من أعذار فلن تستطيع أن تغرر به . كلا ، بل ينبغى عليك أن تمضى فى هذا من الآن ، فمن الجائز أن يقتصر عمله هذه المرة على فحص الضرس فقط . وهذا سهل ، ففى وسعك أن تعرض أنت عليه ذلك ، ثم تأتى إليه مرة ثانية بغير عناء ليباشر العلاج الحقيقى .

ها هو منتصف الساعة الرابعة قد أزف . ما أثقلها ساعة ! ألم تكن هناك ساعة أولى من هذه الساعة التى تكون فيها قوى الإنسان مضعضعة خائرة ؟ وعند ما تدخل البناء الذى فيه الطبيب ، تلقى نظرة على أولئك الذين يكادون يركضون فى الطريق ، من فرط النشوة والسعادة ، يا لهم من أطفال لايبالون بشىء ! فماذا يعلم هؤلاء من هم الحياة ؟ ومن يدرى لعل هذا الرجل الذى يضع على رأسه قبعة تثير الضحك ، لم يعان فى حياته ألماً حتى فى طفولته فى عهد التسنين .

وها أنت تدخل المصعد ، لقد ضاع الأمل الأخير حين انصفق عليك الباب وحبسك وراء مصراعيه. لا شك أن هناك دائماً فرصة سانحة فى احتمال سقوط المصعد ، ولكن من الإغراق الفاضح أن تتعلق بمثل هذا الأمل، ولهذا تختلج نفسك بزهو البطولة فإذا ماقلت لعامل المصعد الرقم الحقيقى للدور الذى توجد فيه عيادة الطبيب توهجت فى عواطفك شعلة من شعل البطولة . فقد كان من السهل الهين عليك أن تقول له رقم دور أعلى منه بكثير أو أدنى منه بكثير فتسبب بذلك بعض التأخير .

إن غرف الانتظار فى عيادات أطباء الأسنان كلها متشابهة . فما هى إلا رائحة المطهر ، وحشرجة الصوت المشئومة صادرة من حجرة العمليات ، والمجلات العتيقة ، ولفيف ساخط متبرم من المرضى جالس ينتظر . وحين تجلس فى حجرة الانتظار وتحدق بعيون لا تكاد ترى ، فى كتاب ضخم عنوانه « حوادث الحرب فى صور » ، تتمنى بكل سرور أن تستبدل بمصيرك هذا مصير أى إنسان من أتعس مخلوقات الله . فلا يعقل أن يكون هناك إنسان قد بلغ من سوء الحال ما بلغت ، إلا أن يكون من هؤلاء الأشقياء المساكين الذين جلسوا ينتظرون معك .

وتلك الجالسة فى الكرسى الضخم ، لا تبرح حانقة تمزق قصاصات من مجلة « طب الأسنان » ، ما خطبها ؟ لعل هناك أمراً مخيفاً يثير فى نفسها هذا الاضطراب ، فقد لا يمكن أن تبدو أشد قلقاً مما هى عليه الآن ، ومن يدرى لعلها تعانى ألماً شديداً . . شديداً جداً . إن هذا الخاطر يبعث فى نفسك سروراً عظيما . حقاً ما أجبن النساء !

وعندئذ تظهر الممرضة فى الغرفة ، وتلقى على كل إنسان فيها نظرة فاحصة ، فيبذل كل

واحد غاية جهده أن يفلت عبثاً من نظرتها ، ولـكن ها هى تشير إليك وتومىء بكل رقة . رباه ! ألا ما أجمل إيماءتها ! ينبغى أن يسن قانون ضـد من لهم كل هذا الحظ من الرقة !

تقول لك : « سيراك الطبيب الآن » .

يفترّ ثغرك عن ابتسامة فاترة ، ثم تمشى مترنحاً إلى حجرة العمليات ، فإذا أنت بين قوالب الأسنان الصناعية المخيفة كجماجم الموتى ، ونيران زرقاء تنبعث من مصابيح الغاز ، تتراقص ألسنتها كالأشـباح ، وصوت الماء الذى يسيل باستمرار ، فما يسعك إلا أن تغوص فى كرسى العلاج وتغمض جفنيك .

والآن علينا أن نتأمل هـذه النشوة الروحية التى تدب فى نفسك عند ما تعود إليك حريتك فى النهاية . لقد انتهى كل شىء . فماذا بلغ منك ؟ لا شىء مطلقاً . لماذا ها ، ها ، ها ، ها ، لا شىء مطلقاً . وحينئـذ تتصل بينك وبين الطبيب أسباب الود . حقاً ، إنه لصديق طيب . تسأله عن أجهزته ، فيم تستخدم هـذا الجهاز ؟ عجباً عجباً لهذا الجهاز الصغير ، كيف يسبب كل هذا القلق ! ها ها ها ، وعائلة الطبيب كيف حالها ؟ أليس هذا جميلا ! بعد ذلك تصافحه مودعاً باغتباط ، ثم تصلح رباط رقبتك .

وحين تمر بغرفة الانتظار تنظر إلى الجالسين شزرا . هؤلاء المساكين ! لم لا يطيقون أن يقبلوا على العلاج إقبال رجال أشداء ، فلا يستكينون استكانة المحكوم عليهم بالإعدام !

وحين تطأ قدماك الطريق الذى يشع فيه النور والبهجة ــ هذا الطريق الرائع الحافل بوجوه حبيبة ! ــ تشعر بأن الحياة جميلة مهما يكن من شىء ، وقد نسيت كل النسيان أن لديك يوم الاثنين زيارة أخرى. كلا ، ليس هناك شىء كهذا يقال له يوم الاثنين . لقد فرغت من هم هـذا اليوم ، وأصبح كل شىء فى الدنيا على ما يرام .

إنك لا تستطيع أن تمنع طيور الأسى من أن تحلق فوق رأسك ، ولـكنك تستطيع أن تمنعها من أن تعشش فى شعرك .

(مثل صينى)

الموت فى أعالى الجو

ملخصة عن مجلة « فورتشون »

إن الارتفاع لم يعد تحده اليوم مهارة واضع تصميم الطائرة ، بل أن الذى يحده الآن هو منتهى طاقة الجسم البشرى على التحليق — سبعة أميال .

ما فتئت الحرب الجوية سباقاً فى الارتفاع بين الطائرات ومقذوفات المدافع ، ومن المشكوك فيه أن كان لطائرة من الطائرات التى اشتركت فى الحرب العالمية الأولى ، قدرة على الارتفاع إلى ما يزيد على ١٦٫٠٠٠ قدم ، فإن أكثر عمليات الطيران التى أجريت عندئذ كانت على ارتفاع يسير جداً . ولكن مدى نيران المدافع المضادة للطائرات زاد منذ ذلك الحين كما زادت دقتها فى الإصابة زيادة كبيرة . أما الطائرات التى قامت فى هذه الحرب بالجزء الأكبر من عمليات قذف القنابل والقتال الجوى فلها قدرة على أن تصعد إلى ٣٠٫٠٠٠ قدم ، وما يزال الطيران العسكرى يتطلع إلى بلوغ ارتفاعات أعلى فأعلى

والطائرات يسعها أن تقوم بذلك الآن ، فقاذفات القنابل الأمريكية الضخمة ، البعيدة المدى ، يمكنها أن تحلق فى اطمئنان وهدوء إلى ارتفاع يزيد على ذلك المدى الذى لا تكاد تبلغه النيران المضادة للطائرات ، وهى لا تزال محتفظة بالدقة فى إحكام الرماية ، ويزيد كثيراً على أقصى ارتفاع يتيسر لمطاردات العدو أن تعمل فيه . وهذه القاذفات يمكنها — نظرياً — أن تقذف مدن العدو بالقنابل دون أن تخسر طائرة ما ، ولكن يستحيل ذلك عملياً ، أو هو — على الأقل — يستحيل الآن . ويرجع السبب فى ذلك إلى حاجة المرء إلى هواء فيه الكفاية من الأكسجين حتى يمكنه أن يحتفظ بالحياة . وقد بلغت الطائرات — منذ زمان بعيد — ارتفاعاً أعلى بكثير من المستوى الذى يتيسر للطيار أن يطرقه وهو آمن .

وستكون العقبة الوحيدة فى السبيل المؤدية إلى التفوق الجوى ، على الأرجح ، هى إعداد رجال قادرين على الطيران العالى .

إن العوائق فى سبيل الطيران العالى هى : برودة الجو ، والدوار ، والانسداد الهوائى للشرايين الناشئ من قلة الضغط الجوى ، وإن كان هذا الانسداد أخف وطأة من مثيله الناشئ عن ثقل الضغط الجوى . أما الدوار فهو أشدها تأثيراً ، ومرجعه إلى افتقار الدم إلى الأكسجين . فما إن يتجاوز المرء ارتفاع ١٥٫٠٠٠ قدم حتى تأخذ قدرته

فى التناقص ، إذا لم يكن مزوداً بأجهزة الأكسجين الصناعى ، ثم يصبح معرضاً للخطر إذا ما بلغ ارتفاع ١٨٫٠٠٠ قدم ، وأخيراً يغيب عن شعوره فيما بين ١٨٫٠٠٠ و ٢٦٫٠٠٠ قدم . بل هو يموت إذا ما انقضى عليه زمن يتفاوت بين ٢٠ و ٣٠ دقيقة على ارتفاع ٢٥٫٠٠٠ قدم . وأقنعة الأكسجين تظل نافذة المفعول إلى ارتفاع ٣٥٫٠٠٠ قدم ، وهو ارتفاع قد بلغته الآن المدافع المعادية. فلو أننا اخترنا أصلح طيار، وزودناه بأحسن جهاز ، يمكنه من أن يستنشق أكسجيناً نقياً كل النقاء ، فلن يزيد على أن يبلغ منتهى المدى المأمون لبقاء الحياة البشرية وهو حوالى ٣٧٫٠٠٠ قدم .

إن أغرب أعراض مرض دوار الارتفاع ، هو ذهول المرء عن الخطر المحدق به ، بل إن بعض الأفراد يزدادون شعوراً بالسلامة كلما ازاد الخطر تفاقماً . فى هذا يقول الميجور هارى أرمسترونج ، الخبير الأول بقسم الأبحاث الطبية للطيران فى الجيش الأمريكى : « لا نعرف حالة أخرى يمكن أن تنزل بالجسم من الأضرار البليغة ما تنزله هذه الحالة ، ثم لا تسبب — فى الوقت نفسه — إلا أقل الآلام » .

وقد كتب العالم الجوى الفرنسى تسندييه منذ حوالى ٧٠ سنة ، أول تقرير يعول عليه عن النتائج المترتبة على التعرض للارتفاع الشاهق . وكان قد ارتقى فى الجو فى بلون برفقة زميلين ، وكانوا مزودين بالأكسجين ولكنهم أهملوا الالتجاء إليه فى الوقت المناسب لأنهم ظلوا يشعرون بأنهم فى حالة جيدة . فمات زميلا تسندييه ، ووصف هو ما مرّ به من تجارب فقال :

« ... وإنى أصف الآن تلك اللحظات التى حملت إلينا القدر المحتوم ، حين وقعنا تحت التأثير المريع الناتج عن انخفاض الضغط . فاعترانى التخدر على ٢٢٫٩٠٠ قدم ، وظللت أكتب بالرغم من ذلك مع أنى لا أتذكر ذلك بوضوح . وعلى ٢٤٫٦٠٠ يصبح الخدر الذى يعترى المرء غريباً غير مألوف ، ولكنه لا يتألم ولا يفكر فى خطر ، بل على النقيض من ذلك ، يشعر المرء بجذل نفسانى ، ويظل يصعد فيطرب للصعود . ولما بلغنا ٢٦٫٠٠٠ قدم بلغ منى الضعف المبلغ الذى لم أكن أقوى معه حتى على الالتفات نحو رفيق ، ووددت أن أنادى ولكن لسانى كان معقوداً . ثم تهالكت دفعة واحدة بلا حول ولا قوة وفقدت كل شعور » .

وتماثل أعراض دوار الارتفاع وأعراض السكر تماثلا يثير الدهشة . ففى الحالين يظهر الكلال فى البصر ، والثقل فى السمع ، والتخدير العام فى الحواس ، وفقدان السيطرة

على العضلات . وتتبين فى هذا الدوار أيضاً تغيرات نفسانية مما اختص به السكر ، فإما أن يتخدر جسد الطيار ، وإما أن يصبح ، وهو الغالب ، نشوان يطفر فرحاً ، فياضاً بالشعور بالسعادة والعافية . وفى كلتا الحالتين يكون ذاهلا عما هو فيه ، بينما يطرد تناقص قدرته على التمييز . وقد تعتريه نوبات من الضحك الهستيرى أو تجتاحه ثورات فجائية أثناء حالة الذهول التى تسبق الاغماء أو الموت

أما الحد الذى لا يتغير لطاقة الانسان على الاحتمال ، فيمكن إدراكه إدراكا حسناً إذا تأملنا الغلاف الجوى المحيط بالكرة الأرضية وهو الذى يبلغ سمكه ١٠٠ ميل على الأقل . ويتكون هذا الغلاف من مزيج من الأكسجين والنيتروجين(الأزوت)وغازات أخرى أندر منهما وجوداً ويظل هذا المزيج محتفظاً بنسبة مزج ثابتة فى جميع الارتفاعات التى وصلنا إليها حتى الآن ، ولكن الضغط الجوى الذى يبلغ ١٤٫٧ رطلا على البوصة المربعة عند مستوى سطح البحر ، يتضاءل إلى أقل من ثلث هذا المقدار على ارتفاع ٣٠٫٠٠٠ قدم . والضغط الجوى عند مستوى سطح البحر هو - فى الحقيقة - الذى يدفع الأكسجين خلال أغشية الرئة ثم فى الدورة الدموية ليتوزع على الجسم بأكمله ، ولكن كلما زاد الارتفاع قل الضغط ، وكذلك تعوز الدم كفايته من الأكسجين الذى يدفع فيه ، فإذا ما تجاوز الطيار ذلك إلى الارتفاعات الشاهقة استحال إنقاذه ولو زود رئتيه بأكسجين صرف .

ويترتب على النقص فى الضغط نتائج أخرى . فمن ذلك : أن تبدأ فقاقيع من النيتروجين (الأزوت) وغازات أخرى تتكون فى السائل النخاعى على ارتفاع ١٨٫٠٠٠ قدم . ثم فى الدم على ارتفاع ٣٠٫٠٠٠ قدم ، وهذا ما يسمى بالانسداد الهوائى للشرايين ، وهو يشبه الانسداد الهوائى للشرايين ، الذى يصيب العمال فى الانفاق أو الغواصين من جراء سبب مناقض وهو ثقل الضغط الجوى . فإذا أهمل الطيار الهبوط بمجرد أن ينتابه أول عارض ، فإن هذا الانسداد قد يسبب له الشلل بل ربما أفضى إلى الموت .

وقد يؤدى النقص فى الضغط أيضاً إلى تمدد الغازات فى معدة الطيار وأمعائه فتسبب له تقلصات عضلية عنيفة ، ولذلك فإن الطيارين العسكريين يتجنبون الطعام الذى تتولد منه غازات . وهناك أيضاً خطر حدوث انتفاخ يدفع بالحجاب الحاجز إلى أعلى، فيضغط على القلب والرئتين ، فيخشى على الطيار من الأغماء . وإذا انسدت بعض القنوات فى تجويف أذن الطيار فقد تتمزق الطبلة ،

وإذا انسدّ أيضاً أحد تجاويف عظام الرأس فقد يصاب بصداع أليم ، إذ يظل الهواء داخل التجويف فى ضغط يغاير ضغط الهواء الخارجى ، والطيار عرضة أيضاً لأن يصاب بنوبات حادة من السعال ، لأن هواء الارتفاع الشاهق ليست له الكثافة الكافية حتى يقوم بتنظيف قناة التنفس من المخاط أو المواد المهيجة لها .

ولما كان انخفاض الضغط الجوى هو السبب فى جميع هذه الأخطار فالحل الأمثل هو استنباط ما يسمح للطيارين بالارتفاع ، وقد أحاط بهم هواء يحتفظ بضغطه العالى ، بأسلوب صناعى. وقد أجريت فى هذا الصدد محاولتان . إحداهما اختراع (رداء الضغط العالى) . وهو الاختراع الذى كان ويلى بوست أول من تولى أمر تحسينه فى سنة ١٩٣٣ . وقد سجل طيار إيطالى كان يرتدى مثل هذا الرداء رقماً قياسياً عالمياً فى الارتفاع إلى مدى ٥٦٫٠٤٦ قدماً وذلك فى سنة ١٩٣٨ . ولكنه رداء ضخم الحجم ، تعلوه خوذة ذات نافذة زجاجية واسعة . فهو يعوق الحركة ، ويحد من مجال البصر . ولذلك أحجمت الجيوش عن استعماله . وأما المحاولة الأخرى فكانت إنشاء طائرة ذات قمرة أو مقعد قيادة أحكمت منافذها ، وجهزا بآلات نافخة تحتفظ لهما بالضغط الداخلى .

وتحتوى الطائرات ، التى خصصتها إحدى شركات الطيران المدنى بالولايات المتحدة للسفر فى الأجواء العليا على ٢٠٫٠٠٠ من الأقدام ، على قمرات ذات ضغط عال ، فأثبتت بذلك على أنها فكرة عملية وإن كان يصعب تطبيقها على الطائرات العسكرية . فإن تركيب قمرات الضغط العالى فيه زيادة للوزن ، وإدارة المنافخ ، فيه استهلاك للقوة المحركة ، وهناك أيضاً الصعوبة فى إحكام منافذ الطائرة بحيث تكون المفصلات فى أبراج المدافع ، أو الفجوات التى تحتوى على القنابل ، حبيكة لا تسمع بنفاذ الهواء . وأهم من ذلك كله أنه لم يسبق قط أن ألجأتنا الضرورة إلى تجهيز الطائرات حتى تحلق على ارتفاع يعلو ٣٠٫٠٠٠ قدم . أما الآن وقد صار من الضرورى أن يرتفع المدى المأمون للقاذفات ميلا آخر إلى أعلى ، ويوشك أن يرتفع عن المدى الذى تظل فيه أقنعة الأكسجين نافذة المفعول ، فربما أصبحت قمرات الضغط العالى ضرورة لا غنى عنها .

وإلى أن تحمل كل من طائرات المستقبل الحربية جوها المنشأ فيها صناعياً ، سيظل لزاماً على الطيارين أن يكافحوا البرودة ، وهى تعدُّ من أعقد مشاكل الطيران العالى ، إذ تبلغ ١٢٫٣ درجة تحت الصفر على

ارتفاع ٢٠٫٠٠٠ قدم ، و ٤٨° على ٣٠٫٠٠٠ قدم . وقد أظهرت دراسات الميجور أرمسترونج أن مقدرة الطيار على العمل تنخفض بمقدار ٢٠ ٪ عند درجة التجمد ، التى يتحتم عليه فيها ارتداء الملابس الشتوية والقفازات الثقيلة ، وقد تهبط النسبة إلى ١٣ ٪ من مقدرته العادية عند الأربعين تحت الصفر . ويصبح الطيار فى هذه البرودة الأليمة عرضة لانتكاس معنوى عميق فيظهر عدم المبالاة بما وكل إليه من عمل . بل وحتى حياته قد لا يقيم لها وزناً .

وإلى الآن ، لم تأت أية طريقة من طرق تدفئة الطائرات العسكرية بتأثير فعال . فإن نوافذ الطائرات المدفأة تميل إلى أن تكتسى بطبقة سميكة من الصقيع . فلا يرى الطيار من ورائها شيئاً . وفى الوقت نفسه نجد أن أقصى ما يمكن للطيار ارتداؤه من ملابس ، إنما تحميه من البرد إلى درجة الصفر فقط . أما رداء التدفئة الكهربائى فهو ، وإن كان مرضياً فى جميع الارتفاعات ، إلا أنه يستهلك بعض القوة المحركة .

وأما فى الوقت الحاضر ، فيبدو أن أحسن طريقة لزيادة الارتفاع فى الطيران العسكرى هى أن تختار الطيارين . إذ أن القدرة على الاحتمال تتباين تبايناً كبيراً بين فرد وفرد ، ولذا فإن الانتخاب الصائب قد يمكننا من أن ننشىء طبقة من الطيارين ذوى استعداد فطرى للطيران العالى . وهذا هو الهدف الأول للأطباء العسكريين فى طيران الولايات المتحدة .

صورة تشرشل فى الدنمارك

مما يضايق النازيين ، فى الدنمارك ، وجود صورة كبيرة لتشرشل داخل إطار ، فى إدارة إحدى جرائد كوبنهاجن حاضرة البلاد . ولكنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً لأن هذه الصورة مأخوذة من مجلة مصورة تصدر فى برلين وتحتها هذه العبارة : « تشرشل وقد بدا على معارف وجهه أمارات اليأس عند ما بلغه نبأ انهيار فرنسا » .

[الدنمارك تقاوم فى « نيوريبيليك »]

إذا أردت أن تسمن

الدكتور صموئيل هوشمان

ملخصة من مجلة « ذى أميريكان ميركيورى »

يجلس رجلان إلى مائدة واحدة ويأكلان ألواناً من الطعام واحدة ، كاللحم والبطاطس والفاصوليا والطماطم والسلطة والحلوى ثم الجبن والقهوة . وهذه الوجبة تزود أحدهما بـ ٣٠٠٠ وحدة من الحرارة ولكنها تزود الآخر بالشحم .

وتجلس سيدتان وبينهما طبق حافل بالفطائر . فتقول إحداهما : « أرجو المعذرة لا أستطيع أن أتناول منها شيئاً . إنها تزيدنى أرطالا من الشحم » .

فلماذا يكون الطعام الواحد نشاطاً وحركة فى بعض الناس وسمناً فى الآخرين ؟

والسبب — فى كل سبع حالات من عشر حالات — سبب عقلى لا طبيعى . والمعتقد أن الهم يورثك الهزال ، والأرجح أنه يورثك السمن . فبعض أساليب التفكير التى تصير عادة ، وبعض الاضطرابات العاطفية ، تنشىء رغبة قاهرة تدفع الناس إلى الإفراط فى الأكل . وهذا اكتشاف مهم لأن السمن ليس مما يستهان به ، إذ هو مرض خطير على الدوام ، ومميت فى أغلب الأحيان . وكثيراً ما نقرأ فى شهادات الوفاة أن سبب الموت هو « تصلب الشرايين » ، أو « ارتفاع ضغط الدم » ، أو بعض أمراض القلب أو الكليتين أو الكبد ، مع أن القاتل هو الشحم . ولا يكاد يمر يوم إلا وينصح كل طبيب بعض مرضاه بأن يقلل من وزن جسمه لما يعانيه القلب ، أو الكليتان ، من الإرهاق .

وقد اهتمت بذلك شركات التأمين ، فهى منذ زمن قريب تبذل مجهوداً كبيراً فى تعريف الناس بأخطار الزيادة المفرطة فى وزن الجسم وخاصة فى سن الكهولة . وأكثر من هذا أنها تزداد إحجاماً عن التأمين على حياة كل رجل بطين .

ولهذا يدرس الأطباء السمن هذه الأيام بعناية كما يدرسون أى مرض آخر من الأمراض التى لا يستخف بأمرها . وقد وجدوا نوعين من البدانة . أحدهما ذلك الذى ينشأ من سبب باطنى ، وأصحابه

يسمنون مهما يكن نوع الطعام الذي يأكلون. والآخر الذى ينشأ من سبب خارجى وهو الإفراط فى الأكل . والنوع الأول يرجع إلى خلل فى الغدد الصم، وإلى سوء التمثيل الغذائى ، ولكن الحالات التى تعزى إلى هذا السبب قليلة . وقد قال الدكتور وايلدر أحد الأطباء البارزين فى مستشفى مايو: «إن عمل الغدد الصم فى إحداث البدانة مبالغ فيه كثيراً» . ولكنك مع ذلك سوف تسمع كثيراً عن الغدد الصم والسمن ، لسبب بسيط ، هو أن أية امرأة تؤثر أن تعلل انتفاخ بدنها بمرض خفى فى الغدة الدرقية ، على أن تعترف بأنها تلتهم الطعام حتى تكتظ .

لا تقسُ فى الحكم على هذه السيدة ، إنها تعرف أنه يجب عليها أن تأكل أقل مما تأكل . إذ يسهل الآن ، وقد بلغت معارفنا العلمية عن الطعام ما بلغت ، أن ندلها على ما ينبغى أن تأكل ومقدار ما تأكل . ولما بلغ العلم هذا المبلغ ظن بعضنا أن مسألة السمن قد حلت ، فما علينا إلا أن نحدد حاجات كل فرد من الطعام ، وأن نكتب نظام الطعام للمريض فيتبعه راضياً مسروراً . ولكن سرعان ما انقشع هذا الحلم حين خرج من المعمل واصطدم بالحقائق القاسية فى الحياة .

فالسيدة البدينة تعجز بحق عن أن تمتنع عن الإسراف فى الأكل . وهى عاجزة كل العجز عن بيان السبب الذى يحملها على التقاط الطعام بين وجبة وأخرى . والحقيقة أنها تعمد إلى الحلويات والمسليات كما يعمد آخرون إلى الخمر ينشدون فيها سلوى عما يعتلج فى النفس من كمد أو حرقة ، لا يكاد أحدهم يدرك كنهها أو يتبين حقيقتها .

قل لهذا الجبل الآدمى المتحرك كقطعة من اللحم لا قوام لها ، البالغ وزنه ٣٠٠ رطل من اللحم ، قل له وهو مكب يحرث ما على مائدته من غذاء دسم ، ويختمه بطبق من الحلوى: إنه يملأ بطنه ، لأنه يعلم أنه لن ينال علاوة على مرتبه فى هذه السنة ، وأن زوجته لا تنفك تلج فى لومه وتعنيفه على مايلاقون من فاقة. فسيقول لك: إنك أبله . ولكن الحقيقة هى أن حالته النفسية هى التى تدفعه إلى النهم .

وإليك مثلا واقعياً عن إحدى الفتيات : فقد رغبت فى أن تفر من أم شاكية باكية ومن أب تافه ، ومن منزل قذر فى زقاق . فساقتها رغبتها أن تشق طريقها فى الكلية ، وأن تبحث عن عمل فى المدينة . فصارت تقتصد فى معيشتها لأنها كانت مضطرة إلى مساعدة أبويها ببعض المال . ولكنها كانت مستقلة ، وكانت تكب على عملها ، وكانت تعتقد أن لها مستقبلا ، وكان وزنها طبيعياً .

وكانت فى السادسة والعشرين من عمرها

حين وصل إليها تلغراف يدعوها إلى منزل أبويها لأن أمها شلت . فتركت الفتاة وظيفتها لتمرض أمها ، وتعنى بشئون البيت لأبيها ، وبقيت كذلك خمس سنوات. فأصبحت بدينة.

وأخيراً عادت إلى المدينة ، حين تحررت من بيتها الكئيب . وكانت قد بلغت الحادية والثلاثين ، وكان طولها خمس أقدام وأربع بوصات ، وكان وزنها ١٨٧ رطلا . لم تزل سمينة ، وكانت رقيقة الحس تؤلمها السخرية ، فتجنبت الحيـاة الاجتماعيـة مع أنها كانت تشتهيها . ووجدت من الصعب أن تغير عاداتها فى الأكل . ولكن الطبيب الذى كان يحاول أن يصل إلى سبب بدانتها استطاع أن ينتزع منها هذا الاعتراف : « لقد بلغ منى الضجر والشقاء فى البيت ، وبلغ منى فتور النفس ، حتى صار الأكل إحدى اللذات القليلة الباقية لى ، ولم يكن يبدو لى أنه أمر ذو بال ، إن أنا أكلت فأكثرت » .

فقال لها الطبيب بكل وضوح وصراحة : إن سبب بدانتها سبب نفسى . وهداها إلى تغير أسلوب تفكيرها ونظرتها إلى الحياة . فلما تم لها ذلك ، وجدت من قوة إرادتهـا ما يجعلهـا تتبع نظاماً صارماً فى الطعـام . فلم تلبث أن غيرتهـا العشرون رطلا الأولى التى فقدتها تغيراً مدهشاً ، حتى حفزتها إلى الإسراع فى شراء ثياب جديدة ملائمة ، وإلى تسريح شعرها بعناية ، وجعلت النـــاس يؤمنون أنها أنيقة المنظر ، وبثت فيها حيوية جديدة . وكان كل شىء بعـد ذلك سهلا ، وقد عادت الآن إلى وزنها الطبيعى .

وأهـل الكسل من الرجال هم على الأكثر عرضة للسمن ، فإذا سمنوا لم تزل تغلب عليهم البـلادة . وأفعال الجسم جميعاً تجرى فى السمين أبطأ مما تجرى فى السوى من الناس . وأصحاب الأوزان المفرطة يغلب عليهم الفتور ووهن العزم . وهذه هى الحلقة المفرغة . فإن السمن نفسه يجعلهم مترهلين فى إرادتهم ، حتى ليعجزون عن أن يعزموا عزماً صادقاً لكى يقللوا من أوزانهم .

ويغلب على المرضى بالسمن ، حين يلزمون باتباع نظام فى طعامهم ، أن يكثروا من الشـكوى أن نظام الطعـام يمرضهم . وليس هو نظام الطعـام ولا ريب ، بل اضطراب المراكز العصبية هو الذى يعارض فى فرض هذا النظام . لأن هـذه المراكز تحارب لأجل طريقة تعبيرها التى اعتادتها . وكثير من المتـاعب يمكن أن ينشـأ من الاضطراب العصبى الذى لا يجد ما يشبعه . وعلى هذا يجب أن يكون طبيب الجسم طبيباً نفسياً أيضاً ، فإن ما ينبغى عمله هو معالجة الاضطراب العصبى لا تغيير الطعام .

ومن المسلم به عنـــد رجال الخـدمة

الاجتماعية ، أن المتعطلين المعتمدين على عون الحكومة يزيد وزنهم . ذلك بأن هؤلاء المتعطلين يستولى عليهم الإحساس بالقلق والضجر والشقاء . وهم يفسرون هذا الإحساس الغامض بأنه جوع ، أو على الأقل يظنون أنه اشتهاء يمكن إزالته أو تخفيفه بالأكل ، فيأكلون كثيراً . وهم بالطبع يأكلون الأطعمة الرخيصة ، مثل الخبز والأرز والبطاطس والمكرونة وجميعها تحدث السمن.

والرأى القديم القائل بأن السمين شخص هادىء لايبالى مايحدث ، رأى فاسد ، لأن السمين ليس مستقر العواطف . أما الذين هم فى سلم مع أنفسهم ، ولهم ما يشغلهم أو يسرهم ، فقلما يسرفون فى الطعام . وأما أولئك الذين يعيشون فى وحدة ، أو يحسون بالحرمان أو بالشقاء فى الزواج أو بالخيبة أو النقص — فهؤلاء هم أبطال المائدة النهمون الذين لا ينفكون عن التقاط الطعام بين وجبة وأخرى ، لأنهم يتلمسون فيه ما يرضى نزعاتهم ، ويسكن نفوسهم القلقة .

فإذا كنت سميناً فراقب نفسك ، وحلل البواعث التى تحملك على أن تختلس الطعام عند الأصيل بين الغذاء والعشاء . واسأل نفسك : هل أنت جائع أم ضجر ؟ وهل أنت تحاول بطلب هذا المقدار من الطعام أن تتجنب همًّا يلح عليك ؟ وهل تلتهم هذا المقدار من الطعام ، لو كنت واثقاً بأنك واجد بعد العشاء شيئاً ممتعاً يشغلك ؟

إن هذه الأسئلة خاصة بالسمان . وخير نصيحة تقدم إلى كل سمين : اذهب إلى طبيب ، وصرح له بأنك غير قادر على أن تقنع بالقدر الكافى الصحى من الطعام ، فلعله ينتزع من أعماق نفسك السبب الحقيقى لبدانتك .

دخل أحد العمال الصناعيين قطاراً من القطارات التى تسير تحت الأرض فى مدينة فيلادلفيا ، وكان يلبس خوذة تشير إلى أنه من عمال لحام المعادن ، وكان تبدو عليه أمارات الإعياء . ولكنه تمكن بغير قليل من البراعة أن يجد مقعداً تهالك فيه ، ثم وضع ساعة منبهة على ركبتيه ، ونام . وبعد عشر دقائق فوجىء ركاب القطار بصوت المنبه المزعج ، فاستيقظ صاحبنا ، وبغير أن ينظر إلى الركاب الدهشين المعجبين ، أوقف الساعة ونهض وتمطى ، والتفت من النافذة : نعم هى محطته — وخرج . (آلان كاين)

جون جارند ، الرجل الكندى الفرنسى الهادى الذى صمم البندقية التى تستخدمها الجيوش الأمريكية الآن فى كل جبهة من جبهات القتال .

الرّجل من وَراء البُندُقيّة

جون مكارتن

ملخصة عن مجلة « ذى نيويوركر »

إلى جون جارند يعزى أعظم تقدم فى أسلحة المشاة النارية خلال العقود الأربعة الأخيرة . فقد كانت البندقية الشائعة فى جيش الولايات المتحدة وفيلقها البحرى ، بندقية قديمة الطراز يرفع الجندى يده إلى زنادها كلما أراد طلقة واحدة منها . وهى البندقية المعروفة باسم «اسبرنجفيلد» ، نسبة إلى مدينة اسبرنجفيلد التى تصنع فيها . ثم أخذت الحكومة الأمريكية تستبدل بهذه البندقية بندقية أخرى جديدة تطلق الطلقات من تلقاء نفسها — أى أنها أوتوماتيكية أو تكاد تكون كذلك. وليس لأمة أخرى — فيما نعلم — بندقية تجاريها . فهى تطلق ما يزيد على مائة طلقة فى الدقيقة ، أى خمسة أضعاف ما تطلقه بندقية اسبرنجفيلد . وقد أثنى عليها الجنرال ماك آرثر فقال : إنه لا يفوقها أى نوع من أنواع البنادق فى ساحات القتال .

هذه البندقية هى المعروفة باسم مخترعها « جارند » . ويسميها رجال الجيش فى الولايات المتحدة اختصاراً « م ١ » . ومعنى هذا أنها هى الأولى من نوعها التى حازت القبول . وبهذه الكلمات يصف جارند نفسه بندقيته . وهو إذا سمع أحداً يسميها «جارند» ضاق صدره ، فهو رجل لا يحب المباهاة . فإذا وصف تلك البندقية التى أكسبته هذه الشهرة قال : « إنها بندقية لا بأس بها فيما أظن » .

أما جارند ، فهو المصمم الأول للأسلحة ، والرئيس المساعد للورشة ، بمصنع الأسلحة الحكومى . وهو موظف مدنى بوزارة الحرب ، ويأخذ مرتباً قدره ستة آلاف ريال فى السنة ، وهو أقل كثيراً من مرتب قد تدفعه له شركة سلاح غير حكومية . لكنه يقول إن مرتبه هذا فيه الكفاية ، وأن العمل فى هذا المصنع أحب إليه وأخف

على نفسه ، حتى إنه لن يفكر يوماً ما فى تركه . وكان فى مقدوره أن يطلب لنفسه رسماً من المال يدفع له عن كل بندقية تصنع ، وأن يصبح ذا ثراء عظيم ، ولكن وطنيته أبت له ذلك ، فنزل عن كل حقوقه فيها .

وقد تستولى عليه الدهشة حين يرى الناس يعدونه من مشاهير رجالهم ، لذلك يعيش فى فزع دائم من أن يدعى إلى خطبة يلقيها . وازداد إحجامه عن مخاطبة الجمهور، بعد ظهوره مرة فى حفلة للاذاعة سموها «نحن الناس» . فسجلت كلمته التى أذاعها ، فلما سمعها جارند بلغت منه الدهشة ، إذ أدرك أنه يتكلم الإنجليزية بلهجة فرنسية . وما كان له أن يعجب وهو فرنسى كندى لم يتعلم الإنجليزية إلا بعد بلوغه سن الثانية عشرة ، ولكنه كان يحسب دائماً أنه ينطق الإنجليزية كما ينطقها الأمريكى . قال : « تصوروا ! أضعت لغتى الفرنسية ، أو هى فى سبيل الضياع ، ثم استبدلت بها لغة إنجليزية غير سليمة » .

وهو الآن فى سن الخامسة والخمسين ، ولكنه فى مظهره أصبى من سنه . وهو قصير القامة مفتول العضل ، ذو وجه مربع قوى ، وعلى رأسه جمة من الشعر خالطها الشيب ، وهو يتقنع بقناع من اليقظة والتنبه ، يخفى وراءه ما يستبدّ به من شرود الذهن ، فهو يستغرق فى التفكير فى عمله استغراقاً تاماً . فإذا لم يكن مكباً على تصميم مدفع جديد ، فهو مكب يضع خططاً جديدة للاسراع فى إنتاج البنادق ، وقد صمم بنفسه إلى الآن مدفعاً رشاشاً واحداً ، وبندقيتين رشاشتين ، وثلاث بنادق نصف أوتوماتيكية ، وأدخل تحسينات على عشرين آلة على الأقل من آلات صناعة البنادق .

وهو يمتاز بذاكرة غريبة ، فقد يذكر إحصاء أجراه منذ سنوات وهو يضع تصميماً لذبانة بندقية يهتدى بها الرامى إلى مرماه ، فى حين أنه ينسى التاريخ الذى اقترح فيه أحد النواب اقتراحاً لم يظفر بالموافقة على أن يمنح جارند ١٠٠,٠٠٠ من الريالات مكافأة على بندقيته الشهيرة . وهو فخور بما ناله من أوسمة ، ولكنه إذا استعرضها حار بينها . فهو قد يقول لك : « لقد نلت هذا الوسام من جمعية المهندسين بمدينة نيويورك » . ثم يسترجع فيقول : « لا . بل بمدينة شيكاجو . وهى ليست من المهندسين » .

وهو يهجم على المشاكل ، من ميكانيكية وغيرها ، فيباشر حلها على طريقته هو .

من ذلك أنه منذ عشرين سنة استقر رأيه على أن الانزلاق على الجليد رياضة صحية

ينفق فيها ما فضل من نشاطه ، فأخذ يذهب إلى نيويورك فى آخر كل أسبوع ليتعلم فن الانزلاق . ثم أراد أن يتمرن فى داره أثناء الأسبوع ، ولكنه وجد الثلج الذى فى فنائها أقل ملاسة مما ينبغى . فحل هذه المشكلة بأن عمد إلى غرفة الجلوس بمنزله فأقام ، حاجزاً يحيط باثنتى عشرة قدماً مربعـة ، وأجرى عليها الماء حتى غطاها ، ثم ثقب ثقباً فى مدخنـة الحجرة يدخل منه تيار الهواء ، وفتح النوافذ على مصاريعها ، فتجمد الماء وكفل له التيار البارد تجمد الماء فى ملعبه هذا ، فأمضى الشتاء كله ينزلق عليه سعيداً فى عزلته . فلما تزوج فى سنة ١٩٣٠ نجحت زوجته فى إقناعه بأن نقل ملعبـه إلى فنـاء الدار هو الأفضل من جميع الوجـوه .

وقضى جارند أيام طفولتـه ، فى عيش خشن مع أنه وصفها بأنها أيام سعيدة ناعمة . وولد فى مزرعة حقيرة بكندا . وأسموه عند ولادته چان جارند . ولكنه غير اسمه الأول ، چان ، حين تجنس بجنسية الولايات المتحدة فجعله « جون » . وكان لوالده من الخلف أحد عشر ولداً ، ولا يعلم أحد — وهو نفسه لا يعلم — كم من إخوته ولد قبله . قال : « لقد ولدت سابعهم أو ثامنهم أو نحو ذلك »

وماتت أمه قبل أن يتم تعليمه الابتدائى فانتقـل رب الأسرة بأولاده إلى مدينـة بإحدى الولايات الأمريكية الشمالية الغربية . وكان من حولها مصانع للنسـيج ، فوجد الأطفال فيها عملا . وكان منزل الأسرة على مقربة من ناد للصـيد ، فكان الأعضاء يحفظون بنادقهم فى منزل هذه الأسرة بين الصيد والصيد ، فانتفع چون وإخوته بالبنادق فى غيبـة أصحابها أى انتفاع . ولم يكتفوا باصطياد الطير والحيـوان ، بل تدربوا فى فناء دارهم الخلفى على الرماية حتى حـذقوا أصعب ضروبها . فكان الطفـل يسدد البندقية إلى قروش من بعد عشرين قدماً فيطيرها من فوق إصبع أخيـه . والتحق أحد الأخوة بصالة من صالات الرماية يعمل فيها ، فكثيراً ما كان يذهب جون ليشتغل مساعداً لأخيه . فإذا قل عدد الزبائن ، قام چون يتـدرب على إطلاق النار ، فحـذق الضرب من فوق خاصرته حذقاً كبيرا .

وكان أول عمـل تولاه جارند فى سن الرابعة عشرة ، هو كنس الأرض فى مصنع من مصانع النسيج . ولم يمض زمن طويل حتى استطاع أن يغرى رئيس العمال بأن يعلمه مبادىء الميكانيكا . وبعد قليل رقوه لعمل فى المصنع . فلما بلغ الحادية والعشرين كان قد حذق شيئاً كثيراً من الأعمال الميكانيكية كالحدادة ، وتسنين التروس ، وتصميم الآلات . وفى يوم من أيام الآحاد ضبطه حارس المصنع

فى المعمل يتسلى بصناعة أنموذج صغير لساقية، فأخذ عليه استعمال نحاس الشركة فى غير أغراضها . فانتقل جارند إلى عمل آخر فى شركة للحام المعادن بمدينة پروڤيدنس .

وفى هذه المدينة اتصل بجماعة من هواة ركوب الموتوسكلات فأغروه بشراء واحدة منها . فلم يلبث أن قرر أنها بطيئة جداً ، وأخذ يفكر فى تصميم محرك جديد لها . وأعاد بناء دراجته على تصميمه الجديد ، ودخل بها عدة مسابقات . وفى سنة ١٩١٢ كسب تسع عشرة مسابقة من إحدى وعشرين . وكان إذا لم يجد من يسابقه ، يذهب بدراجته إلى الطرق العامة الواسعة ، فيأخذ يجرى فيها ذهاباً وإياباً حتى يصادفه راكب على دراجة سريعة ويسابقه ويعود مغتبطاً فيقول : « كان أحدهم يسرع حتى تزيد سرعته على ٨٥ ميلا . ومع ذلك أسبقه فى الطريق المستقيم . لقد ضايقتهم كثيراً » . ومن يوم أن جرب تجربته هذه بمحركات الاحتراق الداخلى ، أخذ يتحرق إلى تصميم محرك خفيف لسيارة ، وهو يعتزم أن يعود إلى فكرته هذه بعد انتهاء الحرب ، (الحرب العالمية الماضية) .

وفى سنة ١٩١٦ عمل فى شركة لصناعة الآلات بنيويورك ، فعاد إلى تدربه على إطلاق النار فى أنديتها الخاصة فى شارع برود واى الشهير . ولم يكلفه هذا التدرب ثمناً . إذ كان يتفق مع أصحاب تلك الأندية على أن يبدأ بالرماية فى الوقت الذى يخرج فيه الناس من دور السينما . وكان يطلق النار من فوق خاصرته فيحكم رماية الأهداف فتدق الأجراس وبذلك يجتذب إليها الزبائن .

وزاد فى طلب الرياضة فالتحق بالأورطة الأولى للمدفعية يتدرب معها يوماً كل أسبوع . فسمع أن الجيش فى حاجة إلى مدافع رشاشة أفضل مما عنده منها ، فاعتزم أن يصمم مدفعاً للجيش . وتقدم بتصميمه فرفضوه ، ولكن الحكومة مع ذلك عرفته فقدرته فعينته مصمما للمدافع فى المكتب القومى للمعايير . وفى عام ١٩١٩ نقلوه إلى مصنع الأسلحة الحكومى بمدينة اسبرنجفيلد .

وقبل أن يقع على بندقيته الشهيرة م ١ ، كان قد صمم مدفعاً رشاشاً وأربع بندقيات قبلت جميعها . ومن عادة الجيش أن لا يصبر حتى يأتيه اقتراح بتصميم لبنادقه ، بل يضع الفكرة الجديدة ، ثم يعلن أنه فى تاريخ كذا سيقبل بنادق لها مواصفات كذا وكذا ليختبرها . وبعد اختبارها وقبول ما يقبل منها ، يشتد فى مواصفاته ، وهكذا دواليك حتى يحصل على ما يريد . وقد حدث هذا لجارند نفسه ، فهو بدأ يصمم بندقيته قبل قبولها بست عشرة سنة . وفى أثناء

هذا كان الجيش يشتد فى وصفها ، ويجاهد جارند فى تحسينها ، حتى رأى الجيش أنه بلغ منها ما أراد .

والفكرة التى قامت عليها بندقية جارند النصف الأوتوماتيكية ، أن الغاز المنبعث من البـارود المنفجر لا يتمدد فى ماسـورة البندقية وراء الرصاصة ليدفعها فحسب ، بل يطرد الخرطوش الفـارغ أيضاً ، ويدفع بخرطوش جديد فى خزانة الإطلاق مكان الذى خرج . وكان جارند أول من نجح فى تطبيق هذه الفـكرة على بندقية جيش .

وتحمل بندقية جارند ثمانى خراطيش فى خزانتهـا ، بينما تحمل سابقتها بندقيـة اسبرنجفيلد خمس خراطيش فقط . وهى لا تندفع عند انطلاقها إلى الوراء بمثل القوة التى تندفع بهـا تلك . وهى مركبة من ٧٣ قطعة ، أى أن عدد قطعها أقل ٣٥ قطعة . ويحب جارند دائماً أن يثبت بساطة تركيبها ، فيحلها إلى أجزائها بمفك قطره ثلث بوصة ، يستخدمه وحـده دون حاجة إلى غـيره من الأدوات .

ونال جارند الشهرة ، فـلم تغير من أسـلوب حياته إلا قليلا . فهو لا يزال إلى إلى اليـوم يسكن هو وزوجته وطفلاه فى هـذا البيت المتواضع على طراف مدينـة اسبرنجفيلد وهو نفس البيت الذى كان يسكنه قبل زواجه . ويعنى بتعليم ابنتـه ، وهى فى الحـادية عشرة ، الانزلاق على الجليد . وقد علم ابنه ، وهو فى العاشرة ليكون فى الطبقة الأولى من رماة الأهداف .

ويذهب جارند إلى المصنع فيبلغـه قبل الثامنة صباحاً ، وقل أن يغادره قبل الخامسة مساء . ويعمل معه نفر من ضباط الأسلحة ، فهؤلاء لا يفتأون يظهرون إعجابهم بعلمـه بالهندسة . قال أحدهم : «إن جارند لم يحصل من العلوم الرياضية شيئاً ذا بال ، ومع هذا فهو يجعلنا نحس أننا بالقياس إليه كالأقزام . وقد بلغ من ولعه بالهندسة أنه يكاد لا يقرأ إلا كتب الهندسة » .

ولا يأذن الجيش له فى التحدث عمـا يقوم به من عمل ، ولـكنه لا يحد من غـدوه ورواحه ، فهو حـر يذهب حيثما أراد . وقديذهب الخيال بأحـد معارفه ، فيزعم أن العدو قد يحاول اختطافه . فيقول جارند : « وأى فائدة تكون لهم منى ؟ إنهم يعلمون عن البندقية « م ١ » كل ما يعلم . وهم لابد لهم من سنتين ليتجهزوا بالآلات التى لابد منها لصناعة أى بندقيـة جديدة أصممها . وإنى لأحسب أنا منتصرون ، فى غضون سنتين » .

ميلاد الجواد المجنح

بيريل ماركهام

ملخصة عن كتاب « غرباً مع الليل »

كانت الجياد أحبّ شئ إلى أبى ، وقد ربى منها فى مزرعتنا — فى بلدة نجورو بمستعمرة كينيا — ودرب ، طائفة من أحسن ما نشأ فى أفريقية من خيل السباق. فكان من بينها فرس تدعى « كوكيت » ، وهى فرس حبشية صغيرة صفراء ذهبية ، وشعر معرفتها وذيلها ناصع البياض . وإنى لأذكر هذه الفرس بصفة خاصة لأنها الفرس الأولى التى ولدت لى مهراً .

كنت إذ ذاك فى الخامسة عشرة من عمرى ، وكنا قد أنزينا على « كوكيت » المهر « ريفرى » ، وهو جواد ضامر مطهم رائع ، نبيل الهيأة كأنه بطل مقدام ، أملس المتن كأنه دينار مجلوّ . فلما مضى زهاء أحد عشر شهراً دعوت مساعدىّ تومبو وأوتينو.

فأما تومبو فليس فى العالم ما هو أشد سواداً منه ، ولا ما هو أعظم انتفاخاً واستدارة من بطنه ، ولا ما هو أرحب اتساعاً من ابتسامته . وأما أوتينو فقد كان فتى طويل القامة ، أكحل العينين ، يمكنك الاعتماد عليه اعتمادك على ضوء النهار .

وقلت لهما : « لقد أصبحت « كوكيت » على وشك الوضع ، فيجب أن لا ندعها منذ اليوم تغيب عن أبصارنا » .

كانت « الولادة » و« النجاح » فى رأى تومبو لفظين مترادفين . فانفلاق بيضة الدجاجة عن فرخها ، هو عنده نصر ، ويعدّ مولده هو نفسه ، أعظم نجاح أحرزه فى حياته . فما كاد يسمع كلماتى حتى انفرجت شفتاه عن ابتسامة اختفت معها عيناه . أما أوتينو فتقبل الأمر بوقار السامع المطيع . ثم سرت على أثرهما إلى الاسطبلات.

آه يا كوكيت ! كيف يبلغ الأمر بمخلوقة مثلك جديرة باسمها الرشيق (غانية) أن

كانت بيريل فى الرابعة من عمرها حين رحلت مع أبيها إلى الضيعة التى اشتراها فى شرق أفريقية وأنشأ يربى جياد السباق ، فقضت أيام طفولتها فى الغابات بين الجياد وبين الصيادين . ثم أصبحت فى الطليعة بين نساء العالم الطيارات ، وكانت أول امرأة عهد اليها فى قيادة طائرة بريد ، كما كانت أول طيار نجح فى أن يجتاز وحده المحيط الأطلسى بطائرة لنقل البريد من إنجلترا إلى أمريكا .

تصبح هكذا شـوهاء كريهة المنظر ؟ لقد كانت من قبل ضامرة رشيقة ذهبية اللون ، فلما أثقلها جنينها الأول صارت الآن قبيحة المنظر مشوهة الهيأة ! أما حوافرها البراقة فقد صارت كالرصاص لا بريق لها ، وأما عيناها المتلألئتان المتوقدتان بالذكاء فقد خبا ضوءهما.

وأعد بيت الوضع ، وغطى تراب أرضه بطبقات بعضها فوق بعض من العشب الأخضر الناضر . وجعلت « كوكيت » تنظر إلى وهى داخلة إلى بيت الوضع — لتنتظر وتنتظر . ونحن جميعـاً نعرف ما تنتظره ، ولكنها هى لم تكن تعرف ، وما كان فى طاقة أحدنا أن يخبرها . وبعد هنيهة غادرت المكان تاركة تومبو وأوتينو ليتعاقبا على ملاحظتها .

ومضت تسعة عشر يوماً طوالا ، وفى مساء اليوم العشرين أتممت جولتى فى الاسطبلات حتى انتهيت كالعادة إلى بيت الوضع . وكان هناك أوتينو اليقظ الساهر ، وتومبو الأكرش البطين . وكان المصباح مضاء ، ووقفت « كوكيت » مثقلة تحت أشعته اللطيفة ، ولم يفرغ بعد ما قدم إليها من علف المساء . ثم ها هى تحنى رأسها العريق الأنيق ، كأنما هو حمل كريه ثقيل . ووضعت رأسى على بطنها الأملس الدافىء ، حيث يدب دبيب الحياة الجديدة ، فسمعت دبيب الجنين وأحسست به وهو يناضل فى سبيل حقه من الحرية والنماء .

فقلت : « راقباها بدقة وحذر ، فقد دنا نتاجها » . وقال تومبو ، وقد أفعم وجهه الضخم بأمارات التلهف : « هذه ليلة سعيدة »

وقفلت راجعة إلى كوخى ، ولم ألبث أن طرق أوتينو الباب وهتف : « عجلى بالحضور ، إنها تضع » .

فسارعت إلى جمع أدوات التوليد من سكاكين وحبال ودواء مطهر ، وانطلقت أعدو إلى الاسطبل . فوجدت « كوكيت » مضطجعة على جنبها ، تتنفس وهى ترتجف ارتجافة المتشنج . وليس من دأب الخيل أن تخفت أصواتها حين يعتريها الألم ، أما « كوكيت » فقد كانت أناتها عميقة مجهدة مذعورة ، ولكنها لم تكن عنيفـة ولا صارخة . وجثوت على فراش العشب ، ومسحت على أذنيها الناعمتين ، فإذا هما مسترخيتان نديتان ، ولكن حرارة الفرس كانت طبيعية — إنها تعانى آلام المخاض وهى تحدق ذاهلة بعينين شاخصتين .

لم يكن قد آن الأوان بعد ، فجلسنا ثلاثتنا القرفصاء نتحدث عن أشياء أخرى حديثاً هادئاً بعض الهدوء ، بينما كانت ذبالة المصباح ترسم صوراً عجيبة على الجدار .

وكان مخاض « كوكيت » يعلو ويهبط

تبعاً لمد الآلام وجزرها ، فكانت هناك لحظات من هدوء تتبعها دقائق من ألم ممض، كنا نحسها جميعاً ، ولكننا كنا نتكلم لنكتم ما نحس . وعلى حين فجأة أنت « كوكيت » أنيناً منتزعاً من أعماق رحمها ، وجعلت ترتجف . عندئذ سارع أوتينو إلى المصباح فأدار مفتاحه ، بأصابعه السود ليضاعف ضوءه .

« الآن » . هكذا كانت « كوكيت » تقول بعينيها وهمهمتها ، الآن: «وربما هذه اللحظة ! » .

وأجثو أنا على ركبتى لأظفر باللمحة الأولى إلى حوافر المهر الوليد ، وأتبين الثوب الذى يرتديه احتفاء بأول ظهوره على مسرح الحياة « ها هو يظهر » . ونتعاون « كوكيت » وأنا ، على إتمام مهمتنا ، وأوتينو عن يمينى وتومبو عن يسارى ، لم ينبس أحدنا ببنت شفة إذ لم يكن هناك ما يمكن أن نقوله .

بيد أنه كانت ثمة أشياء تثير العجب ، ترى أيكون ذكراً أم أنثى ؟ هل يجىء سليم الجسم جميل الشكل ؟ أيقوى قلبه الناشئ على فصم الحبال التى لا تنفصم إلا متلكئة ؟ أتراه يحسن التنفس عند ما تدعوه الحاجة إلى التنفس ؟ أيكون فى قدرته أن يثور حتى يستطيع أن يأكل ، وأن ينمو ، وأن يطلب ما يحتاج إليه ؟

وأخيراً .. ها أنذا أضع يدى على الأرجل الصغيرة ، وعلى الكيس الذى يضمها ، وهو كيس متين شفاف مصقول . وقد استطعت أن أرى من خلاله حوافر الوليد الصغيرة الدقيقة المدببة الطرية الغضة كالحبة النابتة فى سنابلها.

وبدأت فى رفق ، ولكن فى قوة وثبات ، أستل الحياة الجديدة التى جعلت تبدو رويداً رويداً على ضوء المصباح ، بينما جعلت الفرس تبذل كل ما تستطيعه من جهد للخلاص مما تعانيه . وكلما برز الوليد قليلا جددت القبض عليه بيد بعد يد ، وأنا أترقب دفع عضلاتها التى تعيننى على انزلاق الجنين ، فظهر الأنف ثم الرأس ، وأخيراً أملص المولود نفسه بين ذراعى . ثم أعقب ذلك صمت حاد ، كذلك الصمت الذى يعقب فرقعة السوط ، وكان قصيراً مثله .

وهتف تومبو : « مبروك » . وتصبب العرق من أوتينو يجرى من تحت عينيه ، ونفثت « كوكيت » آخر أنة .

وبادرت من فورى إلى تمزيق الكيس اللامع ليتمتع الرأس الصغير المائل بكامل حريته ، فسرعان ما تحركت خياشيمه لأول نسمة من الهواء . ثم ملصت فى حذر بقية الكيس وألقيته جانباً ، ثم عقدت حبل السرة ثم قطعته ، وامتزجت الحياة القديمة فى الفرس والحياة الجديدة فى وليدها ، فى

ســيل من الدم المتدفق . فلما عــدت إلى الجرح أغسله بالمطهر تبينت أنه مهر ، وأنه يجيش بأمواج الحياة .

وبدأت « كوكيت » تتحرك . لقــد أدركت الآن ما معنى « ولادة » ، فبات فى فى مقدورها التصرف فيما أدركته . وترنحت حتى استوت واقفة بلا رشاقة ولا توازن ، ثم صهلت مرة واحدة كأنما تقول : « وإذن فهذا هو ولدى ! هـذا إذاً هو الذى كنت أحمله ! » ، بينما تعاونا نحن على تنشيف الوليد.

فلما انتهينا من ذلك أدرت وجهى مبتسمة إلى أوتينــو ، وإذا بى أرى أبى واقفاً إلى جانبى ، وعليه سيماء الرجل الذى شهد أكثر مما قد يخطر بالبال . إنه شهد كثيراً من أمثاله مراراً لا يكاد يذكر عددها ، ومع ذلك كان فى عينيه بريق ينم عن شدة الاهتمام .

وقال : « ما أحسن ما قمت به يا بنيتى ! وما أحسن هذا المهر ! ولست أدرى الآن أأكافئك أنت أم أكافىء « كوكيت » ، أم أكافئكما معاً ؟ وغمغم تومبــو ، ونكت أوتينو الأرض بأصابع قدميــه ، ووضعت ذراعى فى ذراع أبى ، ورحنا نصوب النظر إلى هذه الكتلة الصغيرة الثائرة ، التى تناضل فى سبيل الوقوف على أقدامها .

وقال أبى : « أعط ما لقيصر لقيصر ، إنك أنت التى أخرجته إلى الحيـاة ، فهو ملك خالص لك أنت » .

كنت قد قضيت ســنين طوالا أشرف على خيل أبى وأقوم على غذائها ، وأمتطيها ، وأسوسها وأحبها ، دون أن أملك جواداً منها ، فها أنا ذا اليوم أصبح بكلمة من أبى مالكة لمهر هو مهرى أنا . صار مهرى فلن يستطيع أحد غيرى أن يمسه ، أو يركبه ، أو يطعمه ، أو يقوم على تنشئه .

ولست أذكر الآن ، أشكرت لأبى هديته ؟ وأحسبنى فعلت على قدر ما يفى به الكلام . بيد أنى أذكر أنى انطلقت أمشى خلف الاسطبلات ، بعد أن فرغ من تنظيف بيت الولادة ، وبعد أن خفض ضوء المصباح ، وقد بقى أوتينو ليتعهد المهر الوليد .

وظللت أفكر فى المهر الجديد ، وفى الاسم الذى أطلقه عليه . ومن من النـاس لا يرفع بصره وهو يبحث عن اسم جديد . فإذا رفع بصره ، فماذا يرى هنالك غـير السماء . فإذا مارآها ، فكيف يمكن أن يخطر له اسم أو يطيف به أمـل من الأرض أو ما يتعلق بهـا ؟

أكان فيما مضى جواد يدعى « بيجاسوس » ، وقد سبح فى الجو طائراً ؟ أكان فيما مضى جواد « ذو أجنحة » ؟ نعم ، لقد كان — كان مرة ، وهو بعيد ، وها هو ذا يعود !

الطبيبُ الأشعَث

تشانج پولك

مجلة « ستردى رڤيو » الأدبية

كان هـــذا أول صيف يقضيانه فى « نيو إنجلند ». وكان هو وزوجته يدرجان فى سيارتهما ، يسلكان طريقاً لا عهد لهما به ليصلا فى الموعد إلى حيث دعيا للغداء . ولقد ضلا الطريق مرتين ، فهما الآن متأخران، ومن أجل هـذا أرسل السيارة على أقصى سرعتها . ومع ذلك فقد لمحت عينه ووعت ذاكرته ، على سبيل العلامة للطريق الذى يسلكه ، منزلا واسعاً فى حالة سيئة ، وعليه لوحة تعلن عن الطبيب الذى يسكنه .

وعلى بعد نصف ميل من هذا المنزل ، اختلت عجلة القيادة ، فاصطدمت السيارة بشجرة وتحطمت ، ولم يصب الرجل بسوء. فبادر إلى حمل زوجته من بين حطام السيارة ، فألفاها مغشياً عليها وقد أصيبت إصابة بالغة . وكان الطريق مقفراً ، ولم تقع عين الزوج على سيارة أخرى ، ورأى منازل قليلة . وتذكر الرجل فى يأسه لوحة الطبيب التى اجتاز بها على بعد نصف ميل ، فضم ذلك الجسد الخفيف المسترخى بين ذراعيه ، وجعل يمشى تارة ، ويعدو تارة أخرى ، راجعاً أدراجه إلى حيث البيت المتداعى حتى بلغه، فشد حبل الجرس ، ففتح الباب رجل طويل القامة ، نحيف الجسم ، أشيب الشعر ، رث الهيأة ، يزعم أنه هو الطبيب ، ولم يكن فى البيت غيره .

وتعاون الرجلان على حمـل المرأة إلى حجرة مترية مبعثرة الأثاث ، هى حجرة الكشف الطى ، وأضجعاها على منضدة العمليات وهى لم تثب بعد إلى وعيها . وأقبل الطبيب على فحصها بحذق ظاهر ، وقرر أن بالجمجمة كسراً ، وأن الأمل الوحيد فى إنقاذ حياتها ، وهو مع ذلك أمل ضعيف ، هو فى إجراء عملية على الفور . ونظر الزوج إلى ما عليه القنانى والأدوات من الفوضى التى تدل على طول العهد بإهمالها ، فتردد ، ولـكن لم يكن له من ذلك بد .

وقال الطبيب : « ستكون أنت المساعد القائم على التخدير ، فليس من أحـد هنا غيرك » . فأطاع الرجل ، وإن كان مريضاً مضطرباً منهوك القوى ، ولـكنه حين تم تخـدير امرأته كان قد بلغ به الإعياء ، وأوشك على السقوط ، حتى إن الطبيب الجراح نصحه قائلا والمبضع فى يده : « يحسن بك الانتظار فى خارج الحجرة ، فأنا أستطيع الآن المضى فى العمل وحدى » .

وأخذ الزوج يذرع الدهليز جيئة وذهابا ويتطلع فى الظلام بين الحين والحين إلى الحجرة المضاءة ، فيسمع وقع خطوات ، ويسمره فى مكانه رؤية رجال ثلاثة ، كان اثنان منهم يحملان سلاحاً وفى يد ثالثهم حبل ، وهم يدبون دبيباً نحو الباب . فتقدم إليهم ضارعاً : «ناشدتكم الله أن تنتظروا».

ذلك أن جمجمة زوجته كانت مفتوحة تحت يد الجراح ، وفى تأخير العمل قضاء عليها لا محالة .

فهمس إليه أحدهم متسائلا : «من تظننا يا رجل ؟ » .

قال : « لصوص ! » .

فأجابه : « كلا ، نحن خدم فى مستشفى المجانين المجاور لهذا المكان ، والرجل الذى يجرى العملية لزوجتك مجنون خطر ، وقد هرب من البيمارستان منذ ساعتين فقط » .

وتهامس الثلاثة فيما بينهم على الانتظار إلى نهاية العملية . وعلم الزوج منهم أن المجنون كان من أشهر الجراحين ، ثم ظهرت غرابة فى أطواره واشتدت عليه أخيراً ، وبدا منه العنف ، وكان قد قدم منذ عدة سنوات من إحدى المدن الكبيرة ، فاشترى هذا البيت وأثثه ، وزاول فيه صناعته ، إلى أن جن وأصبح حبسه أمراً ضرورياً .

ثم قال كبير الحراس : « وقد عاد الرجل إلى هذا البيت بحكم العادة . وقد ينجح فى العملية بحكم العادة أيضاً ، وليس لنا أن نختار ، فلو قطعنا عليه العمل الآن، ففى ذلك الهلاك المحقق لزوجتك » .

وجعل الرجال يحدّقون من خلال النوافذ . فلما رأوا أن العملية قد تمت ، انقضوا على المجنون ، فجعل يقاوم ويصيح حتى تغلبوا عليه وانصرفوا به . ووعد كبير الحراس أن يعود بعد هنيهة ومعه بعض الأطباء والممرضات . وقد بر بوعده .

واستردت الزوجة بعض العافية ، بحيث أمكن نقلها إلى نيويورك ، وظلت فى أحد المستشفيات تحت عناية طبيب من أعلام الطب . ففحص الطبيب الجمجمة المكسورة فى دقة وعناية وقال للزوج : « إن زوجتك ستبرأ ، وتعود إلى حالتها الطبيعية تماماً . ولكن فى الأمر شيئاً لا أفهمه . فما أعرف لإنقاذ المصابين بهذه الإصابة إلا عملية واحدة ، وإلا جراحاً واحداً ، هو وحده الذى أدرك النجاح فى هذه العملية ولكن هذا كله لا يخلو من الأمر شيئاً ، لأن هذا الجراح نفسه قد جنّ منذ سنوات وهو الآن محبوس فى أحد البيمارستانات فى ناحية ما ، « بنيو إنجلند » .

إن البرودة تبطىء الأفعال الحيوية فى الأجسام .
فهي لهذا سلاح جديد لدفع الألم والصدمة

الجراحة - فى عصر التبريد

باركلى موت نيومان

ملخصة عن مجلة « هايجيا »

أصبح البرد اليوم — وهو عدو الإنسان القديم — أداة العلم الأولى فى عدد من الأساليب الفنية العجيبة الجديدة ، من بينها فن الجراحة فى إجراء العمليات بغير صدمة أو مخدر أو ألم . وقد وصفت إحدى المجلات الطبية البرد بأنه : « ميدان من أخصب الميادين التى تهيأت للطب الحديث » .

ولو لم يستعن الأطباء بالثلج ، لما عاش على الأرجح جيمس . و . وكان فى الثالثة والثمانين من عمره ، وكانت دورة دمه بطيئة . فاصطدمت أصبع قدمه صدمة آذته ، ومشت فيه الأكلة (الغنغرينة) حتى اسودّ . فقرر أطباء مستشفى مدينة نيويورك أن لابد من أن تبتر قدمه . وكان من حسن حظه أن يكون فى هذه المستشفى الدكتور ليمان ويكس كرسمان وأعوان له ، ابتكروا — لمثل هذه الحالات — طريقة فى الجراحة ، بالثلج ، دون صدمة . فشدوا على ساقه رباطاً يمنع جريان الدم ، وجعلوها فى ثلج مجروش ساعة من الزمان . ثم سدوا أذنيه بالقطن وحجبوا وجهه ، حتى لايرى شيئاً ولا يسمع ، عند بتر قدمه . لم يخدروه ، فإن خدر الثلج كان كافياً . وكان مطمئن النفس أثناء العملية ، ولم يلبث بعدها أن أكل غذاءه بشهية . وكذلك لم يشعر بالغثيان . وأهم من ذلك كله أنه لم تلحقه صدمة العملية . وكان الشفاء طبيعياً سريعاً .

وقد استدعى الدكتور روبرت ما كلفينى إلى « أوك بارك » بأيلنوى ، ليسعف رجلا بتر القطار ساقه عند الركبة ، فوجده فى حالة صدمة شديدة ، وأن دمه كاد يستنزف . وبالرغم من نقل الدم إليه مرات ، وإعطائه عقار السلفانيلاميد ، فإن كثرة الأقذار التى خالطت الجزء المتهتك من الساق ، أدت إلى تقيح الجرح فى ٢٤ ساعة . ثم أصابته ذات الرئة (الالتهاب الرئوى) حتى أصبح المسكين فى حاجة إلى من يدفنه لا إلى من يعالجه .

فجعل الدكتور ما كلفينى لحم الساق المتهتك فى الثلج ، فانقطع الألم فى ساعة واحدة ، ولم يلبث أن انقطع سيلان

الصديد الكريه الرائحة ، وأفاق الرجل من هذيانه ، وعاد ضغط دمه إلى طبيعته . وبعد ثلاثة أيام أمكن إجراء عملية لقص زوائد الجرح وتضميده ، وبعـد خمسة أيام كان الرجل جالساً فى فراشه يدخن .

وقد أصبح التخدير بالتبريد إجراء عادياً للبتر فى حالة الأكلة (الغنغرينة) الناشئة عن مرض السكر . وحيث أن أكثر الذين يقعون فريسة لهذا المرض هم من كبار السن ، فإنهم لا يصلحون للمخاطرة بإجراء العمليات الجراحية لهم . ولكن الدكتور هارى موك الطبيب بشيكاجو يقول : إن معدل الوفيات التى تحدث عقب عمليات البتر فى الحالات الشديدة ، قد نقص نقصاً ظاهراً باتخاذ « طريقة التبريد » . ويرجع السبب فيما للثلج من تأثير ناجع إلى أن البرد يبطئ حركة الحياة فى الجسم . (فإن الرجل الذى يبرد جسمه بطريقة صناعية ، يستغرق نمو شعر لحيته أربعة أيام ليبلغ من الطول ما يبلغه ، فى ٢٤ ساعة شعر لحية تنمو فى درجة حرارة عادية) . وأحـد الأخطار الرئيسية فى كل عملية من العمليات الجراحية هو الصدمة التى تنشأ من السموم التى يفرزها الجسم نفسه . ولكن حين يبرد جزء من الجسم تبريداً تاماً يقل ما يفرزه من هذه المواد السامة . وكذلك يمنع البرد انتشار البكتريا فى الجرح الملوث .

وكما عثر فى تاريخ الطب على طرق طبية جديدة ، فقد عثر على طريقة التبريد مرات عديدة فيما مضى . فقد لاحظ أحد جراحى نابليون — وهو يتقهقر عن موسكو — أن البرد القارس جعل البتر يتم بغير ألم تقريباً . وبعـد جيل لقى طبيب انجليزى — هو الدكتور جيمس أرنوت — من النجاح فى الاستعانة بالبرد على التخدير ، ما حمله على تأليف كتاب يشيد فيه « بالمزايا الطبية للبرد الذى يفقد الحس » .

وفى سنة ١٩٣٨ شعر الدكتور تمبل فاى ، بجامعة تمبل ، بفلادلفيا ، أن محاولاته لإبطاء نمو خلايا السرطان ، بالتبريد الموضعى ، كانت تبشر بالنجاح تبشيراً يجيز تجربة تبريد الجسم كله . ولكنها قد تكون بالغة الخطر ، فلذلك كان من عالجهم — بهذه الطريقة — من المتطوعين الذين قضى عليهم أن يموتوا بالسرطان فى أشهر معدودة .

وقد وضع أحد هؤلاء الأبطال المجهولين فى ثلج مجروش إلى ذقنه ، فانخفضت حرارته بسرعة إلى ½ ٣٢ درجة مئوية ، ولبث فيه ١٨ ساعة . وقد ضاق المريض بهذا العلاج فى مرحلته الأولى حين أخذته قشعريرة شديدة ، ولكنه لم يشعر بألم . وقد بقى متطوع آخر فى هـذه الدرجة من

الحرارة أربعة أيام . وبتحسين تدريجى فى طريقة التبريد ، خفضت درجة حرارة غيرهم من المتطوعين إلى أقل من ذلك . وكان يبدو أن بعضاً منهم قد تخلص من آلامه مدى أسابيع أو أشهر . ولكن هذه الطريقة خابت فى علاج السرطان .

وقد لاحظ الدكتور فريدريك ألن بنيويورك — حينئذ — فى مئات من التجارب التى كان يجريها فى المعمل على الحيوانات ، أن إرخاء رباط حبس الدم — الذى شد على العضو طويلا — يطلق السموم التى تنساب فتحدث الصدمة والموت . وقد شد الدكتور ألن رباطاً على رجل فأر خلفية وبرّدها حتى كادت تتجمد ، فوجد أن الرباط يمكن أن يترك مشدوداً على الرجل المبردة التى انقطع فيها سريان الدم ، مدة تعادل عشرة أمثال المدة التى يمكن أن يترك فيها وهو فى درجة الحرارة الطبيعية ، دون أن يحدث ذلك أذى للفأر . وقد كانت التجارب الأخرى التى أجراها الدكتور ألن ، هى التى ساقت الدكتور كروسمان وأعوانه — فى النهاية — إلى شق طريق جديد فى هذه العمليات بمستشفى المدينة فى نيويورك .

ويمكن تخدير الأسماك والضفادع والثعابين مدة كافية لإجراء عملية ، بمجرد وضعها فى ثلج مجروش ١٥ دقيقة .

وحين استعمل الدكتور كارول بفيفر فى معامل الحيوان بجامعة ولاية أيوا ، الأثير فى تقل الغدد التناسلية للفئران الوليدة ، مات ثلاثة من كل أربعة منها . ثم وضع الفئران الصغيرة فى صحن زجاجى ، وأودعها ثلاجة كهربائية ، فلم تلبث الفئران أن فقدت شعورها ، وأجرى عليها العمليات دون أى عناء . وبعد بقائها مدة قصيرة فى مكان دافىء ، أفاق منها ٩٤ فى المائة ، ودب فيها النشاط كما كانت من قبل .

إن الجراحة والتخدير بالتبريد من أحدث الأساليب ، حتى أننا لا نعرف بعد ، هل يمكن الاستفادة منها فى زمن الحرب . ولكن يبدو لنا أن هناك أمراً واحداً لا ريب فيه : وهو أن استعمال الحرارة فى حالات الصدمة — ومعظم جراح الحرب مما يحدث الصدمة — خطأ لا يصح الوقوع فيه . وقالت مجلة الجمعية الطبية الأمريكية : « إن التدفئة من الخارج تجعل المصاب بالصدمة يبدوا أحسن حالا ، ولكنها قد تضعف احتمال شفائه » .

وقد عنى الأطباء الإنجليز بدراسة استخدام الثلج لمن يصاب من المدنيين فى الغارات . فإن كثيراً ممن حصروا تحت الأنقاض ، فى الغارات الشديدة على لندن ، أخرجوا من تحتها لم يمسسهم أذى على ما يظهر ،

ولـكنهم كانوا يموتون بلا سبب واضح بعد خروجهم بساعات . والمعتقد أن السـموم المختزنة فى العضـو الذى يقع عليه الضغط ، يمكن أن تجلب صـدمة قاتلة ، إذا ما رفع الضغط عنها دفعة واحدة . وقد ذكرت مجلة « لانست » الطبية ، أن علاج مثل هـذه الحالات ، قد يكون باتخاذ طريقة التبريد أو شـد الرباط الحابس للدم ، ولو لم يكن هناك جرح أو نزيف ، حتى تسرى السموم المختزنة فى العضو المصاب ، إلى سائر الجسم تدريجياً لا دفعة واحدة .

وفى أوائل عام ١٩٤١ أغرقت مدرعة بريطانية شهيرة تجاه ساحل النرويج ولبث الناجون أياماً ، على حافة طوف النجـاة ، وقد لبد بعضهم فى بعض ، وأقدامهم مدلاة فى المـاء الشديد البرودة . فلما استنقذتهم أخيراً سفن الصيد ، نقلوا على جناح السرعة إلى جوف السفينة ، حيث أدفئت أرجلهم المتورمة المتخدرة على مقربة من موقد السفينة . فكانت هذه الشفقة الخاطئة بلاء شديداً عليهم، فقد أصابت الأكلة (الغنغرينة) بعض البحارة ، ولم تنقـذ حياتهم إلا عملية البتر . أما من كان أسعد حظاً منهم فقـد لزم فراشه فى المستشفى زمناً طويلا .

وقد قام حديثاً ثلاثة من الأطباء الضباط بالبحرية الـكندية الملـكية — هم الجراحون وبستر ، وولهاوس ، وجنستون — بدراسة الطريقة المثلى لعلاج الأقدام المتخدرة بالبرد . فوجدوا أن القدم إذا جمدها البرد أياماً ، فأدفئت دفعة واحدة ، استيقظت خـلاياها السطحية المتخدرة ، وقد اشـتد نهمها إلى الأكسجين الذى يحمـله الدم . ولـكن لا يمكنها أن تناله ، لأن الأوعيـة الصغيرة التى آذاها البرد ليست قادرة على أن تتقبل الدم العائد إليها ليسرى فيها . وتـكون النتيجة حـدوث التهاب ، ونفط ، وآلام شديدة الوخز .

وإن علم الطب ليعرف الآن ماذا يصنع برجل أصيب بتخدر القـدم الناشئ عن البرد إذا استنقذ من قارب النجاة وهـو : أن يحمل إلى الفراش ، وأن يدفأ جسمه ، على أن تبرد قدماه بأكياس الثلج أحياناً ، وبهواء المروحة الـكهربائية أحياناً أخرى ، أياماً وأسابيع . وإن هذه الطريقة الجديدة ، إذا ذاع فهمها وطبقت ، فهى خليقة أن تمنع كثيراً من مآسى البحار فى زمن الحرب .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

إن رجلا شجاعاً واحداً ، أكثرية ! (آندرو جاكسون)

فى مقصف الممثلين للجنود

ديانا كلارك

ملخصة عن مجلة « ذى روتيريان »

« يا للسعادة ! لقد تمنيت دائماً لقاء لوريتا يونج ! » ، بهذا هتف بحار شاب جاحظ العينين ، وهو جالس إلى جوار كوكب السينما الفاتنة فى مقصف الممثلين للجنود ، وأردف : «على أن أمنيتى اقتضت قيام حرب ثانية حتى تصير ممكنة ».

وقد « أصبح ممكناً » أيضاً الإفادة من خدمات عدد لا يحصى من المشاهير فى هذه المقاصف ، أمثال بوريس كارلوف ، وكارى جرانت ، وبنج كروسبى ، وأدولف منجو ، ويهودى منوهين ، ومسز روزفلت . وتبرعت ريتا هايورث ، كوكب السينما المعروفة ، بقبلة لكل جندى وافق عيد ميلاده يوم ظهورها بالمقصف ، فتذكر الحاضرون عن آخرهم أن ذلك اليوم يوم ميلادهم ! ووقعت دوقة وندسور باسمها « واليس وندسور » على مئات من كراسات جمع التوقيعات التى يحتفظ بها الجنود . وقدمت إلى الحاضرين : هدّا هومر «فاتنة الحرب العالمية الماضية » فداعبتهم بقولها : « إن ما أعجب به آباؤكم يوماً ما ، يجب أن يكون مثار إعجابكم أيضاً » . وأثار السير سدريك هاردويك ضحك الحاضرين حين روى لهم : أن صديقاً له رآه فى بزته العسكرية لأول مرة فى الحرب العالمية الأولى ، فنظر إليه نظرة وصاح : « يا للداهية ، لقد خسرنا الحرب » .

واعتلى هنرى والاس ، نائب رئيس الجمهورية الأمريكية ، خشبة المسرح بمقصف وشنطن ، وركز قدميه فى قوة عليه ، وصاح فى الجنود المتطلعين إليه متحدياً : « إنى على استعداد لمصارعة أى رجل منكم والتغلب عليه » . فقبل التحدى جندى خشن شديد المراس ، يزن ثمانين ومائة رطلا ، ولم تكد تتشابك أيديهما حتى كان الجندى ملقى على ظهره ، (ولا عجب فإن لزراع أيوا أرساغاً من حديد لطول مراتهم على تقشير الذرة).

إن هذا النوع من الترفيه عن الجنود لا يستطيع مخرج ما أن يتقدم به على قاعدة تجارية بأقل من رأس مال فى مثل ضخامة الدين الأهلى، ولكنه شىء عادى فى مقاصف الممثلين للجنود. فإن المتطوعين للعمل بها، ممن يقومون بالأدوار المختلفة، تطيب نفوسهم بالإقبال على عملهم، ويقدر الجند صنيعهم هذا، ويشكرونهم من صميم قلوبهم.

يخدم الجنود فى هذه المقاصف — التى تديرها جمعية المسرح الأمريكى — رجال ونساء متطوعون، ممن يعجز أى أمير بحر أو قائد عن الحصول على خدماتهم بأى أجر كان. فإن الجندى العادى ليجلس إلى مائدة قد يكون «جيمى دورانت» هو الذى قام بإعدادها، ويتناول شطائر وقهوة أعدتها «إينا كلير». ويرى بعينى رأسه «فردريك مارش» يرفع من أمامه الصحاف الفارغة، ويتولى تسليته «دناشور» و«دانى كاى» و«فانى برايس»، ويراقص أجمل الفتيات، كل ذلك دون أن يدفع مليما واحداً.

وليس هناك شك فى نوع التسلية الذى يجتذب الجنود أكثر من غيره. فقد سألت مرة مسز «لزلى ماكنير» زوجة القائد الأمريكى، بحاراً قديماً، لوحت وجهه الرياح، وهى ترحب بقدمه إلى مقصف وشنطن، عن أحب شىء إلى نفسه، فابتسم وقال: «النساء! فهاتوا النساء!».

وكان البحار يشير إلى فتيات المقصف، وهن أربعة آلاف فتاة اخترن اختياراً دقيقاً ليمثلن طبقات البلاد بأسرها. فقد يتاح لجندى فى إحدى الليالى أن يراقص ممثلة، أو ابنة أمير بحر، أو كاتبة على الآلة، أو أنموذج مصور، أو عاملة من العاملات.

وتنتخب الفتيات على أساس الشخصية، والظرف، واللباقة. ونسبة الجمال بينهن، فى رأى أحد الطيارين، نسبة «تعلو إلى السماك». وقد أشار عامل لاسلكى بالبحرية إلى هذا بقوله: «إنى لأذهب إلى المقصف وأنا على يقين بأنى سألقى غانية جميلة وعيناى مغمضتان».

وتقوم كل فتاة منهن بالخدمة ليلة فى الأسبوع لفترات، مدة كل منها ثلاث ساعات، ترقص فى خلالها مسافة تقرب من أربعة أميال. وقد يبلغ عدد من تراقصهم حوالى مائة فى الليلة الواحدة. وتزخر المقاصف بالجند إلى حد الازدحام، حتى أنه ليقتضيك أن تكون ذا مرانة كمرانة جنود «الكوماندو» لتبلغ حلبة الرقص. وقد راقص بحار ممثلة فتية، وطلب إليها حين سكتت الموسيقى أن لا تتركه، وأضاف: «لقد فعلت العجب العجاب بروحى المعنوية،

حتى إنى لأشعر أنك قد قصرت أمد الحرب فعلا سنتين على الأقل » .

ومن القواعد الدقيقة المتبعة فى المقصف أنه يحظر على الفتيات إعطاء الجنود أرقام تلفوناتهن ، ومع ذلك فإن الفتيان والفتيات يجتمعون معاً فى الخارج . ولكل مقصف قصص طريفة من الحب تنتهى بالزواج .

وليس من الضرورى أن تمثل على المسرح بعض تلك الأدوار التى يخصها رواد المقصف من الجنود بالإعجاب، بل إنه لا يسعهم إلا أن يشعروا بما لهم من منزلة إذا ما رأوا، مثلا ، بول ما كنط ، المهيمن الأكبر على تدبير الرجال للجيش والأعمال الحربيــة ، يغسل صحاف طعامهم ، او إذا شاهدوا « ألفرد لنت » يفرغ صناديق الفضلات .

وينتهى المطاف بجميع الجنود إلى مقصف الممثلين ، فيلتقى ، على غير موعد ، أصحاب قدماء لم يلتقوا منذ أيام الدراسة . وقدحدث ذات مرة ، بينا كان جندى شاب يتجاذب أطراف الحديث هو ومضيفته ، إذ زفر زفرة شديدة ، وأشار بيده خلفها ، وترقرقت الدموع فى عينيه ، فقد رأى شقيقه أمامه ، وهو من جنود البحرية الذين نشرت أسماؤهم ضمن المفقودين فى موقعة وقعت منذ سنة مضت .

ويمنح مقصف فيلادلفيا جائزة فريدة فى بابها ، ففى نهاية كل أسبوع يمنح تذاكر تتيح للفائز بها حق المحادثة بالتليفون بغير أجر مع أية جهة فى الولايات المتحـــدة . وتساهم شركة التلفونات فى ذلك العمل .

وقد نال أحد الجنود حق الحديث بالتلفون يوم نشر اسم شقيقه فى كشف الذين قتلوا فى إحدى المعارك ، فخفف صوت أحد الأبناء من وقع البرقية الرسمية التى تلقتها الأم قبل ذلك بقليل . ولعل أقصر محادثة فى تاريخ هذه المحادثات هى تلك التى طلب فيها أحد الجنود الاتصال بمزرعة مواش بكولورادو : « هالو يا أماه ! أنا ويللى » ، وكان الجواب الذى حملته الأسلاك هو صوت وقوع الأم مغشياً عليها .

وتجمع نفقات هذه المقاصف من هبات الذين أجابوا داعى الوطن للترفيـــة عن الذائدين عنه من أبنائه . وقد تبرع أحد الواهبين بوشنطن بستمائة ريال كل ليلة ، للترحيب بألفين من الجنود الذين يرتادون المقصف. ويدفع آخرون مائة ريال فى مقابل الجلوس إلى مائدة خاصة . ويتبارى الناس فى كل مدينة فى مساعدة المقاصف بما يقدمونه إليها من معدات وأدوات وطعام .

وهذه المقاصف ، أتراها ترد الجند إلى جبهة القتال فى حالة أحسن وروح أشد وأقوى ؟ وهل أوجدت جمعية المسرح

الأمريكي مايسوغ إنشاءها مقاصف جديدة في أمريكا أو في بلاد نائية ؟

إن رسائل المجندين تنبئك بالخبر اليقين. فقد كتب جندي أمريكي من الذاهبين إلى ما وراء البحار يقول : « ليتكم كنتم تعلمون ما يغمرنا من غبطة وسرور ، حين نرتاد المقصف بدلا من السير على غير هدى في الطرقات الموحشة المظلمة لتمضية الساعات القليلة الباقية قبل مفارقة الوطن » .. وكتب آخر يقول : « إن المقصف عندي كالبيت تماماً ، مع فارق واحد هو : أنك لا تطوى الطنافس بنفسك عند ما تريد الرقص » .

وكتب بحار : « من قال إن الحرب جحيم على الأرض ، لم ير أبداً مقصف الممثلين » .

وقد وجه أحد قدامى البحارة — ممن أمضوا ست عشرة سنة في البحرية الأمريكية — السؤال الآتي إلى مقصف فيلادلفيا : « أيتيح لي القانون ما عزمت عليه من تغيير صك التأمين على حياتي ، بحيث يصبح المقصف هو وارثي ؟ » .

وانتحى جندي من السود إلى مائدة بمقصف نيويورك ، وقد فرغت صحفة طعامه ، وانتهى من شرب قدح من اللبن ، فسألته « جين كاول » إحدى المضيفات : « هل ثمة شيء آخر أستطيع تقديمه إليك ؟ هل لك في شطيرة أخرى أو قدح من القهوة ؟ »

فلم ينطق الجندي ، بل هز رأسه .

فقالت له : « إني جد حزينة من أجلك . هل أصاب حلقك شيء ؟ » — فأجاب الجندي : « لا ياسيدتي ! إن هي إلا غصة ، فقد تأثرت بما لقيته هنا من رعاية وحدب »

● كان أحد المجندين الأغرار سائراً في شارع الكورنيش في « أتلانتيك ستي » وهو مرتد بزته العسكرية الجديدة . وكان حاملا تحت ذراعه اليسرى رزمة كبيرة ، وفي يده اليمنى تفاحة يقضمها . والتفت فرأى فجأة أمامه ضابطاً كبيراً برتبة صاغ ، تبدو الشدة في نظرته ومشيته . وكان المجند يعلم أن عليه أن يحيي بالتحية العسكرية ولكنه لم يدر ما يصنع بالتفاحة . ويلوح أنه أعمل فكره إعمالا سريعاً ، لأنه عند ما صار على قيد ست خطوات من الضابط قذف التفاحة في الهواء ، وحيي بالتحية العسكرية ، ثم التقط التفاحة وهي ساقطة بعد مرور الضابط . ويقال : إنه ارتسمت على وجه الضابط أثارة من ابتسامة .

(المجند هري كراين)

عذارى البحر

إديسون مارشال

فى ٢٩ يونيو من عام ١٧٨٦، بينما كان ملاح روسى، اسمه جيراسيم بريبيلوف، يجوب الخلاء الدائم الضباب فى بحر بيرنج فى أقصى شمال المحيط الهادى بين أمريكا وآسيا، إذ سمع صوتاً غاية فى الغرابة. وحين سمعتُ أنا هذا الصوت نفسه، بعد ١٤١ سنة، كان يخيل إلىّ أنه صياح جموع محتشدة فى الملعب حين تصيب الكرة المرمى.

اتجه الربان الجرىء إلى هذا الصوت المدوى، وبعد ساعة أو أكثر من ساعة، تراءت له من خلل الغيم أربع جزر — اثنتان لا تزيد إحداهما عن حجم صخرة كبيرة. وكان مصدر هذا الصوت القاصف قطيع فيه مليونا عجل من عجول البحر المشهورة بفرائها، قد غطى سوادها الشاطىء، وهى تخور، وتزمجر، وتسعل، وتثغو، كل ذلك فى وقت واحد.

وملأ بريبيلوف سفينته من جلود هذه العجول، وسافر بها إلى سيبيريا، ثم باعها لأمراء الصين بأثمان تعد باهظة حتى فى زماننا هذا. ولكن حين جاء وكيله — فى أكتوبر — يطلب المزيد منها وجد الجزيرة ساكنة سكون القبر، ووجد شواطئها خالية موحشة.

فأعاد الربان الجرىء الكرة فى الصيف التالى. فوجد السواحل مزدحمة مرة ثانية بإناث العجول تعوم فى الماء، ووجد مساحات طويلة من شواطئها كأنها كتلة واحدة من ذكور تلك العجول، والحرب قائمة بينها. وعلى التلال الرملية، أبصر العزاب من شبانها. وأما منابت القمح البرى فكانت تموج بالمتعطلة من العجول التى لم تستطع أن تختطف لنفسها زوجات، فكانت تحوم حول المنازل عسى أن يواتيها الحظ فتحقق هذا الذى تريد. وكانت جميعها تضج كما كانت تضج من قبل، وهى تعوى وتخور.

ومنذ أن كشفت جزر بريبيلوف كان لها دائماً شأن فى التاريخ. فلما أراد وزير الدولة بالولايات المتحدة — فى سنة ١٨٦٦ — أن يغرى مجلس الكنجرس الشحيح، بشراء شبه جزيرة ألاسكا من الروس، كانت الحجة التى أتمت صفقة البيع، هى أنها أرض عجول

البحر . وكانت تنتج إذ ذاك نحواً من ١٠٠ر٠٠٠ فرو فى السنة . فلولا هذا الكنز من الفراء ما تمت هذه الصفقة التاريخية العظمى .

وبددت أمريكا هذا الكنز فى أول الأمر بطريقة فاضحة ، إذ أذنت بالذبح لمن يشاء ، حتى قتل ثلاثة أرباع القطيع . ثم أرادت الحكومة الأمريكية أن يبقى محصول الفراء كما هو دون نقصان ، فأذنت للصيادين أن يقتلوا الأمهات إذا ما نزلن إلى الماء ليأكلن من أسماكه . وكان معنى هذا ضياع ثلاث أنفس لكل فرو : الأم ، وجنينها ، ووليدها الذى يبقى على الشاطئ ليموت جوعاً . فلما نقصت عدة القطعان إلى العدد الحقير : ١٥٠ر٠٠٠ عجل ، وامتلأت الشطآن بجثث أطفالها الهالكة ، اتخذت حكومة الولايات تدابير صارمة ، فمنعت صيد العجول فى البحر ، وحددت عدد ما يقتل من العجول كل موسم . فزادت القطعان وكادت تبلغ مليونين مرة أخرى .

وكان من الطبيعى أن تتطلع الأمم الأخرى إلى هذا الكنز الكبير من الفرو الناعم اللامع . فاليابانيون ، حتى منذ عهد رياسة ثيودور روزفلت ، لم يزالوا يحتالون حيلهم المعروفة ، فنزلوا على السواحل ، فقابلهم خفراء السواحل الأمريكيون فى غير ترحاب بالنار . وأرادت اليابان من رئيس الولايات المتحدة أن يعتذر عما حدث ، فأبى ، فحلف اليابانيون أن يأخذوا بالثأر . ومن ذلك الحين لا يرى اليابانيون سفن الولايات الخافرة تدور حول تلك السواحل الصاخبة الغائمة حتى يأكل الغيظ قلوبهم أكلا . ولن يشفيهم من حقدهم وغيرتهم غير غزو هذه الجزر . ولكن جيش الولايات المتحدة وأسطولها ، قادران فى هذا الصيف على رد اليابانيين إذا غزوا هذه الجزر قصد النكاية بنا

على أنه ليس يهمنى أنا من هذه الجزر هذه الخمسون ألفاً من أجود الفراء التى تجنيها مصلحة المصايد بالولايات كل سنة ، إنها حقاً فراء ناعمة جميلة لا تزال سيدة الفراء جميعه ، ولكن الذى يهمنى هو عجولها نفسها ونظامها الاجتماعى الذى نشأ منذ مليون سنة ، قبل أن ينشر أول إنسان شراع سفينة فى هذه البحار الداخنة بالضباب .

وينبغى أن لا يخلط بين عجول الفراء وبين أسد البحر الذى يتخذ لألعاب السيرك ، ولا بينها وبين العجول ذوات الشعر التى توجد قريباً من نيوفوندلاند . فعجول الفراء تنتسب إلى الدببة انتساباً بيناً ، وهى أشبه بها فى حركتها . وهى دون أنواع عجول البحر ، تجرى على الأرض بسرعة كسرعة الإنسان . وجراؤها لا تولد قادرة على السباحة ، بل

يشق عليها تعلمها حتى ليغرق كثير منها فى محاولة التعلم ، ولكنها تصير بعد ذلك أجمل السابحات وأرشقها ، وتبلغ سرعتها فى السبح سرعة خنازير البحر .

وفى مايو حين يأخذ القمح البرى فى الظهور على هذه الجزر ، ويظل نبات « الحزاز » يقطر ماء من مطر الربيع ، عندئذ تزحف مئات الألوف من ذكور العجول إلى الشطآن العارية . ويزن العجل منها ما بين ٥٠٠ و ٦٠٠ رطل . وتكون عندئذ سمينة شحيمة مما طعمت من الأسماك فى كل بحر من بحار الأرض . وهذا السمن ضرورى لها ، فهى ستقضى بعد ذلك أشهراً فى شغل شاغل ، قبل أن تعود إلى البحر ، أو قبل أن تذوق طعاماً أو شراباً .

وما تكاد تبلغ الشاطىء حتى تبدأ بينها أكبر حرب عامة فى المملكة الحيوانية كلها . فضخامها ينقض بعضها على بعض ليحتفظ كل منها بالقطعة التى أعجبته من أرض الشاطىء . حتى يكون قويهم قد أثبت حقه فى دعواه ، ولكن بقوة الزعانف والأنياب ، فإذا غفل دقيقة واحدة ، حتى فى سواد الليل استولى على مأواه من لا مأوى له من العجول المترصدة بين الحشائش .

ومع هذا فهى « لا تغتصب الشاطىء كله » وقد اتفقت فيما بينها اتفاقاً لا يكاد يصدق ، على أن تترك - بين ملاعب صغارها وبين البحر - مناطق حراماً لتكون طريقاً آمناً للذكور الصغار ، التى يقعد بها صغرها وضعفها عن أن تستولى على إناث تجعلها فى حمى تحميه .

وفى يونيو يأتى الجانب الأكبر من القطيع ، يبلغ نحو المليون من الإناث ، ومعها سرب من العزاب . ويصعد سرب العزاب فى الطريق الحرام إلى كثبان الرمال وإلى الحشائش حيث تقضى الصيف لهواً ولعباً ، وتنزل بين الحين والحين إلى البحر لتملأ بطونها من السمك ، أما الإناث الصغيرة المسكينة — التى لا يبلغ وزن إحداهن خمس وزن الذكر الضخم — فقد جاءت لتلقى العنت

تندفع الذكور إلى البحر ، فتمسك بأقفية الإناث المقتربة ، وتجرها إلى مأوى حريمها ، وكثيراً ما يهجم عجلان أو ثلاثة على أنثى واحدة . ولم أتبين قط ، كيف تحتال الأنثى حتى لا تتمزق أوصالها فى الصراع الذى يعقب ذلك ، فقد عزم كل ذكر أن يحوز أكثر ما يمكن من الإناث ، ولكنه يدفع فى شرهه هذا ثمناً غالياً بما يبذل فى الصيف من مجهود .

أما زوجاته فلا تبالى أن تدفع عن نفسها من يريدها من الذكور ، ولذلك تقبل راضية ما قضى به قانون الوجود : من أن الغنائم من حق الظافر . وإذا أنت رأيت ذكراً

عجوزاً وهو لا يفتأ دائما يحوم حول حريمه، مزمجراً يتحدى من يتوقعه من لصوص الإناث، مثخناً يقطر الدم من جراحه، يطوى الأسابيع الطويلة لا يمس طعاماً ولا شراباً ولا راحة، أدركت لماذا لم يقبل كثير من الناس على تعدد الزوجات.

وإناث العجول، حين تصل إلى هـذه الجزر، تكون مثقلة بأحمالها. فلا تمضى بضعة أيام حتى تضع أولادها. ثم لا تلبث أن تحمل من جديد. وكثير من رجال الطب لا يكاد يصدق هـذا، فليس فى غير هـذا الحيوان من ذوات الثـدى، أنثى تحمل فى الأسابيع القليلة الأولى من الرضاعة. وفى الخلائق الأخرى التى تحمل كل سنة يمتـد زمن الحمل إلى تسعة أشهر أو دونها، فيترك للرحم فترة من الزمن يستجم فيها، وفرصة للوليد الصغير حتى يقوى. وفى عجول البحر هذه يمتد زمن الحمل حتى يكاد يبلغ سـنة كاملة. أما سر هذا فهو أن أنثى عجل البحر لها رحمان، فبينما يستريح رحم يمتلىء رحم.

ويعلم الذكر العجوز أن نساءه لا بد لهن من أن يتركنه أياماً قليـلة، فيذهبن إلى البحر، ويصطدن السمك، ويجعلن منـه لأولادهن لبناً. ولذلك تجـد آلافاً من الإناث غاديات إلى البحر رائحات منه فى كل لحظة طول اليوم. فإذا انتصف شهر يوليو كانت مئات الآلاف من صغارها زاحفة على الشواطىء، أو نائمة فى أشعة الشمس الضعيفة، أو تتعلم العوم فى خليج الماء. أما كيف تهتدى أم إلى طفلها، فلست أعلم كيف، ولـكنها تهتدى. ويلوح أنها تولى وجهها شطر ولدها ثم تعمد إليه فى سرعة واهتياج مزيحة من طريقها ما تلقى من أولاد غيرها. وقد يريد أحد الصغار أن يخطف منها رضعة حين تمر به، ولـكنها تأبى عليه.

وفى أثناء هذا تجوس مئات من العزاب الصغار، خلال الطرق الحرام التى أخليت لهـا، فإذا لم تكن ذاهبة إلى البحر لتصـيد السمك، اجتمعت أسراباً فى الحشائش، أو صعدت — حيناً بعد حين — على كثبان الرمل، ولا غرض لها — على ما يظهر — إلا المتعة بالانحدار بعد ذلك عليها. ومن فراء هؤلاء العزاب يتخذ النساء معاطفهن. وإليها يسعى الصيادون ليسوقوها إلى حيث تقتل وتسلخ، فتمضى معهم لا تحاول أن تفر، لأنها لم تتعود قط أن تخاف أحداً من البشر فى رحلاتها الطويلة فى المحيطات.

ويحرص هؤلاء العزاب الصغار، على أن يتجنبوا الحريم الذى حمتـه الـكبار. أما البالغون الفارغون من الذكور فلا يفعلون فعلهم، بل يكمنون فى أطراف الشواطىء. ومن حين إلى حين ينتفض أحدهم ثائراً،

ثم ينقض على الحريم انقضاض المجنون ليسرق من بين إناثه زوجة . وقد ينجح أحياناً ، ولكن كثيراً ما يهجم عليه زوج انتهكت حرماته ، فيعضه ثم يضرب به الأرض ، ثم يقذفه بقوة هائلة لا تكاد تصدق ، من حريمه إلى حريم أحد جيرانه ، وعندئذ ينقض عليه الآخر . ولا يزال يقذف من حريم إلى حريم ، فكأنما هي غضبة واحدة من ذكور استبيحت أعراضهم ، فلا يزال كذلك حتى يمزق إرباً إرباً .

ولكن أغلب هذه الذكور الفارغة تحرص على أبدانها أن تمزق ، فإذا ما دنا آخر الصيف جاءتهم عقباهم ، وهي أعجب ما في قصة هذه العجول من عجب . تخرج من البحر العذارى ، مائة ألف أو تزيد ، وإذا سادة الحمى قد بلغ منهم الإعياء ، فتقع هذه العذارى الرشيقات المصقولات المرحات فريسة سهلة لتلك « الذئاب » المتربصة .

وتضع هذه العذارى أولادها في الصيف التالي في نفس الوقت الذي تضع فيه سوابقها من الأمهات ، مع أنها حملت اولادها تسعة أشهر لا اثني عشر شهراً ، فلماذا تكون مدة حمل جنينهن الأول أقصر من مدة الجنين الثاني ؟ أما سبب هذا فيرجع إلى أن الجنين يكون أسرع نمواً ، إذا لم تكن الأم ترضع طفلا آخر . وإنه لمثل رائع لما تأتيه الطبيعة في العناية بأجناسها ، حين خالفت بين مواقيت الحمل ، لكي يظفر النسل بآباء أقوياء .

وبعد هذا بقليل في سبتمبر ، تبدأ الهجرة عن الجزر . فقد تعلمت العوم صغارها التي حال عليها الحول ، فتغادر الشواطئ مع أمهاتها الحوامل ، ومع أسراب العزاب الصغار ، وتتجه جميعهما جنوباً ، بين جزائر ألوشيان إلى المناطق الشاسعة التي لم تطرق في المحيط الهادي . أما الذكور الكبيرة فتتخلف قليلا ، والله وحده يعلم لم تتخلف ، إلا أن يكون الإجهاد قد بلغ منها حتى لا تستطيع حراكا . وأخيراً تتدحرج هي أيضاً في غمرة البحر ، ثم تختفي . ويعود الصيادون ، من سكان جزائر ألوشيان ، إلى أكواخهم الداخنة ، وتتخذ الثعالب الزرق طعامها من جيف الذبائح ، وتصفر الريح في الشواطئ المهجورة . أما الصخور فيحدثك لمعانها وملاستها عن تلك القطعان التي ما فتئت تجتمع عليها منذ ملايين السنين . وإنه لحق اليقين أنها ستعود مرة أخرى ، كما تعود نضرة الربيع .

سيّدة الأزهار

موريس مترلنك

بينما كنت أتمشى صباح يوم من أيام الصيف فى نواحى الريف ، وكنت حينئذ فى مقتبل العمر ، تعلمت كيف يحسن المرء استخدام الموهبة السحرية التى رزقها — وأعنى بها نعمة البصر . فقد اجتذبتنى نفحة عجيبة من الروائح الذكية يحملها النسيم ، فانحرفت عن الطريق متطلعاً ، فإذا هى حديقة رائعة قريبة . امتدت الأزهار أمام عينى، حتى كأنها موجة من الزهر تعلو وتهبط كبساط فاخر من الوشى والطيب، يسرى فى أرجائها نغم خافت وسنان هو غناء النحل العاملة

ورأيت ، فى الممشى الممتد بين الأزهار من دار صغيرة ، عجوزاً مسنة ضئيلة الجسم ، فوقع فى نفسى أنها هى مبدعة هذه الحديقة النادرة المثال .

فهتفت بالسيدة قائلا: «هذا مكان بديع» .

فأجابت : «أتحب الأزهار؟ إذن تعال» .

ولما وقفت إلى جانبها لم ترفع بصرها إلىَّ وأكبر الظن أنها آثرت أن تديم نظرتها إلى الزهر ، فلم أضمر لها لوماً . وطفقت تتحدث عن الأزهار فى بساطة وشغف . وقالت وهى تشير إلى حوض زهر قريب : « هذه هى زهرات كف الثعلب ، وآذان الفأر، وزنبقة الوادى، والبنفسج والأقحوان، وأنا أسميها « الزهر القديم » لأنها كانت معروفة فى أوربا منذ قرون . وأما تلك — وأشارت إلى زهرات فوسكية، والقطيفة، والمنثور البرى ، وشحم المرج — فإنها «زهر طارىء محدث» بالقياس إلى الأخرى فقد عثر عليها المسافرون الرحالة فى عهد النهضة وحملوها إلى بلادهم من أقاصى المعمورة » .

واسترسلت تحدثنى بتاريخ كل زهرة . فبعضها جاء به تجار مغامرون من الهند ومن المكسيك وفارس والشام فى القرن السادس عشر . وكذلك جاءت الخزامى من القسطنطينية ، ثم وافت بعدها زهرة الثالوث، وزهر البسلة، والقرنفل الهندى . لقد حدثتنى عن هذه الأزهار وعن كثير

---

* موريس ماترلنك كاتب بلجيكى من مشاهير مؤلفى المسرحيات ومنشئى المقالات ومن أشهر مصنفاته رواية « الطائر الأزرق » و كتاب « حياة النحل » وغيرهما . وقد اضطره غزو النازى لفرنسا إلى ترك عزلته بها . وهو يقيم **الآن فى الولايات المتحدة**

غيرها من زهرة العائق العظيمة الزرقاء، إلى زهرة الخشخاش الحمراء القانية، إلى زهرة الفلوكس الأرجوانية . وخيل إلى وأنا أنصت إليها انى لم أر حق الرؤية زهرة من قبل . فلقد كان وصفها لكل زهرة من الجلاء والإشراق بحيث أعرفها ، ولو كنت فى ظلام الليل الحالك .

ولقد أومأت قائلة : « أنظر إلى شوكة الأخيليا المعقوفة ! ليس يبلغ إليها ليترشف ما فى أعماقها من الحلاوة، غير ذلك الضرب من النحل الكبير الطنان . وهناك شجيرة خبز العقاب ، وهى أحب النباتات الباسقة إلىّ ، وأزهارها لطيفة النسج، فإذا أدنيتها من عينيك خلتها شفافة . وتأمل أوراق شجيرة الكتان ! إنها أشبه بالرماح الصغيرة » .

فلم أملك من عجبى أن سألتها : كيف استطاعت أن تعرف هذا العدد الجم من أزهارها على هذا النحو المفصل الدقيق ؟ فأجابت : « إنى تعلمت أن أستخدم بصرى كل يوم كأننى لن أستطيع أن أبصر غداً . وقد وجدت أن لا شىء مما أبصرت يمكن أن يسلبنى إياه سالب » .

وتصرمت الأعوام، ولكنى مازلت أذكر كلماتها ، وما كنت لأنساها ، وما ذلك إلا لما كان منها فى اللحظة الأخيرة ، حين رفعت السيدة العجوز رأسها مبتسمة لتودعنى ، فإذا بى أرى الغشاوة على عينيها الكفيفتين !

لقد أحسنت استخدام عينيها ، قبل أن يدركها صباحها المظلم . .

****

علموا الصغار الإنصاف

كنت دائماً أعود مع أخى من المدرسة والجوع ينهشنا . وفى أحد الأيام عند ما طلبنا من والدتنا الطعام وضعت أمامنا على مائدة المطبخ كعكة كبيرة وسكيناً وقالت : « احدكما يقطعها ، والآخر يختار أولا إحدى القطعتين » .

وكان أخى أسبق منى إلى أخذ السكين ، وبدأ يقطع الكعكة قطعتين غير متساويتين ثم توقف ، ونظر أولا إلى والدتنا ثم إلى ، وقطع الكعكة قطعتين متساويتين . ووقف ينتظرنى أن أختار إحداهما أولا . ومن ثم تعلمنا أن نتقاسم كل شىء — الكعك والفطائر والزبد والخبز — على هذا الأساس . إن هذا الأسلوب علم كلا منا أن يحترم دائماً حقوق الآخر .

(ياسمين باريت نيط)

آيات من الشجاعة

مآثر البطولة في أنباء هذه الحرب

بقى جماعة من بحارة سفينة بريطانية أغرقها الطربيد — سبعة أيام من أيام الشتاء فى قارب نجاة تتقاذفه أمواج المحيط الأطلسى ، إلى أن لمحوا من بعيد قافلة بحرية تسرى فى غسق الليل على بعد ثلاثة أميال منهم ، فهتف أحدهم هتافاً ضعيفاً ، فلن تمضى ساعة حتى يبيتوا سالمين فى كنّ دافىء .

وتناول نوتىّ مشعلا يتحسسه بيد مقرورة مرتجفة ، لا تكاد تستطيع أن تمسك به . ثم توقف ونظر إلى رفقائه ، وكان يدور بخلدهم خاطر واحد : فلو أن غواصة معادية كانت قريبة منهم ، فإن المشعل الذى يرى نوره على مدى أميال ، سيكشف فى الحال عن مكان القافلة .

قال النوتى : « إن فى هذا شيئاً من المخاطرة ، أليس كذلك ؟ » ، فأومأ الآخرون موافقين . فوضع المشعل ببطء على الأرض ، وأخرج من جيبه — بدلا منه — بطاريته . وحذا الآخرون حذوه وجعلوا يرسلون — وهم يائسون — إشارات تجتاز هذا التيه من الماء .

فلم يتلقوا منهم جواباً . وبعد أن اختفت عن نواظرهم مؤخرة اخر سفينة ، ساد السكوت بضع دقائق ، وأخيراً نطق رئيس النوتية عن شفتين شققهما العطش ، وقال : « الأفضل أن تلتمسوا لأنفسكم هذه الليلة ، مايتيسر من الراحة ، أيها الرجال ! »

لم ينطق أحد بعد ذلك ، وقد عرفوا جميعاً أنهم ضحوا بآخر أمل لهم . وجن عليهم الليل ، ومضت ساعة بطيئة ، وإذا بالنوتى المراقب يصيح . فرفع الرجال اللابدون فى جوف القارب رءوسهم فى ضعف ، فرأوا نوراً يسطع فى الظلام . إنها سفينة حربية بريطانية قد رأت إشاراتهم .

« من أخبار صحف لندن »

حين يكتب تاريخ الحرب العالمية الثانية ، فإن صفحة من تاريخ الهولنديين الجاويين الذين لا يقهرون ، مع قلة عتادهم ، ستكون مزينة بدماء الأبطال . فلقد علموا أنهم

سيلقون حتفهم ، ولكنهم كانوا يعلمون أيضاً أن لديهم فرصة ليفتكوا ببعض اليابانيين .

وقد روى أحد رجال « قلعة طائرة » هذه القصة .

« بعد أن خرجنا من جاوه ، ونزلنا فى قاعدة جوية بأستراليا ، سمعنا فى منتصف الليل ، أزيز طائرة منفردة قادمة إلى المطار ، ثم مزق السكون هدّة سقوط الطائرة . فأسرعنا إليها ، فوجدنا طائرة من طراز كرتس ذات جناحين ، محطمة تحطما شديداً ، ومن تحتها طيار هولندى فى نحو الأربعين من عمره ، كان يضرب الأرض بيديه وينتحب ، لا لأنه قد أصيب ، بل لأنه لم يبق له ما يقاتل به .

كان ينقصنا الطيارون ، وكانت عندنا طائرة منقضة زائدة ، فقلنا له إنه يستطيع أن يستعملها . لم يكن الهولندى قد قاد طائرة مثلها من قبل ، ولكن لم يلبث أن تهلل وجهه . واستغرق إرشاده إلى تعلم قيادتها ٢٠ دقيقة . ثم قال إنه متأهب ، ليملأ خزانات البنزين وبيوت القنابل ، وإن الوقت قد أزف ، فهو على ميعاد فى الفجر مع السفن التجارية اليابانية . ثم ارتفع بطائرته متجهاً إلى الشمال ، لا يرى من أثره إلا خط من الدخان فى السماء المتألقة بالنجوم . وإنى لأعرف أنه لقى حتفه ، ولكنى أراهن على أنه قد أنزل — قبل أن يموت — خسائر كبيرة باليابانيين . لقد مات سعيداً . رحمة الله عليه » .

« روبرت شرود فى مجلة : تايم »

كان « ميلوراد ستوسش » فى الثامنة والعشرين من عمره ، وقد بلغ غاية قوته البدنية . وكان حارساً ليلياً فى مدينة كرانج الصغيرة ، بسلوفينيا . وهى البقعة الجبلية الجميلة فى غرب يوغوسلافيا . وكان رجلا متواضعاً يجتهد فى أن يوارى نفسه ، فلا يلتفت إليه أحد من الناس . أما أنه لم يفلت من تنبه النازيين ، فذلك راجع إلى حادث أثار فى نفسه شيئاً أكبر مما يناضل من أجله النازيون .

كانت بلدة كرانج مركزاً للاحتلال النازى ، وكانت الجبال ذوات الغابات التى تشرف على المدينة ، تزخر بحروب العصابات مما اقتضى النازيين أن يبقوا فيها قوات كبيرة . وفى صبيحة يوم ما ، وجدوا جندياً ألمانياً مقتولا فى زقاق ، فقبضت السلطات على عشر رهائن ، وأعلنوا أنهم سيعدمونهم شنقاً ، إلا إذا وجدوا القاتل فى ٢٤ ساعة .

وقبل انتهاء هذه المهلة بساعة واحدة ،

تقدم « ميلوراد » إلى مقر القيادة الألمانية وقال إنه هو الذى قتل الجندى ، فاعدم من فوره شنقاً .

وكان أهل مدينـة كرانج يعلمون أن « ميلوراد » شاب هادىء الطبع ، فبحثوا هذه المسألةسراً ، فوجدوا أنه قدضحى بنفسه، وأن القاتل قد لحق بالثوار . فلماذافعل ذلك «ميلوراد» ؟ لقد ظن فى تواضعه ومسكنته ، أن للرهائن العشر قيمة أكبر من قيمته فى نصرة قضية بلاده . وبعد ذلك ، اكتشف الألمان أنفسهم أن « ميلوراد » لم يكن هو القاتل ، وحاولوا أن يضعوا أيديهـم على الرهائن التى أنجاها ، ولـكنهم كانوا جميعاً قد لحقوا بالعصابات . وتوجد اليوم فى جبال سلوفينيا العالية الجميلةعصابة كبيرةمن الثوار المحاربين ، أكثرهم من بلدة كرانج ، يطلقون على أنفسهم فرقة « ميلوراد » .

« لوس أداميك فى مجلة : ذس ديك »

هل تعلم ؟

● أن الاقتصاد فى صناعة دبابيس الشعر يوفر ٥٧ طناً من المعدن فى السـنة فى أمريكا .

● أن إحدى القاذفات الـكبيرة تحتوى ٥٠ ألف جزء عدا المسامير المبرشمة .

● أن من نواحى نشاط الحرب فى جنوب أفريقيـة ، جمع سم الأفاعى لإعداد الترياق .

● أن كيساً من البطاطس زنتـه ٦٠ رطلا لا يزن إلا ٨ أرطال بعـد نزع الماء من البطاطس .

● أن محصول فول الصويا من فدان واحد ينتج ٢٠٠ رطل من « صوف الصويا » ، بعد عصر الزيت من الحبوب .

● أن البقدونس يحتوى مقادير كبيرة نسبياً من فيتامين ا A و ج C

امتحن ذكاءك
ثم امتحن ذكاء أصدقائك

١ — والداث وابناث اصطاد كل منهم بطة . ولم يشترك اثنان منهم فى صيد بطة واحدة . ولكن الجماعة لم تصد غير ثلاث بطات . فكيف كان ذلك ؟

٢ — ما أقل عدد من البط يستطيع أن يعوم فى التشكيلات التالية فى وقت واحد: (١) بطتان أمام بطة واحدة (٢) بطتان وراء بطة واحدة (٣) بطة بين بطتين ؟

٣ — زورق لا يستطيع أن يحمل أكثر من مائتى رطل . فكيف يستطيع رجل وزنه ٢٠٠ رطل ، وابناه ، ووزن كل منهما ١٠٠ رطل ، أن يقطعوا نهراً من ضفة إلى ضفة بهذا الزورق ؟

٤ — إن الباحث الاثري الذى قال إنه وجد فى الخرائب نقداً فضياً منقوشاً عليه ٦٤٩ ق . م كان حتما يكذب أو يمزح . لماذا ؟

٥ — دخل رجل دكان بائع سجائر . وطلب صندوقاً من السيجار، ثمنه جنيهان . وأعطى صاحب الدكان ورقة نقد من فئة خمسة جنيهات. فلم يكن فى وسع صاحب الدكان أن يرد له ثلاثة جنيهات . ففك ورقة الخمسة عند جاره تاجر السجاد . وأعطى مشترى السيجار العلبة وثلاثة جنيهات . وبعد قليل هرول تاجر السجاد قائلا إن الورقة مزيفة . فأخذها بائع السجائر وأعطى تاجر السجاد ورقة « خمسة » صحيحة . فكم خسر بائع السجائر فى هذه العملية بضاعة ونقداً ؟

٦ — عشرة كتب مرتبة فى رف . وكل كتاب مائة ورقة . وبدأت عثة تقرض ورق الكتب ، فقرضت من أول ورقة فى الكتاب الأول ، إلى أول ورقة فى الكتاب العاشر ، فكم ورقة قرضت ؟

٧ — بين قطارين مسافة مائه ميل ، وهما سائران على خط واحد فى اتجاه متقابل . أحدهما سائر بسرعة ٦٠ ميلا فى الساعة والآخر بسرعة ٤٠ ميلا فى الساعة . وهناك نحلة تطير بسرعة ٢٥ ميلا فى الساعة . فإذا فرض أن هذه الأجسام الثلاثة — القطاران والنحلة — بدأت الحركة فى لحظة واحدة ، فما المسافة التى تكون النحلة قد قطعتها عند ما يلتقى القطاران ؟

٨ — أراد أمير أن يتخلص من نديمه ، فوضع ورقتين فى علبة . وقال لرئيس قضاته إنه اذا سحب النديم الورقة المكتوب عليها « ابق » فالنديم باق ، واذا سحب الورقة المكتوب عليها « اذهب » فالنديم ذاهب . وكان الأمير قد كتب « اذهب » على الورقتين . ورئيس القضاة لا يعرف ذلك . ودخل النديم — وكان داهية — فلما اطلع رئيس القضاة على إحدى الورقتين حكم القاضى ببقائه . فكيف تغلب ذكاء النديم على حيلة الأمير ؟

[الأجوبة الصحيحة صفحة ٤٨]

نقطة التحول فى حياتى

ا . ج . كرونين

كنت فى الثالثة والثلاثين من عمرى فى ذلك الوقت ، وكنت طبيباً فى حى «وست إند» بلندن . وساعفنى الحظ ، بعد أن توليت عدة وظائف منهكة كطبيب مساعد فى مناجم ويلز ، فصارت لى عيادتى الخاصة . وقد ظفرت بها بالتقسيط من طبيب هرم كريم النفس ، نظر فى أول اجتماع لى به ، إلى حذائى المشقوقين ، ورُدنىّ البالين ، ووثق بى .

وأحسب أنى لم أكن طبيباً غير حاذق ، وكان مرضاى يحبوننى على ما يظهر — من السيدات الظريفات اللواتى لا سوء بهن ، واللواتى يقمن على كثب من « البارك » ويؤدين لى أجرة سخية على بشاشتى وطيب إيناسى لهن ، ومن سائقى المركبات أيضاً ، والحمالين ومن إليهم من سكان الأزقة فى « بيزووتر » ممن لا ينقدوننى شيئاً ، وكثيراً ما يكون المرض قد بلغ منهم مبلغاً كبيراً .

على أنه كان هناك شىء ينقصنى . . . فمع أنى كنت أعالج كل ما يعرض لى ، وأقرأ كل المجلات الطبية ، وأشهد الاجتماعات العلمية ، بل لا أعدم وقتاً للحصول على دبلومات فى دراسات فوق التى تخرجت فيها ، إلا أنى لم أكن تام الثقة بنفسى ، فلم أكن ألزم شيئاً أو أثبت عليه طويلا . وخطر لى على التعاقب أن أكون إخصائياً فى أمراض الجلد ، وفى جراحة الأذن ، وفى أمراض الأطفال ، غير أنى نبذت ذلك كله ، وكنت أعمل نهارى كله ونصف ليالى أو معظمها ، ولكن كان ينقصنى المثابرة والثبات .

وأصبت ذات يوم بعسر هضم ، وبعد أن أغضيت عدة أسابيع عن توسلات زوجتى ، قصدت عرضاً إلى صديق من زملائى أستشيره ، وكنت أتوقع أن يصف لى زجاجة من «البزموت» ، وأن يدعونى إلى لعب البريدج ، ولكنى لقيت منه ، بدلا من ذلك ، صدمة العمر ، فقد قضى علىّ بالتزام الراحة التامة ستة شهور فى الريف ، وأن أقتصر من الطعام على اللبن ، لأن عندى قرحة فى المعدة .

وكان المنفى الذى اختير بعد جدال مضن بيتاً صغيراً على مقربة من قرية « تاربرت » فى جبال إسكتلندة . وتصور مسكناً أبيض الدهان موحشاً على سيف بحيرة لا تزال السماء تجودها بالمطر إثر المطر ، بين جبال صلاب ذاهبة فى السماء والضباب ، وعلى مرأى منك الماشية الطويلات القرون ، عاكفة على قضم الحسك — هذه هى مزرعة « فاين » . وتصور غريباً مكروباً فى ثياب أهل المدن ، يجىء وفى جوفه ألم ، وفى يده حقيبة ، فيها حق فيه مساحيق للهضم — هذا هو أنا .

وليس أشق على الرجل النشيط من البطالة الاضطرارية ، وقد كانت الإقامة أسبوعاً واحداً فى « فاين » كافية لإطارة صوابى ، فقد منعت من كل عمل بدنى ، فلم يبق لى إلا إطعام الدجاج ، وإلا أن أتعلم أن أحيي الأبقار المعرضة عنى استهجاناً ، بأسمائها دون ألقابها من طول الألفة التى قامت بيننا . ورحت أتلمس شيئاً أصنعه ، وإذا بخاطر يخطر لى بغتة . ذلك أنى ظللت سنوات ، أحلم فيما بينى وبين نفسى بأن أكون يوماً ما ، كاتباً . وقد قلت مرة لزوجتى : « هل تعلمين أنى أعتقد أن فى مقدورى أن أكتب رواية لو كان فى وقتى سعة ؟ » ، فافتر ثغرها عن ابتسامة رقيقة ، ويداها دائبتان على النسج وتمتمت : « صحيح ! يا عزيزى ؟ » ، وردتنى بلباقة إلى الحديث عن جونى وسعاله الديكى .

ورفعت عقيرتى ، وأنا واقف على شاطىء هذه البحيرة الجبلية الموحشة ، وقد فاض شعورى بإنصاف نفسى : «أما وحق السماء ، إن هذه لهى فرصتى ! وليكن بى قرحة فى المعدة ، أولا يكن ، فسأكتب قصة ! » . وقبل أن يتسع الوقت لتغيير رأيى ، ذهبت من فورى إلى القرية ، وابتعت ٢٤ كراسة من كراسات التلاميذ .

وكان فى غرفة نومى فى الطابق الثامن منضدة ساذجة من الخشب الأبيض وكرسى غير وثير ، فألفيت نفسى فى صباح اليوم التالى جالساً على هـذا الكرسى ، وأمامى كراسة جـديدة مفتوحة على المنضدة . وما لبثت أن أدركت ، شيئاً فشيئاً ، أنى فى حياتى كلها ما كتبت عبارة واحدة ذات قيمة ، إذا استثنينا الوصفات الطبية باللغة اللاتينية . وكان هذا الخاطر غير قمين أن يكون مشجعاً لى وأنا أتناول القلم وأنظر من خلال النافذة . لا بأس ! سأبدأ على كل حال . . . وبعد ثلاث ساعات دعتنى المسز « أنجاس » إلى طعام العشاء ، وكانت الصفحة المبسوطة أمامى لا تزال بيضاء !

وبدا لى ، وأنا أنزل لتناول اللبن

والمخيض ، أنى أحمق الحمق ، وشعرت أنى ندٌّ لذلك الشاعر المسكين فى قصة « جاك » لدوديه ، الذى لم تتجاوز قطعته الخالدة هذا الاستهلال الذى ولد ميتاً . « فى واد سحيق بجبال البرينيس . . . » ، وتذكرت وأنا متجهم تلك النصيحة الصارمة التى حضنى بها معلمى القديم على العمل ، قال : « دوِّنها ، فإنها إذا بقيت فى رأسك ، خليقة أن تظل لا شىء ! فدونها إذن ! » ومن أجل ذلك صعدت بعد الأكل « لأدوِّنها » .

ولعل الأولى أن أغفل وأتخطى المحن التى كابدتها فى الشهور الثلاثة التالية . وقد كان موضوع القصة واضحاً جلياً فى رأسى — مأساة جرتها أنانية رجل وإباؤه المر . حتى الاسم الذى انتويت أن أطلقــه على الـكتاب كان حاضراً ، ولـكنى كنت فيما عدا هذه الأصول الساذجة ، ناقص العدة إلى حــد محزن . فلم تـكن لى دراية بفن القصة ، ولا معرفة أو خبرة بالأسـلوب والقوالب التى تفرغ فيها المعانى أو تعرض ، ولم يسبق لى قط أن رأيت موسوعة . وراعتنى صعوبة الأداء السهل ، وكنت أقضى الساعات الطوال باحثاً عن صفة ، وأصحح ،وأعود فأصحح كرة أخرى، حتى تعود الصفحة وهى أشبه شىء ببيت العنكبوت ، ثم أمزقها وأبدأ من جديد .

ولـكنى بعد أن شرعت فى الـكتابة صارت الرغبة فيها ملحة ملحفة مخامرة ، واتخذت الشخصيات التى تخيلتها صوراً تجسدت فيها ، وصــارت تـكلمنى ، وتضحك ، وتبـكى وتهيجنى إلى مابى . وكنت ربما خطر لى خاطر فى منتصف الليل ، فأنهض ، وأوقد شمعة ، وأنبطح على الأرض ، ولا أزال أعالج الخــاطر حتى أترجمه كلاما اثبته على الورقة . وفتنتنى واستولت على نفسى جدة الأمر ، وكنت فى أول الأمر أكتب حوالى ثمانمائة كلمة فى اليوم بجهد جاهد ، واستكراه شديد ، فلما كان آخر الشهر الثامن صرت أكتب ألفى كلمة بسهولة .

وإنى لفى منتصف الطريق ، وإذا بالذى لا مفر منه قد وقع فجأة . فقد استحوذ على نفسى كرب مباغت دهمنى كما يدهم جبل الثلج راكب البحر ، فسألت نفسى : « لماذا أضنى نفسى بهذا العناء الذى لا قبل لى به ، ولا عدة عنــدى له ؟ وما خيره ؟ لقد كان ينبغى لى أن أستريح ، وأن أدخر لا أن أبدد قواى فى هذا العبث » . رميت القلم ، وتناولت ، وأنا كالمحموم ، الفصول الأولى التى عادت إلىَّ منسوخة على الآلة الـكاتبة من سكرتيرتى فى لندن ، وقرأتها فارتعت . فما وقعت عينى قط فى حياتى على مثل هــذا الهراء ، الذى لن يعنى بقراءته

أحد . واقتنعت أخيراً بأنى مخبول مغرور ، وأن كل ما كتبته ، وكل ما يمكن أن أكتبه ، عبث محض وجهد ضائع ، واعتزمت أن أنفض يدى من الأمر كله . وثار ثائرى ، فأهويت على النسخة وأخذتها وخرجت فرميت بها فى صندوق القمامة .

واتخذت من استسلامى ، وما آثرت أن أسميه عودتى إلى الرشد ، سبباً للرضى الكئيب . وخرجت أتمشى فى المطر الخفيف فالتقيت فى بعض الطريق إلى شاطىء البحيرة بأنجاس الفلاح الهرم ، يحفر — فى صبر وجلد — فى رقعة من تلك الأرض السبخة الغدِقة التى هى كل ما صار له بشق النفس . فلما دنوت منه صعَّد إلىّ طرفه مستغرباً ، وكان يعرف ما كنت اعتزمته ، ويوافق عليه بفضل ما فطر عليه الإسكتلنديون من إكبار الأدب وأهله . فلما حدثته بما كان منى تغير وجهه الملوح ، وحدق فى بعينيه الزرقاوين الحادتين تحت حاجبيه الأصفرين ، وكانت نظرته واشية بخيبة أمله فىّ واحتقاره العجيب لى . وكان صموتاً قليل الكلام ، فمضت لحظة طويلة قبل أن ينطق بشىء وحتى لما نطق كانت ألفاظه تشير ولا تصرح .

قال : « لا شك أنك أنت الذى على صواب يا دكتور ، وأنا الذى على خطأ » . وخيل إلى وأنا أصغى إليه ، كأن عينه تنفذ إلى أبعد أغوار نفسى : « كان أبى قبلى يحفر هذه الأرض السبخة ، وقد واصل ذلك طول حياته ، ولم يستطع قط أن يجعل منها أرضاً طيبة زكية ، وأنا قد عملت فيها ولم أجعل منها قط أرضاً مكرمة » . ووضع قدمه على الفأس وهو يقول : « ولكنه لا يسعنى إلا أن أحفر ، صلحت أم لم تصلح لأن أبى كان يعلم ، وأنا أعلم أن من الممكن أن تطيب الأرض إذا حفرت حفراً كافياً » .

ففهمت ، وجعلت أنظر إلى هذا الرجل الكدود المثابر ، وامتعاضى وغيظى يزدادان شدة . وقد امتعضت لأنه أوتى ما لم أوته : صلابة العزم على المضى فى الأمر حتى يتم مهما بلغت الكلفة ، والإرادة الماضية التى لا يفل حدّها شىء ، فى مكابدة أجدب واجبات الحياة وأبسطها فى وقت واحد . وإذا بمعضلتى التافهة قد تجسمت فصارت محكا لسيرة الإنسان فى الحياة ومسلكه فى الدنيا ، وتمثلت فيها المسألة الأبدية للانسانية الفانية : التراجع المريح ، أو التقدم الشاق على غير أمل فى جزاء أو مثوبة .

ودلفت راجعاً إلى المسكن ، وقد ابتللت وخجلت ، والتهبت ثورة نفسى ، والتقطت النسخة المبتلة من صندوق القمامة ، وجففتها فى فرن المطبخ ، ثم ألقيتها على المنضدة . واستأنفت العمل وبى من اليأس مثل

الجنون ، واستغرقتنى قسوة عزيمتى وأبيت أن أنهزم ، أو أن أستسلم للقنوط ، ورحت أكتب بقوة . فلما كان آخر الشهر الثالث خططت كلمة « انتهت الرواية » . وكان إحساسى بالفرج والخلاص والتحرر ، مما لا يكاد يصدق . فقد استطعت أن أوفى بالعهد وألفت كتاباً ، أما أنه جيد أو ردىء أو بينَ بينَ ، فذاك شىء ما كان يعنينى .

واخترت ناشراً بطريقة بسيطة ـ ذلك أنى أغمضت عينى وغرزت دبوساً فى فهرس بأسماء الناشرين . وبعثت بالنسخة الكاملة إليه ، وتناسيت الأمر كله . وفى الأيام التالية استعدت صحتى شيئاً فشيئاً وبدأت البطالة تضجرنى ، واشتقت أن أرجع إلى العمل .

وأخيراً دنا يوم الخلاص . فطفت بالقرية أودع هؤلاء القوم البسطاء الذين صاروا لى أصدقاء ، فلما دخلت مكتب البريد دفع إلىّ رئيسه برقية . . دعوة ملحة من الناشر إلى مقابلته ، فمضيت بها من فورى إلى جون أنجاس وأطلعته عليها بلا كلام .

وهذه الرواية التى رميتها فى وعاء القمامة هى التى اختارتها « جمعية الكتب » ، وقد حولت أيضاً إلى رواية تمثيلية ، ونشرت متسلسلة فى مجلة ، ونقلت إلى تسع عشر لغة ، واشترتها هوليوود ، وبيع منها إلى اليوم حوالى ثلاثة ملايين من النسخ ، وقد غيرت حياتى تغييراً تاماً ، وكل ذلك بفضل درس تلقيته فى أوانه فى مزية المثابرة .

على أن للدرس مغزى أعمق ، فاليوم ، والجو يتجاوب بالصيحات العالية من دعاة الهزيمة ، ونصف العالم المنكوب يعول ، وبه من اليأس هاتف ينادى : « ما الفائدة من العمل . . ومن السعى للانقاذ . . ومن المضى فى الحياة . . . » ـــ اليوم أغتبط بأن أتذكر هذا الدرس . فى هــذه الفوضى الحاضرة ، ولا أمل يلوح ليقوى نفوسنا ، نرى الباب مفتوحاً على مصراعيه على الظلام واليأس . والسبيل إلى إيصاد هــذا الباب أن نتشبث بالعمل الذى نعمل ، مهما يبلغ من ضآلته وتفاهته ، وأن نواظب على العكوف عليه ، وأن نتمه .

كان إيجناتيوس يلعب الكرة يوماً مع زملائه من الطلبة فقال بعضهم فجأة وبلهجة الجـد : ماذا يصنع كل منكم إذا علم أنه سيموت بعد عشرين دقيقة ؟ فقالوا جميعاً نذهب نعدو إلى الكنيسة ونصلى ـــ إلا إيجناتيوس فإنه قال : « أتم اللعب » .

إن مزية كل نجاح ـــ كما كان يعرف إيجناتيوس ، ويعرف صاحبى الفلاح الإسكتلندى الهرم ـــ هى الانتصار على النفس . والذين يقدرون على هــذا النصر لا يمكن أن يعرفوا الهزيمة أبداً .

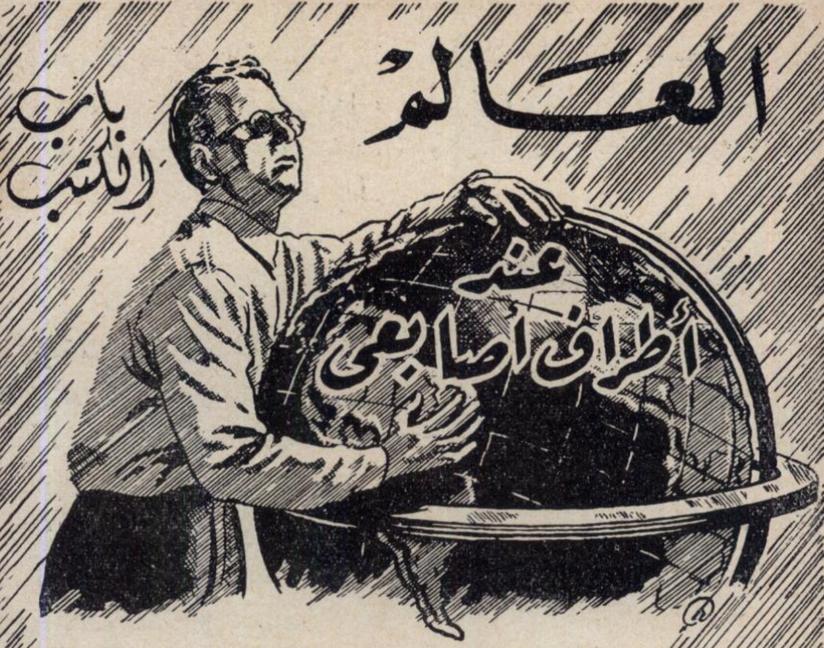

ملخص كتاب كارستن اونستاد

كان كارستن أونستاد طالباً عادياً في مدرسة عالية أمريكية ثم أخذ بصره يغيض ويكف من جراء إصابة يسيرة في لعبة الكرة . واليوم وهو في التاسعة والعشرين من عمره ، فقد علمه العمى أن يعتمد على حواس وجوارح أخرى ، وهو درس قد حذقه ببراعة .

وكتابه « العالم عند أطراف أصابعي » ترجمة لحياته . ويعد وصفه للتحصيل في مدرسته بغير عيون من أعجب وأندر الصور التي رسمها قلم لحياة طالب في مدرسة . على أن هذه الترجمة ليست قصة شخصية ممتعة فحسب ، فإنها أيضاً قصة شجاعة لا تقهر، ووحي بما يعين على النجاح والتغلب على العقبات والمصاعب .

هذه هى الطريقة التى تلاقى بها العمى . تولد فى عالم لا ينفذ إليه النــور أبداً ، وتسمع به ، وتتطلع إليه وتترقبه ، وتتخيله ، وتجهد عينيك لتراه ، ولـكنك لاتراه أبداً .

مثل جورج :

أو ترى ومضــة متألقة مفاجئة ، وإذا بكل دقيقة من تفاصيل ما حولك قد نقش بأحرف من نار على لوح ذاكرتك — الكوخ ، والأشجار الباسقة الذاهبة فى الهواء تحت السماء الحالكة ، والموضع الذى انفجر فيه الديناميت فالتمعت فيه ألوان برتقالية وبيضاء تزيغ البصر . ثم تدخل الدنيــا فى الظلام ، وتضع كفيك على وجهك ثم تردهما والعرق يسيل منهما ، وبهما مثل مس الحمى .

مثل آل :

أو ترى الحروف وقــد بدأت تعــوم وتختلط على الصفحة كالسمك الهلامى فى الماء الراكد ، وتظل هكذا عاماً والأطباء يجربون كل ما يعرفون ليردوا الخطوط مستقيمة والألوان زاهية أمام عينيك ، وتبصر الدنيا من خلال ضباب منير ، ثم من خــلال ستر مرخى ، وقد أخذت الأضواء الملقاة عليه تخبو ، ثم لا تبصر شيئاً على الإطلاق .

مثلى :

شعرت أن شيئاً غير عادى قد حدث . فـنزعت نظارتى ، ومسحتها ، ورحت أطرف ، وكنت أعزق الأرض للبطاطس ، وكان الظل الرَّوْحُ الذى يلقيه بيتنا يكسو الحديقة ، وفيما وراءها بدا لى بيت جارنا عند الركن الأقصى لهذا الجانب ، وهو يضطرب ، والدهان الأخضر على الزوايا يتحرك ويتلوى متداخلا فى بياض الجدار . فأغمضت عينى ، ثم نظرت مرة أخرى ، فإذا الأبيض والأخضر لا يزالان يلتويان ، ويبهتان ويطمسان ، وسبحت امام ناظرى خطوط سود تأبى أن تمحى وتختفى ، وازداد قصر نظرى ، فقلت لنفسى : سأطلب من أبى أن يزودنى بعـدسات أقوى من هــذه ، واستأنفت العزق .

وفى عصر ذلك اليوم دلقت الوعاء الذى فيه حبــوب البيغاء ، وجعلت أمى تراقبنى وأنا أجمعها .

فقالت لى : « لماذا لا تجمعها كلها ؟ » .

قلت : « لست أرى غير ما جمعت » .

قالت : « إن الحب أمامك وتحت عينيك »

فصوبت بصرى إلى البلاط محدقاً ، ولم يسعنى آخر الأمر إلا أن أمد يدى وأتحسس ، فما كنت أرى شيئاً من الحب .

ولما حدثت أبى بمعابثة عينى لى ، حملنى من فوره فى سيارة إلى إخصائى .

ولم يكن تشخيص الدكتور « أ » مشجعاً .

فقد سألنى : « تقول إن هذه العين ثقبها حد مقص وأنت فى الخامسة من عمرك ، فهل ترى بها شيئاً ؟ » .

وكانت هذه العين لا تكاد تتبين الضوء .

وعاد يسأل: « هل أصاب عينك الأخرى شىء ما ؟ » . فتذكرت أن كرة اصابتها فى مارس ، فورمت واسودت ، وبعد شهر أو نحوه ذهبت إلى دار للسينما فإذا بالرسوم تبدو مطموسة .

وانحنى الدكتور « أ » علىّ بمرآته ، ثم قال لأبى: « إن ههنا التهاباً ، وهنا التحامات تتكون بين القزحية والعدسة . ولا شك أن الضربة التى أصابت العين هى التى سببت كل هذا » . وكتب لى وصفة ، وقال : « عد إلىّ بعد أسبوع ، ولا تقرأ شيئاً ، وتجنب الشمس ، وإذا كنت فى النور فضع على عينيك نظارة سوداء » .

ووقفنا فى بعض الطريق ونحن نعود حتى يمر عرض ، فأنصت إلى الطبول وإلى أصوات الأبواق ، ونازعتنى نفسى أن أنظر ، وعجزت عن مقاومة الإغراء ، فرفعت النظارة السوداء ، فإذا بى كأنى ناظر إلى مشهد التقطته آله تصوير . فقد رأيت صفاً من حملة الطبول فى ثياب قرمزية وهاجة ، ومخدّمات(*) بيض ، وأحذية سود لماعة ، وكانت عصىّ الطبول واقفة فى الهواء ، وأحد الحذائين السوداوين مرفوعاً عن الأرض ، كأنما هؤلاء رجال فى صورة مرسومة ، يتحركون ولكن بغير حركة . وقد انحفرت الصورة فى ذهنى فليست تمحى أو تنسى . وكان هذا آخر عرض رأيته قط .

وتصرمت أيام الصيف ، وصار بصرى يزداد نقصاً ، فلما كان شهر أغسطس لم أعد أستطيع أن أتبين ما على طبق من الطعام . وكان اللحم والبطاطس والخنطة تبدو لى كأنها برك من ألوان حمر وبيض وصفر . ولما فتحت المدرسة فى الخريف رحت أفكر وأنا مكروب النفس ، فى زملائى من الطلاب ، وكيف أنهم يمضون فى التحصيل ، وأنا قاعد فى البيت لا أصنع شيئاً ، والركب يخلفنى وراءه .

وفى صباح يوم عاصف من أيام يناير مضى بى أبى فى سيارته إلى سنت بول لاستشارة إخصائى .

وقال الدكتور « ب » أخيراً بعد أن فرغ من الفحص : « أظن أنى أستطيع أن أرد البصر إلى هذه العين » . فغمرتنى موجة من الشعور بالفرح تركتنى ضعيفاً مرتعشاً . ومضى الطبيب فى كلامه شارحاً ويده على كتفى فقال : « سأستبقيك فى

(*) أرجل السراويل .

المستشفى بضعة أسابيع ، وسأعطيك ثلاث حقن بمصل التيفود للتغلب على هـذا الالتهاب » .

وقد امتدت الأسابيع القليلة حتى صارت تسعة شهور من العذاب الغليظ ، وصرت أكره الإبرة الواخزة الطويلة والطبيب الذى يغرزها فى عروقى التى صلبت ندباتها .

ولما أحدثت حقن التيفود أثرها ، عرتنى موجة من حر الحمى كان لها توصيم فى فى ظهرى ، وكان نبضان العروق فى جبينى من الشدة حتى أحسست أن مقلتى ستخرجان من محجريهما ، وكانت يدا الممرضة الرطبتان هما الوحيـدتان اللتان تستطيعان أن تحميا رأسى أن يتصدع ، ثم صارت الحمى نافضاً ، فطلبت زجاجات ماء ساخن وأغطيـة ، ثم أخرى .

وجاءت الممرضة ذات ليـلة بالديونين ، وهو عقار قوى له كى ولسع فظيعان ، وإنها لحانية علىّ ، وفى يدها القطارة ، وإذا بمحياها يبرز فجأة من ظلمة الغموض ، فأراه جلياً واضحاً ، فكأنما اخترقنى سيف من وقع هذا المنظر الذى لم أكن أتوقع أن أراه . وكانت تبتسم وشفتاها منفرجتان ، وخصل شعرها الدجوجى تزين جبينهـا ومفرقها ، وقد اجتمع فى عينها الزرقاوين الضاحكتين لمع الضوء وومض الابتسام . وكان محياها أول محيا رأيته فى شهور عديدة ، وآخر محيـا رأيته بوضوح . فسالت الدموع على خدى . ومضت هى عنى .

وأخيراً أجرى الأطباء الجراحة ، وكانوا كما خبرونى غير واثقين ، ولـكن عسى أن يكون هناك فرصة بعد التماثل .

ومضت الأيام بطيئة وأنا راقد ، وفوق ضماد عينى قناع من السلك كأنه نظارة ضخمة حتى لا تمتد أصابعى إلى عينى ، واستيقظت فى الليل فألفيتنى أعالج تمزيق القناع .

ثم جاء الدكتور « ب » ذات يوم وأمر بإسدال الستائر ، وفك القناع ، ونزع الضماد .

— « والآن افتح عينيك ... هل ترى أصابعى ؟ » .

— فحدقت فى خليط غامض من الأضواء والظلال .

— « كلا . إن كل ما أراه هو الضوء » .

وجعل الدكتور « ب » يعود كل يوم لفحص عينى ، ثم انصرف بلا كلام . وقبل أن أبرح المستشفى إلى البيت ببضعة أيام ، دخل علىّ ، وناولنى طرساً على سطحه عدة نتوءات كأن رءوس مسامير قد نفذت منه ، فلمستها بأناملى وتحيرت .

وسألته : « ما هذا ؟ » .

قال « أبجدية بريل . أمسكها هكذا .

ودعني أر ماذا تستطيع أن تحفظ منها قبل أن أعود إليك غداً » .

* * *

وكانت أولى المعضلات أن أتعلم كيف أتنقل داخل البيت . وقد استنفد هذا وقتاً وكلفني خدوشاً . وقد اصطدمت بباب الحمام وكان أبي قد تركه مفتوحاً . وبعد دقيقتين دخلت المطبخ فاصطدمت بباب المخزن المفتوح فقالت أمي : « حاذر . امدد يدك أمامك حين تمشي » ،ولكنى فضلت الخدوش على المشي ويداي ممدودتان ، فقد كرهت أن يظن بي العجز وقلة الحيلة .

وكان الاندفاع وراء الأشياء حين تنفلت من بين أصابعي عادة ليس من السهل رياضة النفس على تركها . وكانت أذرع الكراسي وزوايا المناضد تعترض طريقي كثيراً فتكسر لي نظارتي السوداء ، وتخدش أنفي ، وتقشر جلدي إذ أنحني لأسترد قطعة من النقود قبل أن تكف عن الجري والدوران . ثم تبينت شيئاً فشيئاً أنه خير لي أن أدع الشيء يقع ، وأن أرهف سمعي حتى تنقطع حركته وصوته ، ثم ألتقطه بحذر ، وصرت أستطيع دائماً تقريباً أن أمد يدي إلى مكانه ولا أخطئه .

وكان تناول الطعام، بغير وقوع في أغلاط ظاهرة ، معضلة أخرى ، وكان من الصعب أحياناً أن أعرف من ثقل الشوكة ووزنها هل عليها أو ليس عليها شيء من الطعام . وكنت أتوخى حذراً شديداً ودقة عظيمة حين يدعوني جار إلى العشاء . واتفق يوماً أن كان على المائدة أحب أنواع المتبلات والمشهيات إلى نفسي — وهي خضر مقطعة قطعاً صغاراً على أوراق الخس الصعبة التناول ، فما كدت أرفع الشوكة إلى فمي حتى انفجر الصبي ضاحكا ، وكان في السادسة من عمره ، وقال : « انظري ياأم ! إنه ليس على الشوكة شيء ! »

وطال ترددي قبل أن أجرؤ على الخروج وحدي . وكنت أشعر أن كل حركة من حركاتي تراقب ، وأن السيدات ينظرن إلي من خلال السجف والأستار ، وأن الأطفال يدعون دراجاتهم ويقفون فاغري الأفواه . وكنت أتخبط وأصطدم بكل شيء ، ولا سيما إذا كان أحد قريباً مني وأخطىء موضع الانثناء في الممشى ، وألقي نفسي على السياج الشائك ، وأدوس أحواض الزهر ، وأتعثر بأكوام الحطب .

ثم وقفت ذات يوم إلى وسيلة للهداية كانت لي بمثابة «حجر رشيد» (الذي حلت بفضله طلاسم اللغة الهيروغليفية) . وكانت تلك لحظة من أعظم اللحظات في حياتي . وما أحسب أن عالماً بالعاديات المصرية ، أو رائداً

أو فلكيا وجـد أعظم مما وجدت من شعورى بهذه اللحظة ، وكان « حجرى الرشيدى » هو العمود الذى تشد إليه حبال الغسيل .

ذلك أنى لما فترت حدة شعورى بذاتى وحالى ، اعتدت أن أتمشى على حذر فى الفناء ، وفى ذلك اليوم بينما كنت أمشى على مهل قريباً من سلم المطبخ ، وقفت ، وارتددت بسرعة ، فقد شعرت أن أمامى شيئاً ، فدفعت يدى ، فإذا أمامى وفى طريقى مباشرة ، وعلى مسافة خطوتين أو ثلاث ، هـذا العمود . فذهبت أتمشى حول البيت كرة أخرى ، فلما دنوت من موضع العمود خالجنى نفس الإحساس . فدفعت يدى إلى اليمين قليلا ، فإذا العمود هناك . ولم يكن هذا من فعل الخيال ، وإنما استطعت أن أحس بوجوده بطريقة ما .

فصعدت فى السلم مسرعاً ، وقلبت كرسياً من كراسى المطبخ ، واجتزت الردهـة متطرحاً ، واندفعت داخلا إلى مكتب أبى .

وصحت قائلا : « أبى ، إنى أستطيع أن أعرف أنى اقتربت من عمود الثياب . ولست أدرى كيف أفعل ذلك ، فما أسمعه ، ولا أنا أحتاج أن ألمسه ، ولكنى « أعلم » أنه هناك » .

وقد فتح لى هذا العمود آفاق الخارج ، فما دام فى وسعى أن أشعر بوجود الأشياء القريبة ، فإن فى استطاعتى أن أخرج وحدى وأنا آمن .

وسرعان ما عرفت أن الأعمى يستقيم على طريقه ، لأنه يحسن استخدام الحواس التى أوتيها . ولا شك أن ابتعاث الملكات التى طال تعطيلها وإرهافها وتنسيق عملها يستغرق وقتاً ، ولكن الأعمى يتعلم شيئاً فشيئاً كيف يجمع بين يقظـة الحس والذاكرة، جمعاً يعينه على السير فى الدنيا بغير معين . فهو يذكر مثلا أن الممشى الجانبى بعد هذه الشجرة يميل يمنة ، وتنذره حافة الرصيف بأنها هناك حين يجتاز طوار الطريق ، فيرفع قدمه ويصعد من غير أن يصطدم بها ، ويسمع وقع أقدام مقبلة فتخبره أن عليه أن يميل إلى الجانب الأيمن من الطريق .

وتعلمت قياس المسافات : فأمشى مسافة ، وأنثنى ، وأجد درجات السلم أو الباب أمامى . ولم يكن يتعذر على قط المشى على الرصيف ، فإذا تطرفت يمنة أو يسرة فإن الحشيش تحت قدمى . ولم أكن أصطدم بشجرة ، لأنى كنت أشعر بوجودها حين أقترب منها . وإذا فقدت شعورى باتجاهى وتحيرت ، وأنا على الرصيف ، فإنى لا أروح أدبر وأقبل ، وأدور حتى أقع فى حفرة ،

بل أصغى للأصوات المختلفة ، وللسيارات حتى أتبين أنهـا آتية من ناحية مبنى ما ، أو شارع ما .

ووجـدت أن السمع أقوى عون لى ، ولم يكن اكتشافى مرة أخرى لعمود الثياب معجزة ، فقد سمعت موجـة صوتية مرتدَّة عنهُ ، وهذه تجربه مشتركة بين الإنسان والحيوان . وقـد روى ألبرت بيزون تيرهيون أن كلباً أعمى كان مرهف السمع إلى حد أنه كان يذهب يعدو إلى جدار من الحجر حتى إذا صار منه على مسافة أشبار قليلة وقف . وقد كثر القول فى تعليل هذه « الحاسة العمياء » ، وذهب بعضهم إلى أنها شعورية ، وأن مركزها الجبين أو الوجه . ولكن العلماء وجدوا منذ بضع سنوات أن الأعمى إذا سدت أذناه ، يفقد قدرته على الإحساس بالعوائق المعترضة . فمن الجلى إذن أن هذه « الحاسة » الجديدة مرجعها إلى السمع . على أن سمع الأعمى من أوساط الناس أضعف من سمع البصير من أوساط الناس ، على خلاف الاعتقاد الشائع . وكل ما فى الأمر أن الضرير أفطن لأصوات أكثر ، لأنه وهو غير مشغول بالمرئيات ، يصبح وباله كله مجعول إلى مايسمع .

وعرفت ذات ليلة كيف أستخدم الأصداء لأعرف أين أنا . وما أظن إلا أن كل أعمى قد سمع بتورجر لين واستخدامه للأصداء استـخداماً يدخل فى باب الخرافة . فنقرة واحدة بعصاه تعرفه مواضع الأشـجار والمبانى وهو ماض إلى عمـله ، وفرقعة أصابعه تدله على سـعة الغرفة ، وهل هى مفروشة مؤثثة أوفارغة خاوية . وقد جربت هذه الطريقة ذات ليلة ، لما أدركتنى عاصفة ثلجية وضللت .

فرقعت أصابعى وأرهفت أذنى ، فإذا بالصوت يتبع خط الأشجار ، ثم يرتد إلى صداه ألطف وأشيع . والصوت يرجع عن المبانى كالتمطق الحاد . وكلما كانت الفرقعة أعلى وأقوى ، كانت المبانى التى أستطيع تعيين مكانها أبعد . وسرعة الأصـداء هى الوسـيلة لقياس المسافات والأبعاد ، فإذا دنوت من بناء زادت السرعة ، حتى إذا صرت على مسافة ياردات منه اختلطت الفرقعة بصداها وتسربت فيه وصارا صوتاً واحداً . وقد ازدهانى الفرح باكتشاف عالم أرحب آفاقا عنـد أطراف أناملى ، فوقفت هناك أفرقع أصابعى حتى أقبـل العسس يسأل : ماذا بالله ترانى أصنع ؟

والشىء الوحيد الذى لا يرتد عنه صدى هو ما هبط عن الأرض . ومن أجل هذا كانت درجات السلم الهابط إلى البدروم مصدر عناء دائم ، ومثلها المظـلة (تنده) الواطئة

المشرفة ، والأقبية المفتوحة على الطريق .

ولما قمت بأول رحلة وحدى إلى مدينة مينيابوليس التى لا عهد لى بها ، رأيت من الطبيعة الإنسانية ما طمأننى على المستقبل ، وملأ نفسى ثقة ، فقد كان الشرط وسائقو سيارات النقل وركابها ، والناس فى الطريق يتركون ما هم فيه ليبذلوا لى عونهم . وقد أحصيت فى آخر النهار من ساعدونى ، فكانوا أربعة عشر ، لعل كل واحد منهم عاد إلى بيته وهو يقول : «أما والله إنى لا أدرى كيف يصنع ! » .

ولكن حاجتى إلى المعونة قلت على الأيام ، فكنت إذا خرجت وحدى إلى شوارع مدينة غير مألوفة أجعل بالى إلى الاتجاهات وإلى المبانى والمعالم ، فعند هذا الركن حيث أتجه شمالا توجد محطة بنزين ، وعند الطرف الآخر من المبنى صندوق بريد كبير على طوار الطريق ، وبعد بناءين إلى الشمال آلة لخلط الأسمنت لبعض أعمال البناء ، بل ربما ساعدنى الأرج الذى يفوح من شجرة تفاح منورة ، أو زقزقة العصافير على بناء تعلق به النبات وعرّش عليه — أقول ربما ساعدنى هذا على معرفة المكان الذى أنا فيه .

وسرعان ما وجدت ، فى الصيف على الأقل ، حين تكون الأبواب مفتوحة ، أن لكل دكان رائحته التى يتميز بها . فللصيدلية التى فى الزاوية رائحة هى مزيج من العقاقير والعطور ، ولدكان البقال رائحة البن المطحون حديثاً ، ولدكان الثياب رائحة النسيج الجديد والكرات المهلكة للعثة .

أما مفارق الطرق التى تشتد فيها الحركة فبقيت خطراً ، فكنت أقف على حافة الرصيف منتظراً مرهفاً سمعى ، مقدراً الفرص التى تتاح للوصول إلى الناحية الأخرى . وكان مرور سيارة واحدة مقرقرة أشد تحيراً لى من شارع كله حركة فقد تكون وراءها سيارات أخرى ، ولا سبيل إلى التبين حتى ينقطع صوتها . وكانت سيارات النقل و (الموتورسيكل) تحيل الأصوات فى مسمعى فوضى لا سبيل إلى تمييزها . وكانت الريح تقتلع كل ما تسترشد به أذنى وتهتدى ، وتخلط كل المميزات الدالة وتجعل منها مزيجاً واحداً صارخاً .

ثم طامنت من كبريائى واتخذت عصا بيضاء ، وكانت فى بعض الأحيان تضايقنى ، ولكنها نافعة فى المنعطفات . وكان سائقو السيارات يرونها فيقفون . وكنت بفضلها كموسى فى هذه المدينة : أرفع يدى بالعصا فوق هذا البحر الصاخب فيفترق ، وأدرج سالماً إلى الناحية الأخرى .

وأدهشنى وسرنى أن وجدت أنى مازلت أستمتع بالذهاب إلى دور السينما ، وهى

للأعمى كاذاعة الروايات المسرحية بالراديو للبصير. ولأكثر الروايات السينمائية موضوع محبوك تساعد الحركة والمؤثرات الصوتية على تتبعه ، ويعوض الخيال ما حرمه المرء من الرؤية ، فإذا سمعت صوت (فرملة) أو صرخة أو صوت اصطدام ، ارتسمت فى الذهن صورة يمهد لها الحوار السابق . وإذا كان الشريط يحتوى جزءاً صامتاً طويلا ، فإن كلة من بصير تجىء فى أحيان كثيرة مؤيدة لما سبق أن وقع فى النفس .

* * *

وتطلعت إلى الالتحاق بمدرسة العميان التابعة لولايات منيسوتا ، وكانت هذه أطول خطوة أخطوها لأحيى مستقلا مستغنياً عن عطف والدىّ وحمايتهما ، ثم إن هذه المدرسة تعرفنى أعظم تعريف بذلك الجيش الذى لحقت به حين فقدت بصرى . وأخلق بطلبة هذه المدرسة ، وهم مائة وثلاثون ، تتراوح أسنانهم بين الخامسة والحادية والعشرين ، أن يكونوا قطاعاً حسناً ، من المائة ألف أعمى الذين فى الولايات المتحدة. فكيف هم يا ترى ؟ ماذا كانت تجاربهم ؟ وكيف يسيرون فى دنياهم ؟

ووصلت إلى المدرسة بعد الغروب، فمضوا بى إلى غرفتى فى الجناح الذى أفرد للنوم، وفيها عرفت «آل» زميلى فى الغرفة ، و«جورج» من غرفة أخرى فيما وراء الردهة .

وكان « جورج » مديد القامة ، يطولنى ويطول آل بشخصه الجسيم الشديد العضل، وهو شمشون أعمى مشدود إلى عمود ، وما أعظم ما كان يمكن أن يكون ، ولكنه الآن مستحيل . وقد شعرت وهو يتخبط ويتعثر فى الغرفة بالثورة على ظلم القضاء .

وكان أمر « آل » أحسن ضبطاً ، وميزاته أشد اعتدالا ، وهو أكثر مواهب . وكان يجلس ساكناً ويعزف على القيثارة ، وكانت موسيقاه عذبة ، وليست إيقاعاً منتظما كالذى يخرجه الهواة ، بل لمساً لأوتار رقيقة وتطريباً بألحان ، وكان يجيد ضرب القيثارة والطنبور إجادة عجيبة .

وما لبثنا أن استطردنا إلى الموضوع الذى لا مفر منه . وقد علمت أن عينى آل نسفتا نسفاً لما انفجر فى وجهه صندوق فيه رءوس ديناميت ، منذ أربعة أعوام .

وفى صباح اليوم التالى أعطيت لوحاً وملمولا (قلماً معدنياً) ، ثم ذهبوا بى إلى مكتب المديرة وهى سيدة حسنة الصوت ، فنظمت لى دراستى ، فى مواد الهندسة والتاريخ والطبيعة واللغة اللاتينية .

ثم قالت : «وما رأيك فى صناعة؟ إن لك الخيار — وأمامك صناعة المقشات ، والحفر على الخشب ، ونسج السجاد ، وعمل

السـلال ، والشباك ، وكسوة الكراسى بالخيزران ، وضبط أوتار البيانو » .

فلم يرقنى هذا ، وأشفقت إذا أنا أخذت فى شىء من هـذا أن أسلم نفسى إلى حياة من الكد الذى لا خير فيه ، ولكنى ارتضيت نسج الخيزران وضبط الأوتار .

وكان المنهاج لا يختلف عما فى المدارس العامة إذا استثنينا الكيمياء . وكان على الطلبة أن يعكفوا على الصناعات بقدر ما تسمح لهم بذلك دروسهم ، والغرض من ذلك تدريب اليد . وكانت الموسيقى فى كل مكان ، وكل فتى أو فتاة تستطيع تعلم الغناء أو العزف، تلتحق بفرقة موسيقية . وكانت المدرسة تعنى أيضاً بالآلة الكاتبة، وكانت المذكرات والامتحانات تكتب عليها ، وقل من المعلمين البصيرين من كان يقرأ خط « بريل » بسهولة .

وكانت كتبنا المدرسية بخط بريل ، وكانت المصورات التى تستعمل فى تعليم الجغرافية بارزة ، وتلك خير، من حيث البيان والوصف ، من المصورات المرئية، لأن رءوس النجود الناتئة تحت الأنامل أعون على تصور الارتفاع والعمق . وكان كتاب الهندسة حافلا بالرسوم والأشكال البارزة ، وكنا نستعمل فضلا عن ذلك كتلا خشبية تجسد المثلثات والدوائر والمربعات والمسدسات من كل الأحجام . على أن حل المسائل الرياضية على لوح بريل للكتابة كان أصعب من المسائل نفسها ، وكان تصحيح خطأ ما ، أمراً غاية فى التعقيد والتحيير . وقد كان من شأن هذه الصعوبات أن صار كثيرون من الطلبة بارعين فى الحساب العقلى ، وأصبحوا أشبه بآلات آدمية حاسبة .

وقد عكفت على خط بريل عكوفاً شديداً ورحت أدرس كتاب مبادىء القراءة به حتى على أرض الملعب ، وأقرأ بجهد مجلداً ضخما يحوى رواية « الكبرياء والتحيز » بالليل فى فراشى ، حتى خدرت أناملى ودميت من كثرة ما لمست من سطور النقط . وكان يحدث أحياناً أن تعاد كتب جديدة ذات نقط حادة إلى المكتبة ، وعلى صفحاتها قطرات من الدم ، لأن بعضهم استحوذت على نفسه القصة فظل يقرأ حتى دميت أصابعه . وقد حاولت أن أستخدم أصابعى الأخرى ، ولكن النقط كانت تستعصى عليها وتستبهم ، كما كانت تستبهم على سبابتى لما بدأت أتعلم هذا الخط .

ويظهر أن إجادة قراءة خط بريل رهن بملكة فطرية، أو حساسية غير عادية فى المرء، فإن بعضهم لبث سنوات يقرأ بهذا الخط ومع ذلك كان يتعثر عند كل نقطة ، على حين كان غيره يقرأ بسرعة عجيبة .

ومن هؤلاء « إيد » — ذلك الفرنسى

الصغير البدين الثقيل السمع ، وكان يقضى معظم الوقت فى القراءة أو العزف على البيانو ، ويقوس ظهره وهو يعزف كأنه بيتهوفن آخر يرهف أذنه ليسمع نغمات موسيقاه الدقيقة . وفى وسع الرجل من الأوساط أن يقرأ بخط بريل نصف مايقرأه البصير من الكتابة المطبوعة . أما « إيد » فكان يخطف كالريح فوق الصفحة بكلتا يديه وأصابعه العشرة ، رائحة غادية فوق النقط ، ولا تسمع إلا حسيساً إذ تمر أصابعه على النقط ، وإلا صوت الصفحة وهى تقلب . وكان يحب أن يسمعنا ما يقرأ ، وكان يبلغ من سرعته فى القراءة أحياناً أن تعجز شفتاه عن اللحاق بأصابعه، فتخرج الألفاظ مغمغمة غير واضحة . وكان جو المكان مرحاً خفيفاً ، فبعد الدرس ، إذا هفا إلينا صوت البيانو من الطابق الثالث من الجناح المفرد للنوم ، بادر الجمع إليه ، ويجىء « سوب » بالسكسوفون وقد عرف أسلوب « سويد » فى العزف ، ويجىء « كات » بقيثارته ، و« بوب » بمزماره ، و« جودين » بطبوله ويالهامن موسيقى. يجتمع الخلق عليها كالذباب على السكر ، حتى فى مداخل الأبواب .

وكان عمى العميان فى هذه المدرسة راجعاً إلى أسباب شتى : كالإصابة ، أو أمراض الطفولة ، أو الوراثة . ومن ذلك أن « پن » ، وهو صبى فى العاشرة ،كان يلعب فى فناء المدرسة فأصيبت عينه بكرة من الثلج ، وأعمت العين أختها . وأما « آرت » فإنه وهو فى الثامنة رأى أمه تقطع حلقة المطاط عن جرّة فيها مواد مخللة ، فانحنى عليها يراقبها فتفلتت السكين من يدها وخدشت قرنية عينه خدشاً لا يكاد يبدو . ولكن الحامض الذى كان على حد السكين ذهب ببصر الغلام . أما « جيم » ففقد بصره من جراء الحصبة وهو فى الثانية من عمره .

وسرعان ماتبينت أن الفتيان الذين كانوا عمياناً معظم حياتهم يتفوقون علىّ ، لا فى الحساب العقلى وحده بل فى الألعاب التى يعول فيها على الذاكرة .

وكان آرت أمهر فى ورق اللعب من أن يغلب ، وكان له مجموعة من الورق فى زواياها الفوقية الشمالية والتحتية اليمنى ما يميزها من نقط بريل . وكنت أجد مشقة فى تذكر ما فى يدى من الورق ، أما آرت فكان يذكر كل ورقة معه ، وكل ما ألقى على المنضدة . وكنا نلعب الشطرنج على رقعة مربعاتها السوداء هابطة ، وقطعها الحمر مستديرة ، والسود سداسية الشكل ، وفى هذا لا غنى عن الذاكرة ، وعن القدرة على تصور الرقعة فى حالاتها المتعاقبة .

وكانت الأحلام تتراءى لى فى منامى

كعهدى بها إذ أنا بصـير ، وكانت الصور فيها واضحة حقيقية كما كانت ، فكنت أرانى أسـوق السـيارات وأركب الدراجات ، وأبصر الوجوه التى ألفتها ، بل كنت أحلم بوجوه أصـدقاء جديدين لم تسبق لى بهم معرفة . وما أكثر ما تساءلت فيما بعد عن الصور التى تبدو لى فى الأحلام : أهى ياترى تطابق المظهر الحقيقى للاشخاص ؟

وسرنى، لما عدت إلى المدرسة فى الخريف الثانى ، أن ثقتى قويت . فكنا نسـتطيع أن نهتدى ، ونجد طريقنا وحدنا ، بل نلعب لعبة معدلة من كرة السلة ، ونعـدو وأيدينا على سلك ممدود يرتفع عن الأرض إلى خصورنا ، فى درب طوله مائة ياردة ، ولـكنا كنا نشتهى أن نفعل غير ذلك مما يفعله المبصرون .

ولقد كان من دواعى العجب أن نشاطنا الجثمانى لم يقتلنا ، فقد كنا نتصارع ونتعارك فى غرفنا ، فنقـع على الأرض ، ونخبط الـكراسى والمناضـد فنصطدم بالأسرة ، ونتلاكم على شرط « أن لا يكون ضرب فوق الـكتفين » . وفى إحدى هذه الملاكمات زلت قدمى فوق البساط ، فوقعت على وجهى فأصاب عينى شىء ، إصابة أليمة ، وظللت إلى أن فحصنى الدكتور (ب) مرة أخرى أخشى أن يكون قد بت آخـر ما بقى بينى وبين البصرين من صلة — أعنى قدرتى على رؤية الضوء .

ولعل أقوى ما شعرت به من التحرر من ربقة العمى ، كان لما اقترح « موستر » ، فى آخر شتاء قضيته بالمدرسة ، أن نتزحلق على الثلج . وكان لبعض الذين لم يفقدوا كل بصرهم ، أحذية للتزحلق استعرناها . وذهبنا إلى مرتفع حسن على مقربة من المحجر ، وأوقدناها ناراً محتدمة ، وكان « ديونج » يرى قليلا ، فشـد قدميه إلى الحـذاءين وانطلق فاختفى وراء ما ارتفع من التل .

ولما عاد إلينا ينفخ ويلهث سأله « آرت » : « هل على جانب التل أشجار ؟ » .

— « لم أجد شجراً حيث كنت » .

ولم يكن آرت ذا عين يبصر بها ، ولا كان ظنى أنه جادٌّ فى اعتزامـه التزحلق منحدراً على هـذا التل ، ولـكنه بعد أن وجهه ديونج وجهته ، انزلق هابطاً وانغمس فى الظلمة . فأنصت ، وأنا كالمتحجر فى مكانى متوقعاً أن يصطدم بشجرة أو صخرة ناتئة ، ثم تأدّت إلينا صيحته المألوفة من بعيد أنْ قد « فعلتها » .

ولمـا جاء دورى ترددت ، ولم استمرىء أن أقذف بنفسى فى الفضاء وأنا لا أدرى ماذا عسى أن يلقانى ، ولـكنى لبست الحذاءين أخيرا ، ووجهنى ديونج إلى الطريق .

ووقفت هنيهة كالمعلق على الحافة وقد انقطع نفسى ، ثم هوت الأرض تحتى فمضيت ، ورحت أهبط بسرعة تزداد حتى مال الحذاء عن مجراه ، فقذف بى كالمنجنيق بين سلسلة من كثبان الثلج .

وتخلصت ، وعدت أدرج مصعداً فى التل ثم قلت لديوبج : «وجهنى ، فما من تجربة ذاك مرة أخرى بد » . وذهبت أهبط مرة أخرى والريح تضرب وجهى بمثل السوط فأقعيت وملت إلى الأمام ، وكنت أتوقع فى كل لحظة أن أذهب دائراً فى الهواء . وصحت لما وقفت : « فعلتها ؟ وبلغت السياج أو شيئاً نحوه » فقد شعرت بوجود شىء أمامى ، وتقدمت فلمسته ، فإذا هو شجرة ! وكانت على أقل من أربع خطوات منى ، وكان بين حذائى أصل شجرة متين !

ثم جربنا بعد ذلك قافلة المتزحلقين . ثم أحطنا بالنار نصطلى ، وألقى عليها موستر أكواما من الأغصان الجافة ، ورحنا ندّفأ بضرامها الوهاج ، فتالله ، ما أطيب أن تخرج فى زمرة من الإخوان ، وأن تفعل ما كنت تحسب أن لن تقوى عليه بعد ذلك أبدا .

* * *

وكنت لما فقدت بصرى قد كففت عن أشياء لها قيمة كبيرة فى حياتى — القراءة والكتابة ، والرياضة البدنية ، والموسيقى ، والأعمال اليدوية ، والتثقف بالكتب ، فالآن بعد ثلاثة أعوام ، استعدت ذلك كله .

وسأذهب فضلا عن ذلك إلى الكلية بفضل مجانية منحتنيها الولاية ! وقد اعترانى لذلك ازدهاء وفرح ، وأحسست كأنى منفى عفى عنه ورأى بعد سنوات أرض وطنه . وكان للذهاب إلى الكلية مؤدى عندى أكثر من مواصلة الدرس والتحصيل ، لأنه عود إلى العالم الذى أخرجت منه ، وخوض لحياة اجتماعية أعمق وأرحب .

وكان أهل هذا العالم فى بداية الأمر ترق قلوبهم لى فيعاملوننى كأنى إنسان على حدة ، أو غريب جدير برعاية خاصة ، ولكن السور الذى يفرق ما بينى وبينهم ما لبث أن زال بسرعة فصرت جزءاً لا يتجزأ من عالم الكلية .

وقد اتخذت أحد الطلبة قارئاً لى ، ولقينى « ديك » لما وصلت ، وطاف بى بسرعة فى أرجاء المكان ، ولكن الصورة التى ارتسمت فى ذهنى كانت شديدة الغموض . وأفزعنى ، وأنا جالس فى غرفتى مصغياً إلى صيحات الطلبة فى الخارج ، خاطر المجازفة بالخروج وحدى ، والتعثر بكل شىء واجتذاب أنظار الطلبة إلىّ . ولكنى لم أكن أتوقع أو أطمع أن يقودنى زملائى من مكان إلى

مكان ، وأن يضحوا بمصالحهم فى سبيلى . وليس من حق الإنسان أن يقعد ويروح ينتظر أن تأتى الدنيا إليه وتسعى له ، وإذا أراد أن يكون من الدنيا فإن عليه أن يسعى لها ويخرج إليها ، لذلك حزمت أمرى ووضعت قبعتى الخضراء على رأسى ، وذهبت أدلف وحدى وأرتاد هذا العالم تدريجاً .

وكنا — أنا وديك — لما سجلنا اسمينا فى الكلية ، قد حرصنا على أن نختار من المواد المشتركة أكثر ما يمكن ، لأنه كان سيتولى القراءة لى ، وكان لا بد بعد هذا التوفيق بين المنهجين ، أن يراجع الأستاذ منهجى .

وقد سألنى هذا السيد الجهم : « كيف تنوى أن تدرس ؟ » .

قلت : « سيقرأ لى بعضهم » .

فتأمل بطاقتى وقال : « الإنجليزية ، والإلقاء ، والتاريخ الأمريكى ، والديانة ، والعلوم الطبيعية ، العلوم النوردية ؟ » وتنحنح : « إن درس العلوم لازم ولكنى أعتقد أن فى وسعنا أن نعفيك منها » .

فاجتنبت الإصرار على درس العلوم ، وكان هذا خطأ ندمت عليه فيما بعد . وكانت دراستى ، فيما عدا ذلك ، مطابقة لدراسة الطلبة غيرى ، ولكنى بترك العلوم الطبيعية أضعت فرصة كانت تهيئ لى أن أثبت على وجه قاطع أن فى مقدورى ، على الرغم من العمى ، أن أحصل أية مادة يستطيع المبصرون من زملائى تحصيلها . ولا شك أن تجارب المعمل لم تكن تخلو من صعوبة ، ولكنها صعوبة ذللها غيرى من الطلبة العميان فى الكليات الأخرى .

وقلت للأستاذ معترضاً : « ولكن هذا لا يترك لى سوى أربع عشرة ساعة من الدروس ، وبى حاجة إلى خمس عشرة » .

فسعل مرة أخرى وقال بلهجة الآسف : « نعم ، ولكن من الصعب عليك أن تحمل العبء كاملا ، وسنرى ما تستطيع أن تصنع أولا بالأربع عشرة » .

فتململت ، ولكنه لم يسعنى إلا أن أنزل على رأيه .

ولما كان العام التالى أخذت ثمانى عشرة ساعة ، أى فوق العبء المتوسط ، ولما تصفح الأستاذ جدول الشرف باحثاً عن اسم ابنته ، وجد اسمى هناك غير بعيد .

ولم يكن ميسوراً أن أحصل على الكتب المقررة فى الكلية مكتوبة بخط بريل ، ولكن كثيراً من الكتب التى يجب مطالعتها كان يمكن الحصول عليها من الجماعة الاتحادية ، ولها ست وعشرون مكتبة ، كل ما فيها بخط بريل ، وهى مباحة للعميان ، وقد انتفعت بها أعظم انتفاع .

وكنت فى أول الأمر أستحى جداً أن

أدون مـذكرات ، فى قاعة الدرس ، على لوح بريل ، ولكنى غالبت نفسى وثنيت كبريائى، ووضعت صحيفة من الورق السميك على اللوح ، وأقبلت عليها أنقر فيها بالقلم المعدنى . وكان صوت النقر ، إذ يثقب القلم الصحيفة يسمع فى جوانب القاعة فتلهبت أذناى من الخجل ، وأحسست كأن هـذا شخير فى كنيسة .

وبدا لى أن تدوين المذكرات على هذا النحو لاخير فيه ، فلابد من التماس وسيلة أخرى ، ووجدت أن ورق اللف العادى يحتفظ بالنقـط ، ولا يحدث صـوتاً حين أنقره بالقلم .

وصرت بعد ذلك أحمل إلى قاعة الدرس كراسة كغيرى ، واستطعت بفضل الاختزال الذى كنت قد تعلمته ، على طريقـة بريل أيضاً ، أن أكون أسرع فى تدوين المذكرات من الذين يكتبون بالخط العادى . وقبيل الامتحان النهائى فى علم الاجتماع ، شاع بين الطلبة أن مذكراتى تامة وافية ، فاختشد الطلبة فى غرفتى، وصاروا يقعدون على المناضد أو يضطجعون على الأسرة ، أو يجلسون على الأرض ، ويصغون إلى وأنا أقرأ لهم ، فانتفخت من فرط الزهو ، وكانت هـذه فرصة اغتنمتها، فرددت إليهم بعض ما أسدوا إلى من جميل وعرف .

وكانت وسـيلتى لأداء أجر القارىء أن أصلحت أوتار خمسين بيـانو ، للكلية ، بريالين لـكل بيانو ، وهذا خير من القيام بعمل آخر لا حذق فيه ، فى مقابل ثلاثين سنتاً فى الساعة ، وهو ما يدفع للطلبـة على ما يعمـلون من حين إلى حين ، على مدار العـام ، فيقومون على خدمة المـوائد ، ويغسـلون الأطبـاق ، ويجمعون الأوراق المتساقطة . أما أنا فقد قضيت أسبوعاً من عطلة عيد الميـلاد فى إصلاح الأوتار ، وأسـبوعاً آخر فى عيـد الفصح كذلك ، وانتهى بذلك عملى .

على أنى استنفدت فى هذين الأسبوعين كل ذرة من قوتى ونشـاطى ، فكنت أستيقظ فى السادسة صباحاً ، وأعمل طول النهار ، فيما عـدا عشرين دقيقة للغـداء والعشاء ، وأرتمى فى العاشرة مساء على السرير وقد أضمرنى الـكلال .

وما لبثت أن عرفت كل ما فى الـكلية ، فاسـتطعت أن أتنقل بين قاعات الدروس بغير عناء ، وعرفت أيضاً الطريق القصير الصعب إلى ساحة الألعاب ، وهنـاك كنت أسبح فى البركة ، بل لقد وسعنى أن أتناول الطعـام فى المقهى بلا مشقة ، وإن كنت لم أستغن عن معونة إحدى الفتيات العاملات ، لتجد لى مقعداً ، ثم لتأخذ بيدى وتخرجنى

بسلام من غير أن أصطدم بالصوانى الموقرة .

وألفيت الفتيات ذات صباح مرحات على غير العادة ، حين ناولتنى إحداهن زجاجة اللبن وكوب الماء .

وجلست ، ونزعت الغطاء عن الزجاجة ، وصببت ما فيها فى كوب فارغ ، وشربت ملء فمى ، فاتسعت عيناى من الدهشة ، فقد كان الذى فى الزجاجة ماء ، وتضاحكت الفتيات من حولى .

وقالت مارلز : « كذبة أبريل ! ألم تكن تعرف أن هــذا أول يوم فى أبريل ؟ وقد وضعنا لك اللبن فى كوب الماء ، والماء فى الزجاجة ، وكانت « إدنا » تخشى أن يكون فى هــذا جرح لإحساسك ، ولـكنا فعلناها والسلام ، فكيف وجدت الطعم ؟ » .

قلت : « عظيم ! لقد خيل إلى أن اللبن اليوم أدسم من المعتاد ! » .

وليس حفظ ما فى الكتب كل ما ينبغى أن تفيده من الكلية ، وقد أردت قبل كل شىء تقريبــاً أن أكون طبيعياً فى علاقتى بالفتيات ، وكنت قد استطعت على نحو ما أن أشهد الحفلات بغــير مشقة ، ولـكنى لا أزال أشــعر بالوحشة والاستفراد حين كنت أتمشى وحدى ، فألتقى بالفتيان والفتيات يتمشون معاً .

وقد قابلت عــدة فتيات فى المجتمعات ، وفى قاعات الدرس ، وساحات الكلية ، وكنت كل بضعة أيام أجد فتاة جديدة إلى يمينى وأخرى إلى يسارى فى أوقات الطعام ، وكانت « لويس » تبدو لى ذات حظ جزيل من الملاحة والفتنــة ، وكانت ظريفة رطبة اللسان ، وقد أوقعت مرة طبقاً من الحلواء فساعدتنى وأصلحت ما أفسدت .

ودخل علىّ ديك ليقرأ لى درس الغد فى الإنجليزية ، فسألته بلهجة من يخطر له خاطر عارض : « ماذا يبلغ من جمال لويس ؟ » . ومع أن الشخصية كانت أعظم عندى شأناً وأولى بالعنـاية من المحاسن ، إلا أنى كنت مازلت أنطوى على ذلك الزهو أو الغرور الرجالى الذى يأبى المرأة التريكة .

وقال ديك : « لا بأس بها — شـعر أصفر ، وعينان زرقاوان ، وابتسامة حلوة ، وقد رأيتها تتنزه عدة مرات . لماذا تسأل ؟ » .

قلت : « لاأدرى . . . مجرد سؤال » .

وخالجنى شـعور غريب وأنا أعالج أن أتشجع وأخرج إلى الردهة وأخاطبها بالتليفون وأرهفت سمعى عند الباب ، فلم أجد أحداً فى الردهة ، فطرحت الحذر جانباً وقصدت إلى مكان التليفون ، وأسرعت فطلبت رقم الجناح الذى فى غرفتها « ٤ — ٧ — ٤ » قبــل أن يقف فى حلقى ، ودار فى صدرى الشعور نفسه حين أجابتنى الفتاة التى طلبتها

فعرفتها بنفسى ، ثم دعوتها متلعثما إلى المسرح ، وانتظرت ثانية أحسست أنها ساعة . انتظرت وقلبي يخفق خفقاً شديداً وإذا بها تقبل ! وما أشد ما عرانى حينئذ من الاضطراب ، والارتباك ، والدهشة ، بل الاستفظاع العميق ، وقد بهت ، ولكنى عدت إلى غرفتى وبخطواتى خفة لم يسبق لى بها عهد قط .

وفى الساعة السابعة رفعت الغطاء عن وجه الساعة ولمست عقربيها لأستثبت ، وخيل إلى أن كل الطلاب الذين فى الساحة على سلم جناح الفتيات ليرونى وأنا داخل ، فخطوت بحذر اتقاء للعثرة واجتناباً لزيادة جذب الأنظار ، ودلفت إلى الباب ، وتحسست حتى لمست المغلاق ، ثم أسرعت فدخلت وأنا مضطرب،وبى مثل مس الحمى، وكانت الضوضاء فى الردهة تحير ، والبنات والفتيان يتمشون ، أو يجلسون ، ويتكلمون ويضحكون ، فشعرت أن ليس لى هنا محل حتى . . .

« مستعد ؟ » ، نطق بها صوت عذب إلى جانبي ، وتناولت « لويس » ذراعى بغير كلفة ، وخرجنا من الباب ، ومررنا باثنين أو ثلاثة واقفين على رأس السلم ، وهبطنا إلى الطريق ومنه إلى المدينة ، وكانت تهتف بأصدقائها ونحن نسير ، فامتلأت نفسى زهواً ، فقد كانت فتاة يغتبط أى واحد من هؤلاء بأن يخرج بها ، ولم تكن تأنف أن يراها الناس معى . نعم زهيت ، وانتفخت أوداجى كبراً .

وقد اشتركت فى كل ما أصلح له وأقدر عليه من مظاهر النشاط فى الكلية ، واستطعت أن يكون لى نصيب فى التمثيل ، ففزت بدور ألقى فيه أربعة سطور فى منظر يمثل القرصان ، ولكن أعظم ما استمتعت به هو عملى فى مجلة الكلية ، وقد صرت أكتب لها فى السنوات الأخيرة من حياتى المدرسية عموداً فكاهياً .

والتحقت أيضاً بجمعية أدبية تسمى « سجما تاوس » لأنغمس فى الحياة الاجتماعية للكلية ، ولكن أملى خاب من البداية ، لأن الطلبة ترفقوا بى واختصونى بالرعاية ، وكانت مراسم الدخول فيها تجرى فى كهف قديم فى « بوب هيل » حوالى منتصف الليل . وكان على الأعضاء الجديدين أن يسيروا فى سرداب مظلم نسج فيه العنكبوت بيوته ، وفيه يفاجأون باللطم والغمز والدغدغة والإلقاء فى الماء — إلا أنا . فقد أخذ « تريت » بيدى إلى برميل معفر وقال لى : « أما أنت فقف هنا ، فلا حاجة إلى تكليفك كل هذا » ، وكان باعثه العطف ، ولكنه ضيع علىّ ما كنت أتطلع إليه ،

وهو لا يدرى . فما كان مما يطيب لى أن أقف جانباً على حين كان إخوانى يجشمون ما يبهرهم . وكان همى ومناى أن أعامل مثلهم وأن أشعر أنهم يدخلوننى فى زمرتهم كواحد منهم ، بلا تمييز يفردونه به أو يتوقعه هو .

ولم يعاملنى الطلبة كواحد منهم ويكفوا عن تمييزى ، إلا لما انضممت إلى جماعة « فاى جاما رو » ، وكانت مراسم الدخول عنيفة ، ومما تقضى به أن يسير المرء معصوب العينين ويذهب يضرب فى الأرض ، ولم تكن ثم حاجة إلى عصب عينى ، وتنتهى هذه المراسم بأن يطرح المرء على وجهه ، ويدعك جلده العارى فى المواضع الحساسة بالكحول ، ويلصق عليه ورق مما يتخذ لصيد الذباب . وقد حمدت الله فى تلك الليلة وأنا مستلق على وجهى ، فقد كان بجسمى من الخدوش والخموش مثل ما بغيرى .

* * *

وكرت السنوات الأربع سراعاً ، وأورثتنى قدراً من الحكمة والفلسفة ، وقد آتت زملائى الطلبة أعمالا يزاولونها ، اما أنا فقد اتصلت بوكالة للمعلمين ، وكتبت إلى مدارس العميان جميعاً ، ولكنى لم أحصل على شىء ، وظللت أنتظر طول الصيف على غير جدوى أو أمل .

وأخيراً ، فى سبتمبر ، علمت أن فى مكتبة مدرسة العميان فى فاريبولت وظيفة ، فقابلت المشرف عليها وفزت بالوظيفة . وكان مرتبها خمسين ريالا فى الشهر يضاف إليها السكنى والطعام ، فأفادنى ذلك استقلالا مالياً كنت قد يئست منه . فقوى قلبى وشدد عزائمى ، فأقبلت مغتبطاً على واجباتى الجديدة .

وكان الزمن فى مرّه قد جاء بما غير وجه الأمور فى بلدتى ، ولكنى لم أشعر بذلك لما زرت أهلى . وقد لقيت ناساً أعرفهم ، ولكنى لم أجد ما ينم على التغير فيهم ، فقد كانت أصواتهم كما أعهدها ، ولهذا كان مما صدمنى ورجنى أن أعرف فجأة أن المظاهر قد تغيرت .

وسألنى بعضهم مرة ، وكنت أزور أهلى : « من هذه المرأة الجذابة البيضاء الشعر التى تسكن البيت المجاور لبيتكم ؟ » .

فقلت مفكراً : « المرأة الجذابة البيضاء الشعر ؟ لا أدرى ! ولكن السيدة د . تسكن هذا البيت » .

قال : « هذا هو اسمها ، وقد تذكرته الآن » .

قلت : « ولكنها ليست بيضاء الشعر ، فإنها شقراء » .

قال : « كلا . ربما كانت شقراء فيما مضى ، أما الآن فقد شابت » .

وكان من العسير على أن أروض نفسى على السكون إلى هذا. وخيل إلى أنى مثل «ريب فان ونكل» وقد بعث من رقدة طويلة، ولم يستطع أن يدرك أن سنين عديدة قد تصرمت وخلفت أثرها فى نفسه وفى غيره.

وكان من العسير أيضاً أن أدرك أن المدينة أيضاً قد تغيرت صورتها المادية.

قالت لى أمى: «لقد قام بيت جديد على الناحية الأخرى من الشارع»، ولكن مؤدى قولها ما لبث أن غاب دون أن يستقر فى نفسى، ولم ترتسم فى ذهنى صورة للبيت الجديد إلا بعد أن سمعت صوت الباب وهو يغلق، وصوت امرأة يصدر عن تلك الناحية التى كانت أرضاً فضاءاً.

* * *

ومن الغريب أن الأوصاف اللفظية لما لم يسبق لى أن رأيته من الأشياء، لم يكن لها أثر يذكر فى أحلامى. وكان الانسياب قد روعى فى صناعة السيارات والقطر والطائرات، بعد أن فقدت بصرى، ولم يتعذر على أن أتصور هذا التغيير الذى حدث، ولكن السيارات التى حلمت بها أو تخيلتها كانت هى السيارات المستقيمة الجذع، العمودية الظهر والزجاج الأمامى كعهدى بها سنة ١٩٢٨. وكانت الطائرات والقطر تتمثل لى كما أعرفها من قبل.

ولم تكن وظيفتى فى المكتبة مما يفسح المجال للتقدم، فبعد ثلاث سنوات كان عامل البريد يحمل إلى نفس مرتبى الشهرى القديم، وهو خمسون ريالا، وكان فى وسعى أن أظل أعيش فى غرفتى بقية حياتى مستريحاً، وعندى ما يكفى للثياب والتدخين. وكنت أعد نفسى سعيداً لأنى أكسب رزقى، ولكنى لم أنفض يدى قط من الأمل فى أن تؤتينى الحياة ما هو أكثر من الرزق وكفالته. وافتقدت ذلك العالم الرحيب الذى عدت إليه لما دخلت الكلية، والذى أحسست أنى بعضه.

غير أنه لم يبد لى أمل فى الحصول على وظيفة أخرى، فما توقعت أن يستخدمنى أحد حين يعلم أنى أعمى، ولم يكن أمامى غير سبيل واحد ـ أن آخذ إجازة سنة، وأدرس فى إحدى الجامعات، فقد يساعدنى الحصول على درجة أعلى مما أحمل.

وقد اخترت جامعة «إيووا» لأن فيها قسما بديعاً للانشاء، وخرجت منها بعد فترة وأنا أحمل درجة الأستاذ «ماجستير» فى الآداب. وقد تدربت على الكتابة تدريباً حسناً، وخير من ذلك كله أنى تعاقدت مع ناشر على طبع كتابى هذا ونشره.

ولم تكن رغبتى فى الخروج من ظلمة

الخمول ، وأخـذ مكانى فى عالم المبصرين الأرحب ، أمراً غير مألوف بين العميان ، فإن هناك الافاً من العميان القادرين الأكفاء ، لا يطيب لهم أن يوضعوا على الرف ، ولا ينبغى أن يكون هذا حظهم ، فإن هناك أكثر من مائة ضرب من الأعمال يمكن أن يؤدوها .

وأكثر أصحاب الأعمال لا يدرون ما يستطيع العميان أن يفعلوا ، إذا كانوا ممن حسن تدريبهم وتثقيفهم ، ومن ذوى التصرف والحيلة الواسعة . وكثيراً ما تحمل الرسائل الواردة من وكالات العميان العبارة الآتية فى ذيلها : « كتبها أعمى على الآلة الكاتبة » . وقد صنع « فونغراف الكتاب الناطق » الذى عندى، عمال فى مصنع عميان. ودرس غلام أعمى فى الثالثة عشرة من عمره علوم الطب ، وصار من أبرز الإخصائيين فى الولايات المتحدة . ونجح من العميان مدرسون ، وبائعون ، وفلاحون ، وموظفون فى الدكاكين ، وصحفيون ، وموسيقيون ، وقساوسة ، وعاملون فى الخدمات الاجتماعية ، وعمال تليفون ، ومديرو أعمال ، ووكلاء تأمين ، وجباة ضرائب ، وخدم فى المنازل . ويوجد ٢٩ عملا مختلفاً يؤديها العميان فى المصانع ، من ضم القطع وتأليف ما بينها ، إلى « البرشمة » وغيرها .

وفى وسع الكفيف الكفء إذا رزق الاستقلال الاقتصادى أن يأخذ مكانه فى المجتمع ، ويعيش سعيداً نافعاً كغيره . وهو لا يحب أن يذاد عن الناس ويمنع عن مواردهم ، لأن ما يعنيه كله فى عالم المبصرين ، ورغبته هى أن يعمل معهم ويحيا بينهم . وأعظم ما يسره من ثناء أن يسمع إخوانه المبصرين يقولون له : « أتعلم أنى لا أفكر فيك قط كأعمى » .

واليوم ، وبفضل المخترعات الحديثة — الآلة الكاتبة ، والدكتافون ، ولوح بريل ، والكتاب الناطق ، والراديو — صار العميان أوفى عدة مما كانوا من قبل وأقدر على احتلال مكانهم كأعضاء أكفاء فى المجتمع . ولا يطلب العميان الصالحون للعمل ، وهم أربعون ألفاً ، إلا ثقة الجمهور، إذ بغير هذه الثقة ينقلب عبثاً كل ما حصل من التقدم لجعل العميان مكسباً للجماعة ، بعد أن كانوا حميلة عليها . وهم لا يطلبون معاشاً أو صدقة أو إحساناً ، وإنما يطلبون أن تتاح لهم الفرصة ليحيوا حياة كاملة ، من الوجهتين الاجتماعية والاقتصادية ، وذلك حق لكل إنسان .

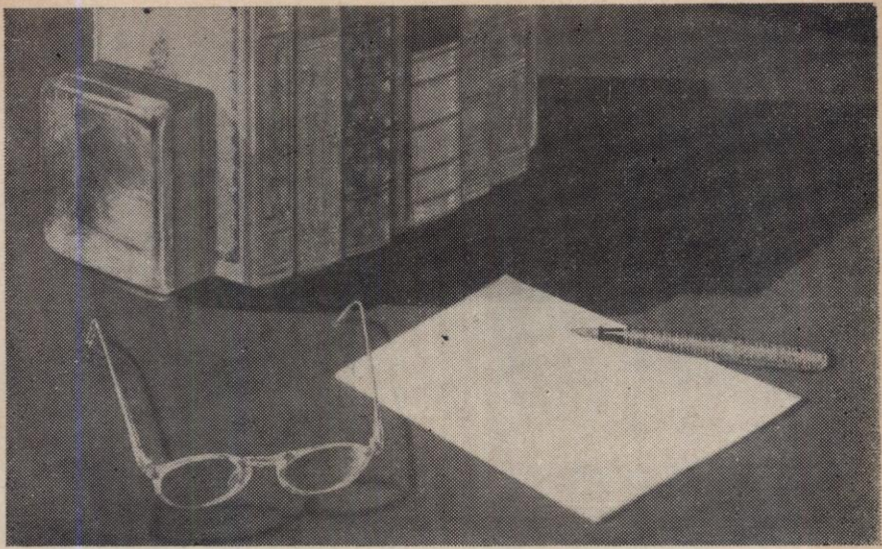

"أن يكتب الأنسان ما يدور بخلده — هذه هى الحرية"

أن تقول وتكتب ما تعتقد ، حسبما يمليه عليه وجدانك — هذه هى الحرية التى تعد أساساً لجميع الحريات .

وأن تنتج لمعشر الكتاب والمفكرين أقلاماً يعتزون باقتنائها لجمال شكلها وكمال صنعها الذى يبلغ حداً يجعلها تدون أراءك على الورق بمنتهى السهولة والطلاقة — هذه هى خطة باركر منذ نصف قرن

واليوم أصبحت هذه الأدوات الكتابية البديعة نادرة للغاية ومن المحتمل أن لا تستطيع الحصول على قلم باركر الذى تبحث عنه . فمصانعنا منقطعة الآن ، وإلى أن يتم النصر ، لإنتاج المهمات الحربية الدقيقة لجيوش التحرير ، التى تعمل فى خدمة الأمم المتحدة .

باركر

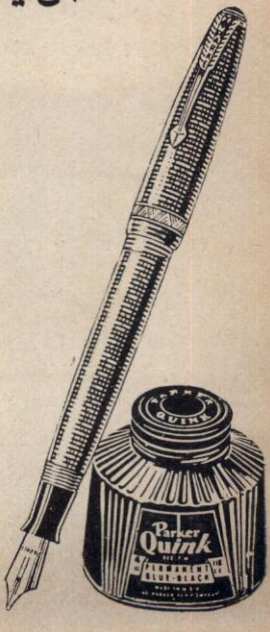

RCA تقدم
أحدث الأنباء

جرارة الراديو تصنع مراوح المحركات ! !

إن الطرق القديمة البطيئة للتجفيف وإلصاق أجزاء المحركات المصنوعة من الخشب المصفح قد حلت محلها طريقة RCA القائمة على ذبذبة موجات الراديو .

ما هى أحدث الأنباء : سؤال يسأله كل ليلة

ملايين من المستمعين إلى أجهزة RCA . وإن نفس المهارة الهندسية التى تبذل فى أجهزة RCA للتلفزة ولاسلكى الطائرات ، قد أتقنت كذلك صمامات RCA اللازمة لجهازك المنزلى .

عين التلفزة السحرية : إن جهاز

الايكونوسكوب وهو اختراع شركة RCA يجعل التلفزة الالكترونية ممكنة . ويمكن إلتقاط المرئيات بواسطة مئات الآلاف من البصاصات الكهربائية وإرسالها خلال الهواء على أمواج الراديو . ومع أن RCA تقصر إنتاجها الآن على الأمم المتحدة ، فإن الخبرة التى تكتسبها وقت الحرب تبشر بمنتجات أفضل عند ما يستتب السلام .

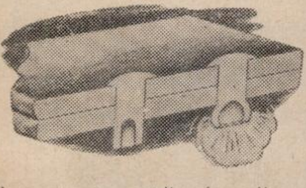

تفجير البرشام بالراديو ! يفجر طرف

البرشام المحتوى على مادة مفرقعة بواسطة طاقة أمواج الراديو . وهذه الطريقة الجديدة تسهل الانتاج الصناعى وتعجله .

راديو كوربوريشن أوف أمريكا

قسم R. C. A. ڤيكتور - كامدن ، نيوجرسى بالولايات المتحدة

وادى الكنار ! افريقيا !
بحر المانش !

دائما فى
طليعة
سفن
الغزو

إن زوارق هيجنز التى صممت وبنيت خصيصاً لأغراض الأمم المتحدة ، يصفها المقاتلون المحنكون الذين اشتركوا فى حملات وادى الكنار وشمال أفريقيا بأنها « أحسن زوارق فى العالم على الإطلاق » . وهذه الشهادة البليغة صادرة من رجالٍ عركوا قوة هذه الزوارق تحت وابل من النيران ، رجالٍ تتعلق مصائرهم على مرونة هذه الزوارق ومتانتها وسرعتها وشدة مراسها ويسر تسييرها . وقد تبوأت زوارق هيجنز مكان الزعامة بلا منازع بفضل ما تصادفه من ثناء فى جميع الميادين التى يستعر فيها نار القتال ؛ وهذا التفضيل الإجماعى له مغزاه الكبير عند الذين ينوون شراء زوارق هيجنز بعد الحرب سواء للمتاجرة أو لمجرد المتعة . وصفات الكمال والاحتمال التى تمتاز بها زوارق هيجنز مسجلة ، ولا توجد فى سواها . وهذه حقائق جديرة بأن تتذكرها فى المستقبل !

Higgins
INDUSTRIES INCORPORATE

أعظم صانعى الزوارق فى العالم

مخترعى ومسجلى زوارق هيجنز أيوريكا للنزول إلى البر

بأية سرعة يمكن بناء طريق ؟ لقد ضرب مهندسو الجيش فى شمال أفريقيا رقماً قياسياً جديداً ، فنى خلال المعارك تعلموا أن يمدوا طريقاً خلال الصحراء بسرعة أربعة أميال فى الساعة — أى بسرعة زحف الرجال !

وتقود جرارات ديزل « كاتربيلار » فرق تمهيد الطرق بمرافقة آلات رفع التراب وتملأ الأخاديد ومجارى الجداول . ثم تليها جرارات أخرى تقطر زحافات لإجراء التمهيد الأولى . وخلف هذه تتقدم ممهدات ديزل « كاتربيلار » بثبات وتتم العمل . وتصلح الطرق الصحراوية التى بنيت لخطوط طويلة عربات التموين التى تنقل الماء والطعام والوقود والذخائر .

إن جرارات ديزل « كاتربيلار » ، والممهدات ، والآلات والأجهزة الكهربائية تسدى خدمة عظيمة إلى انتصار الحلفاء فإنها بما اشتهرت به من متانة وقوة ، وسهولة الاعتماد عليها . تجر المدافع ، وتطهر رءوس الكبارى وتقطع الأدغال ، وتبنى المطارات ، وتولد التيار للاضاءة والراديو

ومع أن معظم إنتاج « كاتربيلار » يذهب رأساً إلى ميادين الحرب فإن صيانة الآلات القديمة فى أمريكا يقوم بها عملاء « كاتربيلار » فى كل مكان . وإن مهارتهم ومعداتهم الخاصة لتبقى قوة « كاتربيلار » عاملة فعالة فلا تستهلك إلا أقل قدر من المال والمواد اللازمة للحرب

CATERPILLAR DIESEL

شركة جرارات كاتربيلار ـ بيوريا ، إلينوى

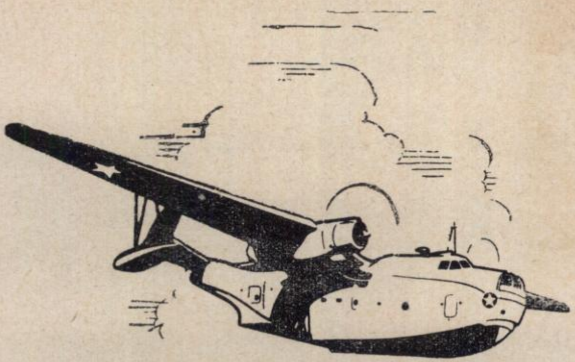

وقفت مصانع جلين ل . مارتن فى إنتاجها الطائرات الحربية للأمم المتحدة ، إلى مبادىء جديدة سيكون لها أثر أى أثر فى تقدم الطيران المدنى بعد الحرب . وعلى ضوء هذه المستحدثات بتضع مصانع مارتن من الآن تصميمات لطائرات تقل ضخمة من شأنها أن تستهل عهداً جديداً فى دنيا النقل . وحالما يسمح السلم لمصانع جلين مارتن بأن تباشر من جديد نشاطها التجارى فسيكون فى حكم الممكن — بل فى حكم المحقق — إنتاج هذه الطائرات الجبارة .

Martin

Builders of Dependable Aircraft Since 1909

شركة جلين ل . مارتن • بلتمور بالولايات المتحدة

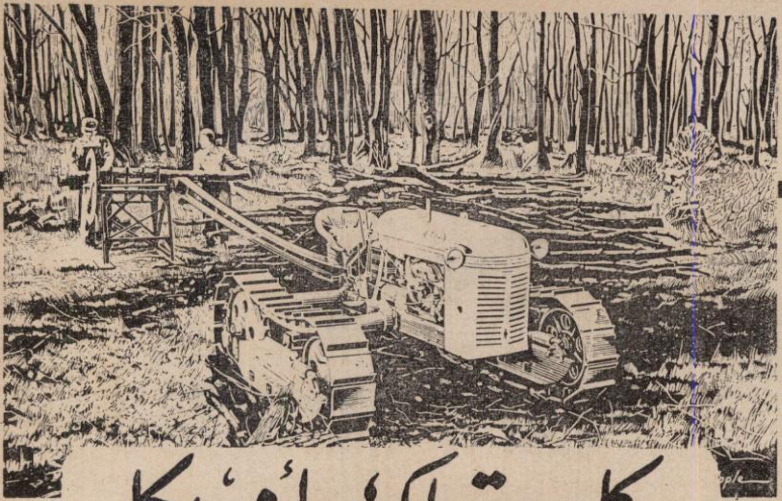

كليتراك أمريكا

تعمل فى الحرب . . . لأجل السلام

للوصول إلى سلم عاجل ، يجب أن تشيد المطارات والمصانع ومعسكرات التمرين مكان الحقول والغابات . . . ويجب أن تعبد الطرق التى تصل هذه الجهات الداخلية المتزايدة بالعمران . ومحاريث كليتراك تساعد على سرعة نقل المؤن والذخائر لأنها تساهم ، فى الوقت نفسه . فى تمهيد الطرق وزيادة المحصولات الغذائية .

وهكذا يشترك محراث كليتراك كراولر اشتراكا فعلياً فى تقصير أجل الحرب بإتمامه عمله على وجه أكمل وأسرع ، ولا غرو فالشهرة التى حازها محراث كليتراك لمتانة بنائه وقوة احتماله تجعله دعامة قوية فى قضية العالم الحر .

ونحن نرحب بكافة الاستعلامات عن محرث كليتراك كراولر

شركة محاريث كليفلاند

كليفلاند اوهيو بالولايات المتحدة

٥ أسباب تقنعك بأن موبيلويل هو أحسن زيت لسيارتك

اقرأ هذه الفوائد الهامة التى تجنيها باستعمالك زيت موبيلويل ذى الشهرة العالمية .

١ وقاية أفضل : ضد هرش المحرك — ذلك لأن موبيلويل يحتفظ بصفاته التزييتية الممتازة ويقاوم درجات الحرارة المرتفعة والعمل المرهق الطويل مقاومة فعالة فهو ضمان ضد الاصلاحات الباهظة .

٢ قيام أسهل : زيت موبيلويل يضمن لمحرك السيارة حركة سريعة وقياماً سهلا وهو لا يعرقل سير الأجزاء المتحركة . ففى استعماله اقتصاد فى قوة المحرك وكمية البنزين المستهلكة .

٣ انتشار أسهل : نظراً لأن هذا الزيت ينطلق فى الحال بمجرد قيام المحرك فإنه يتسرب بسرعة إلى كل جزء من أجزائه ويصونه صيانة تامة باطراد .

٤ مقاومة الكربون والرواسب الأخرى : ستلاحظ بعد استعمالك موبيلويل أنه يخفض إلى أدنى حد تكوين الرواسب التى تؤكسد الزيت كالصمغ والكربون وخلافهما .

٥ خفض مصاريف السيارة : ولما كان موبيلويل يساعد على الاحتفاظ بالمحرك نظيفاً ويضمن له تزييتاً سديداً منتظماً فإنه يخفض إلى أدنى حد استهلاك الزيت والوقود ومصاريف الإصلاح .

فبادر اليوم إلى استعمال موبيلويل إذ أن الظروف الحالية لا تسمح لك بالمجازفة بزيوت رديئة الصنف .

جارجويل

موبيلويل

سوكونى فاكوم

أفخر زيت سيارات فى العالم

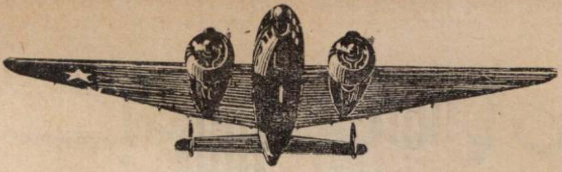

الصدّامة (بروزر)

هذه هى طائرة ڤيجا ڤنتورا القاذفة الجديدة — شديدة المراس فى مظهرها ، شديدة الوطأة فيما تقوم به من أعمال القذف ، وهى متصفة ببعض المزايا التى اتصفت بها أسرتها . تشبه طائرة هدسون ولكنها أكبر حجماً ، وهى رشيقة قوية ، تتجلى المتانة فى كل قطعة فيها . وهى تضارع طائرة لودستار ، المتفوقة ، ولكنها أسرع وأشد مرونة ويسراً .

اسمها الصدامة وهى صدامة حقاً . إنها أكبر وأمتن قاذفة صممتها مصانع ڤيجا حتى الآن . وهى تحمل الخراب قنابل فى حشاها ، وتقذف الموت من خمس طواب للمدافع فيها عيارها خمسون .

وسيخبرنا الطيارون فيما بعد عما أسدته هذه الطائرة من خدمات فى الحملات العسكرية التى توجت بالنجاح ، وستكون قصصهم المحركة للنفس شهادة ناطقة بما تبذله مصانع لوكهيد وڤيجا من جهود فى سبيل إنتاج طائرات يعتمد عليها كل الاعتماد فى الحرب والسلم على السواء ! شركة لوكهيد للطيران ، شركة ڤيجا للطيران . بوربانك كاليفورنيا بالولايات المتحدة .

فرع شركة لوكهيد
Vega للطيران

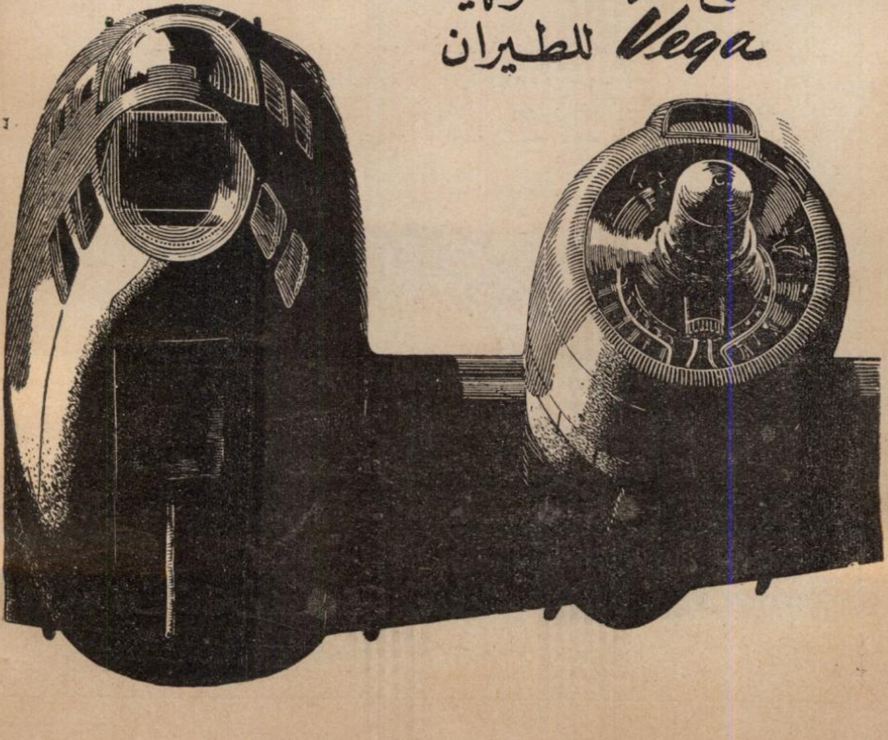

ولما كانت مقالات المجلة مقتطفة مما دنا أو نأى من الصحف والمجلات والكتب ، فكأن لم يكن ثمة بد من أن تنتشر وتمتد وراء حدود هذه البلاد التى ولدت فيها ، وأن تدخل بيوتاً كثيرة فى بلاد كثيرة ، وأن تؤثر فى حياة كثيرين فى أقطار شتى .

ولما أصدرت مجلة « ريدرز دايجست » طبعتها باللغة الاسبانية ، سنة ١٩٤٠ ، شرعت فى تجربة جديدة ، فى الصحافة الدولية ، والصداقة الدولية . وقد أصبحت هذه التجربة الآن ، فى أمريكا الجنوبية ، طبعة دولية واسعة الانتشار ، يباع منها كل شهر ما يزيد على ٩٠٠ر٠٠٠ نسخة . وللطبعة الاسبانية ، شقيقة فى البرازيل ، تطبع باللغة البرتغالية ويوزع منها كل شهر ما يزيد على ٣٠٠ر٠٠٠ نسخة . وبنجاح هاتين الطبعتين انتهت مرحلة « التجربة » .

وتنفذ الآن الخطط التي وضعت لنشر « المجلة العالمية » الحقيقية الأولى ، بلغات مختلفة . ففى شهر مارس من سنة ١٩٤٣ صدر العدد الأول من الطبعة السويدية ، فى استوكهلم ، وقد ظفر منذ اليوم الأول بمثل الاقبال والحماسة ، اللذين ظفرت بهما المجلة فى البلاد الأخرى .

و « المختار » هو الطبعة الدولية الرابعة لمجلة « ريدرز دايجست » . وقد وقعت الحماسة التى قابلت بها البلاد العربية اللسان ، هذا العدد الأول من « المختار » ، فى نفوس المحررين أحسن وقع ، لأنهم يدركون حق الادراك أن الحضارة الغربية أخذت عن الشرق جميع أصولها ومبادئها .

وقد مضت أجيال كثيرة ، عب العالم الغربى ، فى خلالها ، من ينابيع الحكمة التى لاتغيض، فى بلدان البحر المتوسط . وفى هذه الينابيع، وجد العالم الجديد ، فى ما وجده من تراث ثقافى عظيم ، نظام الترقيم ، وحروف الكتابة ، ومعرفة النجوم فى مداراتها .

ومن الشائع المتداول أن توصف بلاد مصر ، وسوريا ، وفلسطين ، ولبنان ، والعراق ، بأنها « ملتقى طرق العالم » حيث يختلط الناس وتلتقى العقول . ومجلة « ريدرز دايجست » صورة مصغرة منه ، فهى كذلك « ملتقى طرق » إذ تفسح للناس صعيداً مشتركا ، يجتمعون فيه ويتباحثون ثم ينصرفون وقد استجموا نشاطهم وقوتهم . إن محررى « ريدرز دايجست » يهدون إلى الشرق الأدنى قبساً من حضارة الغرب فى مجلتهم « المختار » ، وهم يرجون بذلك أن يؤدوا شيئاً مما له عليهم من الديون الكبيرة التى بقيت أعناقهم مطوقة بها أجيالا طوالا .

مُلتقى طرق العالم

هذا هو العدد الثالث من « المختار » ، وقد تلقينا من قرائه خلال الشهرين الماضيين رسائل كثيرة يسألنا أصحابها عن مجلة « ريدرز دايجست » . ولعل أكثر الأسئلة وروداً هو هذا : « لماذا عنيت مجلة ريدرز دايجست بإصدار طبعة عربية ؟ » .

ويلوح لمحررى المجلة ، أن هذا الوقت وهذا المكان هما خير وقت ومكان ، يجيبون فيهما ، بعض الاجابة على الأقل ، عن الأسئلة التى وجهها إليهم أصدقاء تربطهم بهم عرى صداقة جديدة كريمة .

بدأت مجلة « ريدرز دايجست » ، كما تبدأ أعمال كثيرة موفقة ، بشاب وفكرة . كان هذا الشاب ده ويت والاس ، وكان ذلك فى سنة ١٩٢١ . أما الفكرة فكان مدارها على أنه فى الوسع إسداء خدمة صحفية كبيرة فذة ، إذا ما عنى أحد الناس بأن يراجع هذا الجبل المتراكم مما يطبع وينشر كل شهر ، ثم يختار منه أجوده وأبقاه ويلخصه وينشره فى رسالة .

هذه هى الفكرة ، وهذه هى الخدمة التى ما فتئت تنمو منذ سنة ١٩٢٢ حتى غدت الآن متعة ينعم بها أكثر من أحد عشر مليوناً من الناس كل شهر فى جميع أقطار الأرض .

وبازدياد قرائها ازداد عدد محرريها . وعدد الذين يشتغلون بتحرير « ريدرز دايجست » الآن يفوق عدد المشتغلين بتحرير أية مجلة أخرى . ومن بين ثلاثة وستين محرراً وهبوا وقتهم كاملا لتحريرها ، فريق كبير من المديرين السابقين لطائفة من المجلات المشهورة ، وصحفيون ذاع صيتهم ، وكتاب اختصوا بكتابة الفصول الممتازة فى صحف الأدب ، والعلم ، والدين ، والتجارة ، والتربية .

إن إعداد مقالات عدد واحد من « ريدرز دايجست » يقتضى عملا يستغرق ٨٢٣٥ ساعة من المطالعة ، أو أكثر من ١٠٢٩ يوماً ، ثمانى ساعات كل يوم ، وهى ساعات يقفها جمهور من المحررين المجيدين على مراجعة ما ينشر كل شهر ، وهذا عمل لو وقفت أنت عليه كل وقتك لما استطعت أن تنجزه فى أقل من ثلاث سنوات .

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية